الكاتب الفلسطيني

العدد ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٨٠

المكتب
29 -03- 1993
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب الفلسطيني

فصلية عن الاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين
العدد ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٨٠

رئيس التحرير
ناجي علوش

نائب رئيس التحرير
رشاد ابو شاور
المدير الفني
حسيب الجاسم

امانة التحرير
حنا مقبل
بجبي بخلف
هاني منصور
جميل هلال
عبد القادر ياسين

المستشارون: عبد الكريم الكرمي ، إحسان عباس ، محمود درويش ، معين بسيسو ، بسام ابو شريف ، ناصيف عواد ، علي اسحق ، خالد ابو خالد ، د. سعيد حمود ، معن بشور .

المحتويات

٢	ليكن المؤتمر الثالث مؤتمراً للثقافة الديمقراطية (الافتتاحية)	نائب رئيس التحرير
٥	احمد الشقيري ... سيرة رجل غاضب استمر في المحاولة	عبد القادر ياسين
١٢	اصوات .. المثقفون والثورة ..... اعداد	عبد القادر ياسين
١٨	المثقفون الوطنيون والثورة الفلسطينية	رشاد ابو شاور
٢٤	مصير جامعة الدول العربية	احمد الشقيري
٤٧	ملاحظات منهاجية حول دراسة الحرب الثورية	عبد القادر شهيب
٥٨	بماذا يغنينا الربيع الافغاني الملتهب	عبد الحميد محمد موافي
٦٣	الفلسطينيون في دول السوق الاوروبية المشتركة	اسامة الغزالي حرب
٧٩	صحيفة « العرب »	داود تلحمي
٨٩	توفيق عبد العال الخط ـ اللون ـ التصميم	محمد نصر مهنا
٩٧	مدخل الى ازمة القصة القصيرة تحت الاحتلال	سميح شبيب
١٠١	تعقيب على مراجعة خيري منصور	علي حسين خلف
١٠٥	عرش اوزوريس (مسرحية)	فخري صالح
١٥٢	الخنازير (قصة قصيرة)	نزيه ابو نضال
١٥٥	عبد الله المزمار (قصيدة)	محسن الخياط
١٦٥	« زيارة الاب المقتول » (قصيدة)	احمد عودة
١٦٨	طهران والكرمل (قصيدة)	محمد القيسي
١٧٤	مخاض للسيدة الصعبة (قصيدة)	خيري منصور
١٧٨	رسالة (قصيدة)	شهاب محمد
١٨٤	كتب الكيانة الفلسطينية ـ الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي ١٩٤٧ـ١٩٧٧	محمد حسيب القاضي
	دفاع عن الشعب م . خ .	ناظم حكمت
١٩٢	نيسان خطفهم منا	ترجمة : حامد بدرخان
١٩٣	تحية	احمد شاهين
١٩٤	« الكاتب الفلسطيني » ترد على رسالتي العلوي .. والاشمر .	

Library 29-03-1993

Digitized by Birzeit University Library

كلمة الكاتب

ليكن المؤتمر الثالث مؤتمرا للثقافة الديقراطية

بصدور هذا العدد ، الثاني عشر ، تكون الأمانة العامة الحالية قد أعدت العدة للمؤتمر الثالث للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

لا شك أن اسبابا حالت دون عقد المؤتمر في موعده المحدد ، بالضبط ، منها أولا . الأوضاع التي عانتها ، وتعانيها ، الساحة اللبنانية ، بشكل عام ، والثورة الفلسطينية بشكل خاص .

ثانيا . التحضير لانتخابات الفروع التي احتاجت الى جهد لا يوصف ، خاصة وان عشرات ، بل مئات المواطنين الفلسطينين قد (سربوا) الى صفوف الاتحاد ، لأغراض انتخابية ..

ثالثا . عاش الاتحاد العام اوضاعا خارجية وداخلية تسببت ، أحيانا ، في عرقلة سير أعمال أمانته العامة .

انعقد المؤتمر الاول في بيروت عام ١٩٧٢ ، وانتخبت فيه أمانة عامة ، بصيغة ائتلافية . ولكن بعض المرشحين من خارج قائمة الوحدة الوطنية المتفق عليها تمكنوا من اختراقها ، منهم الاخ **غانم زريقات** ، ورشاد **ابو** شاور ، الذى تم استبعاده كرمى لعيني الوحدة الوطنية الفلسطينية ... ؟

واستمرت الأمانة العامة ، تلك منذ عام ٧٢ وحتى عام ٧٧ ، موعد انعقاد مؤتمرنا الثاني بتونس . وسادت الخلافات ، رغم ان القائمة كانت موحدة ، ورغم استبعاد مرشح اختاره الكتاب في اقتراع ديمقراطي . لقد انعكست الظروف والأوضاع السياسية التي أعقبت حرب تشرين ، ومما رافقها من اجتهادات ، على الاتحاد ، وفي الدورة الثانية التي أعقبت مؤتمر تونس ، ورغم ان القائمة التى فازت هي قائمة الوحدة الوطنية .. تقريبا ، مع اختراق واستبعاد لصحفيين وفلسطينيين يحظيان بالتقدير والاحترام ، وبسبب خلافات سياسية كانت سائدة في تلك المرحلة .. فقد تدخلت السياسة في الثقافة ، .. وواصلت التدخل ، وتصدير الخلافات الداخلية في الاجتهادات ووجهات النظر الى اتحادنا .. ولا اظن أنها ستنتهي إلا إذا صار الاتحاد مؤسسة اعلامية ذات دور هامشي في الثورة ... وهذا ما سيضر بالثورة ، فضلا عن

Digitized by Birzeit University Library

الضرر الذي سيلحق بثقافتنا الوطنية ..

ثلاث سنوات مرت .. منها سنة زائدة عن المدة القانونية ، .. أثيرت زوبعة ، وافتعلت ، أحيانا ، معارك وهمية ، علما بأن الامانة العامة السابقة تجاوزت ثلاث سنوات .. بسبب من الحرب التي تفجرت في لبنان ... علما بان (كل) الاتحادات الفلسطينية تجاوزت مددها القانونية ، ... بما في ذلك اتحاد المرأة الفلسطينية الذى تجاوز حوالي الثلاث سنوات ، دون أن تثار أية ضجة حوله .

لقد رفع الكتاب والصحفيون الفلسطينيون شعارا لهم هو . **بالدم نكتب لفلسطين** .. ولقد جسدوا ذلك الشعار ، بالرغم من الاختلافات السياسية بينهم ، والتباينات في وجهات النظر ... لكنهم ظلوا الاوفياء لقضيتهم ، وجماهيرهم ، وقدموا عشرات الكتاب والصحفيين ، والفنانين في معارك الدفاع عن الثورة ، ومستقبلها ، ومصير القضية ، وتقدمية الثقافة التي ينتمون اليها .

صحيح أن اتحادنا عانى من تسرب عشرات ، بل مئات (الأصوات) الانتخابية الى صفوفه ، ولكن لقد تم (اخراج) العشرات والمئات من صفوف الكتاب والصحفيين ، حفاظا على سمعة الاتحاد ، ومنعا (للسياسة) من الامعان في التدخل في الثقافة ، والهيمنة عليها .

لقد بذلت الأمانة العامة جهدا كبيرا للتغلب على مشكلة (المتسربين) ، فمثلا في فرع الجزائر كان العدد حوالي (٢٧٠) ... تصوروا ؟ ... ولكن ، وبعد جهود جهيدة ، تم تقليص العدد الى ثلاثين فقط .

في فرع لبنان تم التخلص من أكثر من مئة حاصل على هوية عضوية الاتحاد .. ولهذا تم انتخاب أمانة فرع تحوى كتابا وصحفيين ، فعلا .

في فرع سورية كانت امانة الفرع ، السابقة ، منسجمة مع نفسها ، بعيدا عن أية خلفيات سياسية ، ولذا تمت عملية تنقية الفرع من كل الذين لا تنطبق عليهم شروط العضوية ... وعندما جاءت امانة الفرع الجديدة لم تواجه بمشكلة المتسربين . فرع العراق ، تمت تنقية الفرع بروح وحدوية ، وخرجت أمانة فرع ، راعت الوحدة الوطنية . هذه أمثلة على مشكلة من مشاكل واجهتها الامانة العامة الحالية بصدد قضية العضوية .

على صعيد العلاقات الخارجية ، تمت عمليات تعطيل وتخريب للعلاقات مع الاتحادات الصديقة ، وخاصة الاتحادات في الدول الاشتراكية .. وتمت عمليات إستيلاء على المنح والبعثات التي كانت تأتي للاتحاد (من وراء ظهر الاتحاد) ، وارسل للدورات والبعثات اشخاص لم يستفيدوا .. واساءوا لسمعة شعبنا ، وثقافتنا .

في مؤتمر اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا ، الذى انعقد في **اديس ابابا** مؤخرا ، تم استبعاد **وفد اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين** ، المكون من الاخوين ، **بسام ابو شريف** ، مسؤول العلاقات الخارجية ، **وعلي اسحق** ، عضو الامانة العامة .. وتمت صفقة من وراء ظهر **اتحاد الكتاب والادباء العرب** ، الذى رشح ، نفسه بالاجماع (فلسطين) امينا عاما **لاتحاد كتاب اسيا وافريقيا**ممثلا بشاعرنا **محمود درويش** .. جدير بالذكر أن الشاعر معين بسيسو حضر مؤتمر اديس ابابا نيابة

Digitized by Birzeit University Library

عن الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .. دون علم الأمانه العامة أو موافقتها .
هذه مشكلة من المشاكل التي واجهتنا أمانتنا العامة .

يحصل **الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين** على مساعدة من منظمة التحرير الفلسطينية مقدارها ثمانية آلاف ليرة **لبنانية** ... سنويا ؟

بهذا المبلغ (الهائل) يجب أن ندفع أجرة المقر ، ونصدر مجلة **الكاتب الفلسطيني** ، ونستضيف وفودا من الاتحادات العربية والصديقة ، ونرسل وفودا لأجراء مفاوضات ... ونعني بالثقافة الوطنية ، فنطبع الكتب ، ونسهم في التنقيب عن تراثنا القريب ، ولا نقول البعيد ... أليس هذا مثيرا للحزن ؟

للحق ساعدت بعض التنظيمات والاتحادات الصديقة اتحادنا ، وهذا ما مكننا من مواصلة إصدار **الكاتب الفلسطيني** ، وتغطية بعض النفقات .

المال ... مشكلة واجهت أمانتنا العامة ... وخلفيتها ليس المال .. أبدا .
والآن ،
ما المطلوب ، من المؤتمر الثالث ؟

- مؤتمر ديمقراطي فعلا .

امانة عامة تمثل المثقفين ، كتابا وصحفيين ، تأخذ بعين الاعتبار الوحدة الوطنية ، ولكنها لا تقبل بأن تكون امانة لاصدار البيانات في المناسبات ، او عند الطلب .

- أن يكون المؤتمر الثالث مؤتمرا للثقافة الديمقراطية

ايها الكتاب والصحفيون الفلسطينيون ، يا من تحملون راية بالدم نكتب لفلسطين وحدوا صفوفكم ... من اجل الثورة ، من اجل فلسطين ، من اجل ان تكون الثورة الفلسطينية واحة الديمقراطية فعلا .

نائب رئيس التحرير ١ ـ مضت قرابة اربعة اشهر في المفاوضات ، والمباحثات لتوزيع المهام ، والاتفاق . ورغم الوصول الى صيغة ديمقراطية انتخابية فان عضوين من اعضاء الامانة العامة قاطعا كل الاجتماعات ، طيلة مدة الدورة علما بان الاستاذ الشاعر معين بسيسو كان قد قاطع اجتماعات الامانة العامة ومنذ البدية .. دون اى سبب محدد ، او عذر ،

نائب رئيس التحرير

Digitized by Birzeit University Library

أحمد الشقـــيري ...
سيرة رجـــل غاضـــب استمر في المحاولة

عبد القادر ياسين

كأنما تعاقد هذا الرجل مع الاحداث الجسام ، للتلازم والتراقق . اذ ولد مع وصول «**تركيا الفتاة**» الى سدة الحكم في استانبول (١٩٠٨) ، وغادر الحياة يوم ارتفاع العلم الاسرائيلي في سماء العاصمة المصرية (١٠٨٠/٢/٢٦) . وعاش طوال اكثر من اربعين عاما في قلب الحياة السياسية العربية والدولية . متنقلا من هذه الصحيفة الى تلك ، ومن هذا المكتب الدعائي الى تلك المؤسسة الوحدوية ، إلى ذلك المحفل الدولي ، الى ان حطت به امواج السياسة العربية على الشاطى ء الفلسطيني ، فتصدره لاكثر من ثلاث سنوات ، ظل بعدها على تماس مباشرة مع هذا الشاطى ء دون تصدر . بعد ان احس بانطواء مرحلته ، واستحالة ان يعيد التاريخ نفسه .

عاش **أحمد الشقيري** حياة سياسية عريضة وحافلة .

حرم **الشقيري** ، منذ طفولته ، من حنان ابيه ، **الشيخ أسعد الشقيري** ، رجل الدين الثري وأحد رموز الثورة المضادة في فلسطين ، « أحد رجال الدولة العثمانية ، ورفيق السفاح جمال باشا وصاحبه »[1] على حد تعبير **أحمد الشقيري** نفسه . فوالده افترق عن والدته التركية ، مما اضطرها الى الزواج من عامل تليفونات في طولكرم .

Digitized by Birzeit University Library

ويبدو أن الشيخ أسعد أراد أن يحرم الوالدة من ولدها ، فاستقدمه الى عكا ، بمجرد أن بلغ الثامنة من عمره ، حيث أنهى الصف الثاني الثانوي ، في العام ١٩٢٤ . وفي « مدرسة صهيون » التبشيرية الانجليزية بالقدس قضى ثلاث سنوات . ومنها انتقل الى الجامعة الامريكية في بيروت ، لدراسة الحقوق .

وفي الجامعة الامريكية اشترك في نادي « **العروة الوثقى** » ، الذي كان ينظم الندوات حول الشؤون العامة ، وبضمنها السياسة .

وحين هلت الذكرى الحادية عشرة لشهداء الحركة الوطنية السورية ، الذين اعدمهم جمال باشا السفاح ، في أيار (مايو) ١٩١٦ ، تقدم الاحتفال **أحمد الشقيري** ، منددا بالقائد التركي والعهد العثماني ، كما أشاد بالوحدة العربية ودعا الى قيامها . وحين أشارت الصحف البيروتية الى أن « الوالد يوافق على اعدام الشهداء والولد يشترك في تأبينهم !!»[٢] احس الفتى أحمد « بجرح كبير » بسبب والده ، بعد أن نبش « موضوعا دفينا ، طالما كان سببا في التهجم عليه ، بمناسبة وغير مناسبة ، وكانت اياما صعبة قاسية ، على الوالد في ماضيه ، والولد في مستقبله »[٣] . وان هي الا أيام قليلة اعقبت الاحتفال ، حتى بادرت سلطات الانتداب الفرنسي الى ابعاده عن لبنان ؛ عقابا له على دعوته الى الوحدة العربية . ومنذئذ دلف الى الحياة السياسية بضجيج يفوق حجمه ، بما لا يقارن . وبدأت الصحف الفلسطينية تشير الى **أحمد الشقيري** باسم « الشقيري الصغير » ، تمييزا له عن والده الشيخ أسعد ، « الشقيري الكبير » .

عاد الفتى أحمد الى عكا ومنها للقدس ، حيث التحق بمعهد الحقوق . وذاع صيته كخطيب مفوه ، حرص أغلب من لديه فرح أو مأتم على ان يلقي « الشقيري الصغير » خطابا فيه : « كما لو كنت مطربا يحرص أهل الفرح أن أغني لهم وأطربهم »[٤] . وفي معهد الحقوق اصطدم بالطلبة اليهود ، وهم المتمتعين بامتيازات سلطات الانتداب البريطانية وحمايتها .

وخلال دراسته في معهد الحقوق طفق يفتش عن عمل ، الى أن صادفه لدى **بولس شحادة** ، صاحب ورئيس تحرير « **مراة الشرق** » ، الأسبوعية المقدسية . ومنذ العام ١٩٣١ عمل الشقيري الصغير محررا أول في **مراة الشرق** . ولاحساسه بعدم اتساق عمله هنا مع مواقفه الوطنية ، نراه يورد قصة عمله في مذكراته ، من باب التفسير والتبرير . فيشير الى التقائه **ببولس شحادة** ، وحديث الشقيري اليه ، حول « تخلف الصحافة الفلسطينية عن ركب الحركة الوطنية » ... وكان بولس شحادة « متهما بانه من المعتدلين ، وله مع الموظفين البريطانيين اجتماعات واحاديث ، فأخذته الحماسة ، وراح يدافع عن نفسه ، ويعرب عن استعداده لجعل جريدته تحت تصرف الشباب الوطنيين »[٥] . وحين أعرب شحادة عن استعداده لتسليم الصحيفة للشقيري الصغير ، بادره هذا بالموافقة ، « وهو يحسب أنني وقعت من فخ التحدي »[٦] . وبدأ الشقيري في إصدار الصحيفة مرتين في الاسبوع بدل مرة واحدة .

واذا كان الشقيري الصغير قد أعاد قبوله منصب المحرر الاول في صحيفة الثورة المضادة الى حاجته الى العمل يملأ به فراغه ويتكفل بعض نفقاته فحسب ، فاعتقد أنه أسقط عوامل أخرى ، مثل التقائه مع شحادة في انتقاد قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ، مع تسليمنا بتعارض منطلقات الرجلين ، حيث منطلقات الشقيري وطنية حقيقية . هذا فضلا عن بريق منصب المحرر الأول الذي خطف بصر الصغير ، مع ما يمثله هذا المنصب من إرضاء لوالده ،

Digitized by Birzeit University Library

الذي ما فتأ احمد بحاجة الى رعايته المعنوية والمالية .

وفي آذار من العام ١٩٣٠ تشكل ، في حيفا ، حزب يميني ، حمل اسم « **حزب الاحرار العربي الفلسطيني** » ، وفي أيار (مايو) ١٩٣١ غدا الشقيري الصغير ضمن قيادة هذا الحزب مع والده ـ مؤسس الحزب وطبيعة هذا الحزب الرجعية لم يكتسبها من التكوين الطبقي والميول السياسية لقادته فحسب ، بل من خط ه السياسي ، أيضا . فبالرغم من أن الهدف الاستراتيجي للحزب كان « الاستقلال التام » إلا أن مفردات هذا الهدف جاءت غير مطابقة له ، إذ طالب برنامج الحزب بتأسيس « حكومة وطنية مسؤولة أمام برلمان ذي صلاحيات تامه ، ويسعى ، مع الحكومة البريطانية ، لعقد معاهدة تقام على أسس شريفة ، تضمن مصالح البلدين[٦] » . وفي وقت لاحق وصف مراسل جريدة **المقطم** ، الموالية للسلطات البريطانية في مصر ، **حزب الاحرار العربي** بأنه حيادي ، وأنه يعمل لخدمة البلاد بالطرق المعتدلة والمشروعة »[٧] . على أن هذا الحزب سرعان ما نوى واختفى من المسرح السياسي ، دون أن يخلف وراءه اثرا يذكر* .

وظل الشقيري كالقابض على الجمر : عقله مع الحركة الوطنية وقلبه مع والده . وحين استقل الشقيري الصغير اقتصاديا أمكنه احتلال موقعه في الحركة السياسية الفلسطينية في قلب الحركة الوطنية ولكن خارج مؤسساتها التنظيمية ، مما اعطاه حرية أكثر في الانتقاد والتحرر من القيود ، والاعتبارات الحزبية ، كما جنبه غضب الوالد الذي لا يعرف الرحمة . وهو يقول في هذا الصدد « وكانت الحركة الوطنية تقتحم علي مكتبي ، حينا بعد حين ، فقد كانت عندي هي القضية الكبرى الجديرة بالاولوية في جهدي ووقتي ، إذ ما طعم الكسب والعمل إذا كان المرء مهددا في وطنه ، وفي بقائه في وطنه »[٨] وفي موضع آخر يصف **موسى كاظم الحسيني** ، الذي قاد الحركة الوطنية الفلسطينية حتى ربيع ١٩٣٤ ، وبالرغم من أن وصفه له جاء بمناسبة وفاته ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يصف فكره بالمحدودية وثقافته بالضيق ، « ولكن ما حيلته فقد كان هكذا ، ولا يستطيع ان يكون غير ما كان » . وحتى عندما استلم **الحاج أمين الحسيني** مقود الحركة الوطنية بعد عمه **موسى كاظم** فانه لم يعجب أحمد الشقيري ، أيضا ، اذ في عهد قيادته « وقعت النكبة الكبرى ، وبين الرجلين فروق كثيرة ... ومنها ان موسى كاظم بكاه الناس كثيرا ، والحاج امين ابكى كثيرا من الناس »[٩] . وربما كانت مرارة **احمد الشقيري** من **الحاج امين** بسبب أصابع الاتهام التي وجهت الى **الحاج امين** حين قتل أنور الشقيري شقيق احمد الشقيري ، عام ١٩٣٨ .

وبعد استشهاد عز الدين القسام ، نرى الشقيري يندد بالقيادة التقليدية للحركة الوطنية ، التي « لم تكن تخلو من الروابط والصلات والمصالح بالسلطة البريطانية » . وكان **أحمد الشقيري** أحد الأصوات الغاضبة في المؤتمر الوطني الكبير ، الذي انعقد في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣ . وقد أفرغ **الشقيري** غضبه على القيادة التقليدية للحركة الوطنية وأساليبها الرخوة في النضال وشارك في المظاهرات التي نظمتها قيادة الحركة الوطنية في المدن الفلسطينية ، خلال تشرين الاول (أكتوبر) من العام نفسه .

وحين انفجرت قضية فلاحي وادي الحوارث كان **الشقيري** أحد الذين تبرعوا للدفاع عن حقوق هؤلاء الفلاحين التي أهدرتها سلطات الانتداب والحركة الصهيونية ، معا .

وفي أواخر العام ١٩٣٣ عقد **الشقيري الصغير** قرانه على كريمة **عبد الفتاح السعدي** ، رئيس بلدية عكا . وتم زواجهما

Digitized by Birzeit University Library

في نيسان (ابريل) من العام التالي .

وحين مضت **حركة القسام** – في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥ – هلل لها المحامي الشاب ، وتطوع مع **معين الماضي** ومحامين آخرين للدفاع عن رفاق القسام ، عقب استشهاد قائدهم واثنين من رفاقه ، في معركة غير متكافئة مع قوات الاحتلال البريطاني في قعر أحد الوديان بأحراش يعبد ، من أعمال جنين .

كما شارك **الشقيري** في أعمال القيادة السياسية لثورة ١٩٣٦ – ١٩٣٩ ، وفر الى مصر وتنقل بين سورية ولبنان ، لكنه سرعان ما عاد ، في شباط (فبراير) ١٩٤٠ ، الى فلسطين ، عند وفاة والده .

وأدى فشل ثورة ١٩٣٦ – ١٩٣٩ الى قنوط قطاع كبير من البورجوازية من الكفاح ضد الاستعمار ، فضلا عن نمو البورجوازية الفلسطينية الذي أتاحه سماح السلطات البريطانية للصناعة المحلية بالتطور والتوسع ؛ من اجل تغطية احتياجات قوات الاحتلال في فلسطين ، خاصة مع تعذر وصول الامدادات لهذه القوات من الجزر البريطانية ، بسبب النشاط المتزايد للغواصات الألمانية في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي . وتعزز توجه هذه البورجوازية الى اليمين مع اشتداد ساعد الاتحاد السوفياتي وتحول الاشتراكية ، بعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، من نظام محصور داخل قطر واحد الى نظام عالمي تدين به عدة أقطار في شرق اوروبا (ورمانيا ، بلغاريا ، المجر ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الديمقراطية ، يوغسلافيا ، بولندا) .

ومن قلب هذه البورجوازية خرج **موسى العلمي** يبشر بأمكانية الحصول على استقلال فلسطين السياسي بشيء من الدعاية للقضية في أوروبا وأمريكا . وانشأ العلمي **المكتب العربي** لهذا الغرض ، وتبناه – منذ البداية – عراق **نوري السعيد** و**عبد الاله** ، ومن ثم احتضنته **جامعة الدول العربية** ، واجتذب العلمي بعضا من الشباب المعارض للقيادة التقليدية للحركة الوطنية ، ولكن من على يمينها ، ممن أعجبوا بالغرب الرأسمالي عموما ، وبأمريكا على وجه الخصوص ، مثل **وصفي التل** ، **البرت حوراني** ، **أدوارد عطية** ، **رشاد الشوا** ، **برهان الدجاني** ، **وليد الخالدي** ، **وديع الترزي** ، **ويوسف هيكل** ، **وعبد الحميد ياسين** ، وفقيدنا **أحمد الشقيري** ، الذي تولى إدارة مكتب واشنطن . وحين توجه الشقيري الى واشنطن أوصاه العلمي بايلاء مكتبه كل اهتمامه لأن « مصير القضية الفلسطينية سيقرر ، بعد الحرب العالمية الثانية في واشنطن وليس في لندن ، كما كان الحال في الحرب العالمية الأولى »(١٠) .

وفي العام ١٩٤٦ قام بعض المثقفين المعجبين بالغرب بمحاولة اقامة حزب ليبرالي فلسطيني ، أطلقوا عليه اسم « **حزب الشعب** » ، كان **الشقيري** ضمن مؤسسيه* ، لكن الحزب لم ير النور ، وان بقيت جريدته ، « **الشعب** » ، تصدر يوميا دون الحزب .

وتلاحقت الاحداث ، وكانت النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، وهاجر الشقيري الى سوريا ، ومن هناك التحق بالوفد السوري في الأمم المتحدة لمدة عامين (١٩٤٩ – ١٩٥٩) ، ومنها انتقل الى القاهرة مساعدا للأمين العام للجامعة العربية للشؤون السياسية ، وظل في منصبه هذا حتى العام ١٩٥٧ ، حيث عين وزير دولة لشؤون الأمم المتحدة في الحكومة السعودية ، ثم سفيرا لهذه الحكومة الى المنظمة الدولية . واستمر حتى العام ١٩٦٢ ، حين عاد الى لبنان .

وكانت الظروف قد نضجت من أجل انتزاع الفلسطينيين لهويتهم الوطنية التي طالما طمسها بعض الحكام العرب (١١) . فالطريق أمام البرجوازية الفلسطينية الصغيرة غدا مفتوحا الى مقود الحركة

Digitized by Birzeit University Library

الوطنية الفلسطينية بعد ضرب النظام الاردني لوزارة النابلسي (ربيع ١٩٥٧) وهي التي مثلت البورجوازية الوطنية (المتوسطة أساسا) ، وبعد أن حققت البورجوازية الصغيرة تطورا اقتصاديا ملحوظا ، في النصف الثاني من الخمسينات ، خاصة في أقطار الجزيرة العربية ،(٢) وعربيا ، اخلى شعار « الوحدة طريق العودة » مكانه لشعار « العودة طريق الوحدة » ، وذلك بعد فشل الوحدة السورية ـ المصرية (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) ، كما أن الخلافات الرسمية العربية فتحت ثغرة في الجدار الرسمي العربي ، الذي طالما حال دون وصول الشعب الفلسطيني الى قضيته الوطنية ، فضلا عن أن وصول القوى الثورية الى الحكم ـ في الخمسينات وأوائل الستينات ـ في كل من مصر والعراق وسوريا والجزائر عزز خطى القوى الثورية الفلسطينية وشد من أزرها :(٣) وعالميا ، ارتفع الدور الذي تلعبه الاقطار الاشتراكية في تقرير أمور العالم ، كما اثبتت انتصارات فيتنام (ضد الفرنسيين) وكوبا وكوريا والجزائر مدى مضاء سلاح حرب التحرير الشعبية .

وفي الوقت نفسه ، فان اسرائيل باشرت في تحويل مجرى نهر الاردن ، وهو الأمر الذي كانت بعض الانظمة العربية تتوعدها بالويل والثبور وعظائم الأمور إن هي أقدمت عليه . وبلعت هذه الأنظمة « المنجل » بعد إقدام اسرائيل على التمويل .

وهكذا ، تفتقت عقلية هذه الأنظمة عن مخرج « **منظمة التحرير الفلسطينية** » ، فهذه المنظمة ستمتص ـ من جهة ـ تعطش الشعب الفلسطيني الى الهوية الوطنية ، بينما تظل مربوطة الى الأنظمة العربية ، وستكون من جهة ثانية ، المشجب الذي تعلق عليه الأنظمة العربية أمر التصدي لاسرائيل وهي تحول مجرى نهر الاردن .

ودق موفد الجامعة العربية باب منزل الشقيري مع نهاية ١٩٦٢ ، يدعوه الى تمثيل فلسطين في **جامعة الدول العربية** ، ثم كان أن ولدت **منظمة التحرير الفلسطينية** ، بعد أن وضعت نطفتها في **مؤتمر القمة العربي الاول** (كانون الثاني ١٩٦٤) .

ومنذ تولى **الشقيري** رئاسة المنظمة بادر الى الفكر والمدفع ، معا . فسارع الى إنشاء **مركز الابحاث** وولى عليه **الدكتور فايز صايغ** ، الذي سرعان ما خلفه شقيقه المفكر الوطني الليبرالي **أنيس صايغ** ، وتحول المركز ، تحت قيادته ، الى ورشة فكرية وترسانة علمية ، أما المدفع فكان **جيش التحرير الفلسطيني** ، منذ كانا وحتى الآن .

على أن ثمة سلبيات أعاقت عمل المنظمة ، بعضها خاص بالفقيد ، كأستاثاريته وفرديته ، وتركيزه العمل الثوري في الصوت والصورة ، اساسا !

وفي المجال الاول عرف عنه ميله الشديد الى الخطابة والمبالغة والتهويل ، عوضا عن العمل والبساطة ووضع الأمور في نصابها وبما يتلاءم وحجمها الطبيعي . وكأني به يقول « أعطني مذياعا أعطك ثورة » . وكان يجلس الى مدير إذاعة **صوت فلسطين** ، بنفسه ، لمراجعة تسجيلات خطبه قبل اذاعتها ، ويوصي بالاكثار من التصفيق واطالة مدده !!

أما مجال الصورة ، فثمة قصة على سبيل المثال ، تلخص إيمانه الشديد بدور الصورة الفوتوغرافية في صنع الثورات . فبعد هزيمة ١٩٦٧ أخبره الرئيس المصري الراحل **عبد الناصر** أن **فيصل** يريد ان يضغط عليه من اجل إبتزاز بعض التنازلات ، مستفيدا من الهزيمة التي لحقت بمصر . عندها أخبره **الشقيري** انه بامكانه إسقاط **فيصل** ، فقط اذا ما تنقل **ناصر** بين خطوط القتال والتقط بعض الصور الفوتوغرافية ، التي ما أن تنشر في السعودية حتى يطاح بفيصل !

وحين أحس **الشقيري** بالكرسي يهتز من

Digitized by Birzeit University Library

تحته ، بفعل اشتداد هبوب رياح العمل الفدائي الفلسطيني ، في العام ١٩٦٦ . سارع الى تبني منظمة « **أبطال العودة** » الفدائية الفلسطينية . وبعد هزيمة ١٩٦٧ غدا واضحا أن المرحلة لم تعد تحتمل بقاء **الشقيري** ، فلا هو استطاع استيعاب ما تم من تغيير ، ولا الاطراف العربية الرسمية ، التي سبق وأجمعت عليه ، عام ١٩٦٤ ، ظلت متمسكة به ، بل على العكس غدت مستعجلة ذهابه ، ولكل منها منطلقاته .

وقبل أن تبدأ السنة ١٩٦٨ كان **الشقيري** قد أخلى مقعده في منظمة التحرير الى **يحي حمودة** ، الذي لم يكن سوى رئيس انتقال بين مرحلتي الشقيري ومنظمات المقاومة ، التي تسلمت منظمة التحرير الفلسطينية ، في شباط (فبراير) ١٩٦٩ .

وندم الشقيري ، ولكن بعد فوات الاوان ، على مسايرته ركب الملوك والرؤساء في مسيرة الاعوام الاربعة ، التي انتهت بحرب الايام الستة . ذلك الخطأ الكبير ، هو انني صدقت الملوك والرؤساء في عام ١٩٦٣ في مؤتمر القمة في القاهرة ، ثم الاسكندرية وبعده الدار البيضاء ، وأخيرا في مؤتمر الخرطوم . وحمدت الله انني انسحبت من هذا المؤتمر ، غير آسف ولا نادم » . واثبت هذا النص على غلاف كتابه « على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء » بمداد أحمر ، وفي مقدمة الكتاب ذاته . وتمنى لو أن عجلة الزمن عادت الى الوراء ، اذ لآثر أن يعمل مدرسا في روضة أطفال « بدلا من أن أعمل مع الملوك والرؤساء . وإذن لكان عملي أكثر جدوى ، فانه رفاقة الاطفال انفع من رفاقة اولئك (الابطال) .(١١)

وبعد ان تنحى الشقيري تفرغ للكتابة ، فكتب مذكراته في أربعة كتب هي « اربعون عاما في الحياة العربية والدولية » ، «على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء » ، و « من مؤتمرات القمة الى الهزيمة » و « الهزيمة الكبرى » ، « حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء العرب » ، كما ضمن كتابه « اني اتهم » مرافعة في الدفاع عن الفدائيين الذين قتلوا **وصفي التل** ، وجمع بضعة مقالات ينتظمها خط الوحدة العربية في كتاب « علم واحد وعشرون نجمة » ، وجمع رسائله الى الملوك والرؤساء العرب ومؤتمرات القمة وتعليقاته على الاحداث التي مرت في الوطن العربي في السنوات السبع الاخيرة في كتاب « صفحات من القضية العربية » ، كما نشر كتابع عن « الطريق الى مؤتمر جينف » ، فضلا عما نشره من كتب قبل توليه رئاسة **منظمة التحرير الفلسطينية** ، مثل « من القدس الى واشنطن » ، و « قضايا عربية » و « دفاع عن فلسطين والجزائر » ، و « قصة الثورة الجزائرية » ، و « فلسطين على مبر الامم المتحدة » و « مشروع الدولة العربية المتحدة » .

واليوم ، حين ترتاح روح **احمد الشقيري** في مدافن ابو عبيدة بن الجراح ، فأنه يطل على غور الاردن وجبال الخليل والقدس ورام الله ونابلس ، ولا يحتجب عن عينيه ما ورائهم ، واعني به السهل الساحلي ومرج بن عامر ومسقط رأسه عكا ، ومأوى طفولته . طولكرم . واذا قيض لجملة ان تكتب على قبره ، فربما تكمون الجملة التالية هي الاقرب دلالة: «لقد كان وطنيا على طريقته ، ثوريا بمعنى من المعاني ... وقد حاول » .

حواشي

(١) احمد الشقيري . **اربعون عاما في الحياة العربية والدولية** . بيروت ، دار العودة ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، ص ١١٨ .
(٢) **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

Digitized by Birzeit University Library

(٣) **المصدر نفسه** ، ص ١١٩ .
(٤) **المصدر نفسه** ، ص ١٢٩ .
(٥) **المصدر نفسه** ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .
* ضمت قيادة الحزب كلا من اسعد الشقيري ، توفيق العبد الله ، حبيب حوا ، قاسم الشقيري ، سليم قبلاوي ، وعبد الله مخلص (من عكا) توفيق الفاهوم ، وشكري قطينة (من الناصرة) عفيف عبد الهادي (من جنين) ، محمود الماضي وحنا عصفور (من حيفا) ، وعلي المستقيم (من يافا) .
(٦) **المقطم** (القاهرة) ١٣/٤/١٩٣٠ .
(٧) **المقطم** ، ١٩٣٠/٧/٢٩ .
* لم يشر احمد السفيري ، في مذكراته ، الى هذا الحزب او الى مشاركته في قيادته ، كما نفى لي ، مشاركته هذه .
(٨) الشقيري ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٨٨ .
(٩) **المصدر نفسه** ، ص ١٩٦ .
(١٠) احمد الشقيري . **اربعون عاما في الحياة العربي والدولية** . بيروت ، دار النهار ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٠ ، ص ٢٠٥
* من حديث شفهي معي انكر الشقيري اشتراكه ضمن مؤسسي هذا الحزب واكد لي انهم دسوا اسمه ضمن قائمة المؤسسين التي قدموها للسلطات المختصة من اجل الحصول على ترخيص للحزب ، بينما كان لا يزال في واشنطن ، لا يدري من امر هذا الحزب شيئا !
(١١) احمد الشقيري . **على طريق الهزيمة مه الملوك والوسأء** . بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٢ ، ص ٣ ـ

Digitized by Birzeit University Library

اصوات

المثقفون والثورة

إعداد : عبد القادر ياسين

في العدد الماضي نشرنا الجزء الاول من هذه « الاصوات » . واحدث هذا الجزء ضجة وفدت اليه من الشمال واليمين ، على السواء . فمن الشمال جاء من ينتقد تصوير الخلاف بين الكتلة الاكبر من المثقفين وقيادة الثورة على انه مجرد تناقض ثانوي او هامشي ، في حين استكثر من اتى على يمين « الاصوات » الاشارة الى وجود تناقض بين القيادة والمثقفين ، واكد هؤلاء الاتون من اليمين ان لا تناقض يذكر الا مع الامبريالية والصهيونية ..

ومهما يكن من امر هذه الاعتراضات اوتلك ، فان باب الحوار لا زال مفتوحا لكل من يريد ان يدلي بدلوه في هذه القضية ، اما المعترضين الشفهيين فسيحرم القراء من الاطلاع على وجهات نظرهم في هذا الصدد .

وفي هذا العدد يكتب كل من الاخوة : **عبد الفتاح غانم** ، **محمد عادل** ، **وفيصل حوراني** . ولكل اجتهاده ووجهة نظره المتميزة . وبذا تتبقى اربع منظمات مقاومة دون ان يدلي اي من مثقفيها برأيهم في هذه القضية ، وهذه المنظمات ، هي : **الصاعقة** ، **جبهة التحرير العربية** ، **الجبهة الشعبية** ، **الجبهة الشعبية - القيادة العامة** . الامر الذي نود تلافيه في الاعداد القادمة .

الثقافة الوطنية الفلسطينية في خدمة الثورة

عبد الفتاح غانم

في الفترة التي اعقبت هزيمة ١٩٤٨ ، لعبت الثقافة الوطنية الفلسطينية دورا عظيما في ابقاء القضية الوطنية ، بحضورها وثقلها وماعكسه ذلك الحضور من تماسك التجمعات الفلسطينية ، واصرارها على التمسك بالقضية ، ورفض مشاريع التوطين والتوزيع والضم وما الى ذلك ، ولم يكن الوضع الذي اعقب الهجرة الفلسطينية ، ١٩٤٨ ، معزولا عن تاريخ غني وطويل لعبه المناضلون الفلسطينيون من الكتاب والشعراء والصحفيين والمغنين ، فهناك ملاحم أبراهيم طوقان ،وعبد الرحمن محمود، ونوح ابراهيم وعشرات غيرهم، ان هذا التراث النضالي للمثقفين الفلسطينيين

Digitized by Birzeit University Library

سحب نفسه على الفترة التي اعقبت هزيمة ١٩٤٨ ، وحمل الكاتب والشاعر الفلسطيني آلام وآمال شعبه حيثما حل ، ومن اي منبر متاح ، وترافق ذلك مع النهوض الوطني العام الذي شهدته المنطقة العربية ابان فترة الخمسينات والستينات ، ولا اعتقد اننا نبالغ حينما نقول لقد شكل المثقف الوطني الفلسطيني ضمير وخميرة الثورة الحالية ، بل شكل ضمير وخميرة الثورة في عموم المنطقة العربية ، وبقيت القضية الفلسطينية القضية المركزية لجماهير امتنا العربية وما زالت .

ولقد ترافقت انطلاقة الثورة الفلسطينية الراهنة عام ١٩٦٥ مع الاقلام الثورية التي بدات تكتب بالدم لفلسطين ، وتطرح قضية الشعب العربي الفلسطيني بآفاق وطموحات نوعية وجديدة ، في البداية طرحت مسالة الثورة ومشروعيتها واسلوبها واداة الثورة واصدقائها واعدائها ، وكافة القضايا الاخرى التي ترافق ، عادة ، اندلاع الثورة وخصوصة الثورة الفلسطينية بالتحديد ، ثم تمت الخطوه الاخرى ، حينما وقفت الاقلام الثورية الفلسطينية ، جنبا الى جنب مع البندقية الفلسطينية ، تدافع عن الثورة في الاردن وتقاتل من متراس الدوشكا والميليشيا ، وتفضح الرجعية في الاردن ، « وتدب » الصوت في الشطين ، ثم اعقب ذلك الحرب الصهيونية ، التي بدات ضد الاقلام الثورية الفلسطينية ، وقدم كمال ناصر، غسان كنفاني، وائل زعيتر، محمود الهمشري قدموا حياتهم واقلامهم فداء للثورة الفلسطينية ، بل ان العدو الصهيوني شن حملة القصف والتدمير على دور الثقافة الوطنية الفلسطينية واطلقت الصواريخ على مراكز الابحاث الفلسطينية .

وفي الفترة الراهنة ، فان قيمة الاعلام والثقافة الفلسطينية يمكن روْيتها ولمسها من خلال نظرة العالم للثورة الفلسطينية ، ومن خلال المأزق الحاد الذي يمر به الاعلام الامبريالي والصهيوني .

لا بد من هذه المقدمة ، لنواكب دور الثقافة الوطنية الفلسطينية والمثقف الثوري وتأثيرهما الكبير في الثورة الفلسطينية الراهنة ، فهل صحيح ان الثقافة الوطنية والمثقف الثوري الفلسطيني في خطر ؟ وهل يمكن التسليم بهذا الخطر وفصله عن مستقبل الثورة ووجودها ذاته ؟

ان الصحيح ، في هذه المرحلة ، ان الثورة الفلسطينية تحقق انتصارات عظيمة على الصعيد العالمي ، ويلعب الاعلام الفلسطيني دورا طليعيا في تحقيق هذه الانتصارات ولكن الصحيح ، ايضا ، ان الثورة محاصرة عربيا ، وتضيق الانظمة العربية هذا الحصار ما امكنها التضييق ، وتستجيب بعض القيادات الوطنية الفلسطينية للواقع العربي ، وتحاول التكيف معه ، مما ينعكس على الثقافة والمثقف ، في آن معا ، وقد مرت عدة ازمات في هذا السياق كان العنوان الابرز لها ، جميعا ، هو الخلافات السياسية التي برزت ، بعد ان اخذت التسوية السياسية الراهنة طريقها للتطبيق الفعلي ، وما زلنا نذكر الخلافات التي حصلت داخل مركز الابحاث ، وما زالت ،

حتى وصل الامر ببعض المثقفين ان يدعي ان ذكر اسم الفلسطينيين في كامب ديفيد ومؤامرة الحكم الذاتي هو مكسب للشعب الفلسطيني ، ووصل الامر بآخرين ان يترجموا الادبيات الصهيونية ويطرحونها هكذا ، وكأنها تشكل نظرة الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية الى الصهيونية وتاريخها ؟ ! ! .

في مثل هذا الجو ليست مستغربة هجرة الكتاب والمثقفين الفلسطينيين فقد سبق هذه الهجرة وترافق معها هجرة المقاتل الفلسطيني ، الى المانيا الغربية وغيرها

Digitized by Birzeit University Library

هل هي معركة المثقفين فقط ؟

ويحاول كثيرون ان يفسروا ما يجري وكأنه معركة المثقفين والثقافة الوطنية فقط . وفي تقديري ان هذا التصور يضعف المثقفين ، قبل غيرهم . اذ ان الصراع القائم هو صراع سياسي قبل اي شيء آخر ،

وليس صحيحا ان المثقفين في مواجهة القيادة الفلسطينية ، هل كل المثقفين في مواجهة القيادة ؟ واية قيادة ؟ ان هذه التعميمات ضارة ، فالصحيح ان بعض المثقفين ذوو خطوة لدى « بعض » القيادة الفلسطينية :

لانهم يعبرون عن خطهم السياسي ، ويبشرون برؤاهم السياسية ، بينما البعض الآخر يتعرض للابعاد والاضطهاد من « بعض » القيادة الفلسطينية ، سالفة الذكر اياها .

هل يمكن وصف الخلاف بين « بعض » الكتاب والمثقفين « وبعض » القيادة الفلسطينية بأنه خلاف ليس ذا شأن ؟ مرة اخرى اعتقد ان هذا الطرح التبسيطي يحاول التوفيق ، ويحرق الجذور لمصلحة « بعض » القيادة ، ويصور الخلاف وكأنه ، فقط ، بسبب النميمة من هذا المثقف او ذاك ، ممن يحملون المباخر لبعض القيادات ويتبادر للذهن تساؤل مشروع ،

وهو : لماذا تقبل هذه القيادة بفتح اذنيها لهؤلاء الوشاة والنمامين ؟ ان ما يجري هو اعمق بكثير من هذا التبسيط للامور ، ان هناك صراعا نظريا وسياسيا في الساحة الفلسطينية ، يزيد من حدة هذا الصراع حدة الاستقطاب التي تتم على الصعيد العالمي والعربي والفلسطيني .

فبينما تجنح بعض القوى ذات اليمين ، وترى الخلاص عبر التحالف مع التحييد العربي ومحاولة تحييد الامبريالية الاميركية ، تتجذر قوى اخرى وتستقطبها الجبهة التقدمية العالمية ، ولا يمكن ان نغيب ، ولو للحظة ، ان هذا الصراع يتم بين قوى وطنية فلسطينية ، بعضها قوى وطنية يمينية والاخرى قوى وطنية يسارية ، ومن هنا فنحن لا نعتقد ان هذا الصراع سيصل الى حد الصراع التناحري ، ولا

نعتقد ان الثقافة الوطنية الفلسطينية في خطر ، وانما الصحيح ان المرحلة الراهنة هي مرحلة اشتداد حدة الاستقطابات والصراعات ، الامر الذي يضفي على معركة المثقفين طابعا خاصا ، وفي تقديرنا ان مصير الثقافة والمثقف الثوري الفلسطيني مرتبط ،

بشكل عضوي ، مع مصير الثورة الفلسطينية ، ولا يمكن التقليل من المخاطر الجسيمة التي تحيط بالثورة الفلسطينية ولا بالثقافة الوطنية الفلسطينية ، وبالقدر الذي يتحتم على كل واحد منا ان يدافع عن وجود الثورة ، ومشروعيتها ، ووحدانية تمثيلها للشعب الفلسطيني ، بالقدر الواجب الدفاع عن الثقافة الوطنية والتقدمية الفلسطينية .

ولا يمكن ان اختتم هذا الموضوع قبل ان احيي الشهيد الكبير الاستاذ احد اوائل المدافعين عن الثقافة الوطنية الفلسطينية والعربية ، والذي عجز قلبه عن النبض في يوم رفع العلم الصهيوني في سماء القاهرة .

فتحية للشقيري المثقف والاديب والمناضل ، الذي كان آخر من ودعناه في قافلة الادباء والمثقفين الفلسطينيين الذين كتبوا لفلسطين بالدم ، وربوا اجيالا من حملة الاقلام الثورية الواعدة بمواكبه المسيرة حتى النصر .

Digitized by Birzeit University Library

أين تواجه السلبيات

فيصل حوراني

اريد ان اجعل مساهمتي في هذا الاستفتاء ، الذي تنظمه « **الكاتب الفلسطيني** » ، منصبة على جانب واحد من الموضوع ، وهو المتصل بوجاهة أو عدم وجاهة المبررات التي ترد في معرض تفسير إقدام عدد من كتاب الثورة على هجر مؤسساتها . واخص من هذه المبررات تلك منها التي تنتهي الى تسويغ الهجر عمليا : حين تنسبه لضيق الكتاب من المظاهر السلبية في عمل الثورة ، وعمل قيادتها . وتناول هذا الموضوع ، كما نرى ، مثير للحساسية : من حيث ان يمس ، ولو بصورة غير مباشرة ، سلوك عدد من زملائنا ، ولانه يقترب من شؤون القيادة ، ويثير ما يثيره الاقتراب منها من اتهامات بالسلبية أو بالنفاق . ومع ذلك لا يجوز التهيب من الخوض في المسألة . ومن المفروض أن تتسع صدور الزملاء للنقد الموجه إليهم ما داموا ، هم أنفسهم ، من الذين استخدموا حق توجيه النقد للآخرين .

والاهم من هذا ان ينتهي الحوار حول هذه المسألة الى شيء مفيد ، لا أن تستغرقه أو تشتته الحساسيات الشخصية التي يثيرها ، فاللاحظات التي قد تنسحب على أي زميل بشخصه لا تعني ، أبدا ، التقليل من الاعتبار المتحقق له . وليكن هذا الفيد المطلوب أن نجيب على السؤال التالي : أين تواجه السلبيات وكيف ؟

وهنا لنتذكر أنه عندما انقطع **رامبو** عن قول الشعر وصار تاجراً للعبيد لم يثر صوت واحد محترم في فرنسا او خارجها ليبرر لواحد من شعراء **كومونة باريس** هذا الانتقال ، وذلك بالرغم من أنه جرى في أعقاب هزيمة الكومونة ، وفي ظل سطوة الرجعية والانتهازية التي أعقبتها . وما من أحد قال أن انحطاط **رامبو** ، من الثورة التي يشغلها ، وهو يمجد الحرية والحب ، إلى حضيض تجارة العبيد ، تقع مسؤوليته على القوى الثورية الفرنسية ؛ لانها لم تحقق له جو الانتصار ، أو حتى على أية قوى أخرى . وفعلته كانت ، في أول الأمر وآخره ، إختياراً شخصياً يحمل ، هو وحده ، مسؤوليته . ولعله كان سعيداً إذ تحرر من الفقر ، وحصل على فرص تحسين دخله والاستمتاع بمباهج الحياة ورضائها .

ليست عندنا حالة كهذه ، إذ ليس بين كتابنا الفلسطينيين من هو **رامبو** ، ولم تقم عندنا كومونة فتنهزم ، كما انه ما من أحد منهم تحول الى تاجر للعبيد . .

ومع ذلك فان عندنا حالات تذكرنا بها ، إذ أن عدداً من الكتاب ، ممن اكتسبوا خبراتهم وكونوا أمجادهم في مؤسسات الثورة ثم ضاقوا ذرعاً بالاعباء التي يفرضها عليهم وجودهم فيها ، استجابوا لفرص الراحة وتحسين الدخل ، وانتقلوا للعمل مع الدول النفطية ، أي في مؤسسات الثورة التي تفوق ، في القرن العشرين ، ثروات التجارة بالعبيد في القرن التاسع عشر .

ولأن هؤلاء قلة فقد كان من شأننا أن ننسى ما الوا اليه ولا نتذكر من أمرهم الا مساهماتهم السابقة في إغناء الفكر والثقافة الوطنيين ، كما كان من شأننا ايضا ان نغض الطرف عن مسعاهم في البحث عن الهناء الشخصي ما دامت غالبية كتابنا متشبثة بمواقعها في المؤسسات الوطنية ... غير ان نفرا من كتابنا شاءوا أن يجعلوا من حكاية الذين يهجرون ثورة شعبهم الوطنية وسيلة لعرض وجهات نظرهم فيما يرونه من أخطاء الثورة وسلبياتها ، وان يحملوا قيادتها مسؤولية هجرة الهاجرين . فوقعوا ، من حيث **لم يشاءوا** ، في خطأ تبرير ما هو في حد ذاته خاطيء بنسبته الى اخطاء اخرى .

واظن اننا ، جميعاً ، متفقون على أن سلبيات الثورة وأخطاءها ، سواء رؤيت بحجومها الواقعية أو مع المبالغة الشديدة الناجمة عن فرط الحساسية ، أو حتى عن سوء النوايا ، لا يجوز أن تبرر هجر المناضلين لها ، فضلا عن تبرير هجرة الطلائع المثقفة ، ولا يجوز ، ايضا ، أن تتخذ ذريعة للاعلان عن اليأس . لان هذه الثورة ، برغم السلبيات والاخطاء ، لم تنهزم ، وهي ، على النقيض ، تنتقل من نجاح الى نجاح وتكتسب الاحترام المتزايد ، حتى في أوساط خصومها .

وإذا كان من شأن أحد ما من الكتاب ، أو من غيرهم ، أن تدفعه ظروفه الخاصة او رغباته الشخصية او طريقة رؤيته للأمور إلى البحث عن مصير يبعده عن ثورة شعبه الوطنية ، فلا يجوز أن يصبح هذا مقبولا ، فضلا عن أن يصبح مستحبا . ومن المدهش ان تتبرى أصوات فلسطينية لتحمل الثورة مسؤولية انتقال هؤلاء الى المواقع المريحة التي اختاروها ، إذ لو جاز هذا ، لصار الأمر قاعدة ، ولصار من حق مئات الكوادر المثقفة المنبثه في مؤسسات الثورة كلها أن تستجيب للفرص المتاحة ، وتتوزع في أربع جهات الأرض ، حيث الأمن الشخصي أوفر والرفاه أعم والدخول أعلى ، وحيث تتيسر الراحة من أعباء النضال اليومي والابتعاد عن مواجهة المرارات التي يولدها تواتر السلبيات واستشراؤها .

Digitized by Birzeit University Library

ومن المدهش اكثر ان يكون أصحاب الأصوات المبررة هم أنفسهم ممن اختاروا أن يعضوا على النواجذ ، ويستغرقوا في معمعان الكفاح اليومي ، ويتبلغوا بالقليل الذي ينالونه بكدهم ، في حين أن الهاجرين كانوا ، في أغلب الأحوال ، من المدللين الذين لم يشكوا في مؤسساتهم من قلة في الدخل أو النفوذ أو الوجاهة . حتى لكأن على الآية ان تنقلب فيصير من واجب الصامدين أن يبرروا أفعال المترجرجين ويقدموا لهم المجاملات ، بينما يقتضي الحال ، وفق أبسط منطق ، أن يقدم الهاجرون ألف مجاملة للصامدين ، لكي يقبلوا مبادلتهم السلام .

هل نحن ازاء ضرب من الشللية تجعل نفرا من كتابنا يرون أخطاء الثورة وسلبياتها وحدها ، ولا يرون شناعة الهجرة حين يقدم عليها أصحابهم ونداؤهم ، أم أنها الرغبة في تحميل الثورة المسؤولية عن كل ما هو سلبي ، ولو كان ذلك هجرة من رعتهم وبواتهم ما يستحقون ، ومالا يستحقون ، من مراكز استخدموها هي ، بالذات ، لزيادة نفوذهم وتوسيع شللهم ، فلما ضاقت نفوسهم بقسوة العيش في ظل الثورة ، وبما يفرضه من واجبات وأعباء انطلقت السنة ندمائهم جاهدة لتلوث الاناء الذي ما فتأ يفيض عليهم باللبن والزبدة !!

ثم لماذا يصبح المصير الشخصي لأي كاتب والهموم التي توتره أهم من مصير الثورة ومن هموم شعب بأسره . وبأي منطق يستطيع الذين يبررون هجرة الهاجرين ، أن يواجهوا الكتاب الصامدين في مواقع الثورة ، وما منا واحد الا ويعرف عشرات منهم يتناوبون أو يتشاركون السكن في حجرات ضيقة ويقتسمون مخصصاتهم الضئيلة مع أسرهم الفقيرة ، ويجتهدون في المجالين كليهما . في تمجيد مسيرة شعبهم البطل وفي التصدي للأخطاء . ماذا نقول لهؤلاء إذا كان من الجائز أن نبرر أمامهم هجرة زملائهم ونتخذها ، هي بالذات ، سبباً للهجوم على قيادة الثورة ، وهم الذين يرون ويلمسون عشرات الأسباب التي تدفع الى الشكوى ، ولكنهم لا يهجرون وإنما يتصدون لها ، متوخين دفع مسيرة ثورتهم الى الأمام وتجويد أساليب عملهم ، وليس تسجيل المواقف من أجل المجد الشخصي !

ليس من مهمة الكتاب أن يستروا عورات بعضهم ، ويتصيدوا مثالب الآخرين ، وكأنهم عشيرة تتناخى على طريقة . انصر اخاك ظالماً أو مظلوما والكتاب الوطنيون ليسوا شيئاً منفصلاً عن الثورة يتعامل معها من خارجها وباستعلاء ، وبالطبع ليسوا كلهم مبرئين عن مسؤولية أخطائها وسلبياتها ، بل لعل من بينهم من هم اولى بالملوم في هذا المجال . وليس بيننا من يجهل أن بين قادة الثورة الفلسطينية عدداً يفوق المألوف من الكتاب ، في مستويات القيادة كلها ، وبين الهاجرين أنفسهم من كانوا قادة مؤسسات ذات وزن ونفوذ ، وبين هؤلاء من لم نقرأ له شيئاً ينتقد الثورة حين كان في قيادتها ، ولم يسجل له موقف يضعه مع هذا أو ذاك من الطروحات المتباينة فيها .

ولو شئنا أن نفتح المسألة من أساسها ، أي مسألة العلاقة بين الكاتب الوطني وثورة شعبه الوطنية ، فهل هي هذه . ان نبرر نكوص زملائنا ونتهم القيادة ونتصيد المناسبات لنلقي في وجهها بما هي مسؤولة عنه ، وبما هي ليست مسؤولة عنه ، أيضاً ؟ أليس دور الكاتب الوطني أهم من هذا وأدعى للاحترام ؟

ولنقل أن هجرة البعض هي شأن من أخص شؤونهم ، لا نخوض فيه ، إلا إذا أجازوا لانفسهم أن يجعلوا من همومهم الشخصية قضية تعادل قضية الوطن ، وحاولوا أن يكبروها باكثر مما تحتمل ، حتى ننتقل لما هو أهم . ولا نظن أن الكتاب الوطنيين المنزهين عن أسر الدوافع الشخصية وطغيان المزاجية يختلفون حول طبيعة المكان الذي يوجد فيه الكاتب الوطني حين تكون ثورة شعبه مشتعلة ، سواء كانت هذه الثورة ضعيفة أو قوية ، واقعة في الاخطاء أو منزهة عنها . ثم لماذا لا نسأل أنفسنا هذا السؤال الصريح . الا تختص الثورة الفلسطينية بواقع التعدد الكبير للاراء والقوى التي تسهم فيها ، بحيث صارت قادرة على ان تستوعب المثقفين من كافة الاتجاهات ، فضلا عن استيعابها لمحترفي منافقة قادة هذه القوى ، على حد سواء ؟ واين هو القمع الذي ينصب على كتاب الثورة ، ما دام اي منهم قادراً على أن يجد الحماية عند هذا الفريق او ذلك من فرقائها ، إذا اختلف مع غيره ؟

واذا كانت حجوم القمع المنصبة . على زملائنا من كتاب الاقطار العربية هي من القياس الذي نراه ونلمسه ، فهل الأمر ذاته حاصل بالنسبة للكاتب الفلسطيني في ثورتهم ؟ وهل يجوز أن نغفل ، بسبب المزاجية وليس غيرها ، عن هذا المقدار الذي يستحق التمجيد من الديمقراطية الذي يتيح لكل صاحب رأي في الثورة ان يعبر عن رأيه ، مهما تعارض مع آراء الآخرين فيها ، ثم يجد من يحميه ، منطلقاً من تقاليد الحوار الديمقراطي السائدة ، التي تصون علاقات قوى الثورة في وجه الاستثناءات القليلة التي تشذ عنها ؟ لماذا نتجاهل هذا الجانب المشرق في علاقات القوى ، تجاهلا كليا ، بينما نركز على الحالات الاستثنائية وحدها ، ونضخمها ، ونضعها في مستوى الهموم الوطنية الكبرى .

واخيراً ، اذا كانت مبررات الهجرة هي كثرة السلبيات ، فاين تتوجب مواجهة هذه السلبيات ؟ في المؤسسات الاعلامية والثقافية للدول النفطية ، حيث يأكل الحقد على كل ما هو انساني وشريف وتقدمي اكباد اصحابها ، ام في مؤسسات الثورة العديدة ، حيث الاتساع الهائل لكل الآراء ووجهات النظر ، وحيث المجال مفتوح امام اي جهد سواء كانت غايته البناء او التصحيح ؟

Digitized by Birzeit University Library

انها مسألة في غاية الأهمية .

محمد عادل

هذه المسألة لم تأخذ حجمها الحقيقي على الساحة الفلسطينية ، ولم تبادر الجهات الحريصة على خلق الجو الصحي والمناسب لمناقشة هذا الموضوع الهام والخطير بروح عالية ، تهدف الى خلق ثقافة فلسطينية ، تنبع من أصالة شعبنا وتاريخه النضالي ، في النهاية ، في بوتقة النضال الفلسطيني ، من أجل أن يكون للكلمة المناضلة دورها وأثرها الفاعلين في ثورتنا .

ونحن كفلسطينيين ، ما أحوجنا الى النهج الديمقراطي الصحيح ، وابداء الآراء بكل حرية ، ودون ارهاب ، من أية جهة كانت ... نحن أكثر الناس الذين يجب ان يمارسوا دورهم بكل حرية ، من موقع الكلمة المناضلة والمعبرة عن طموحات وأهداف شعبنا ، في تحرير وطنه وبناء مجتمعه الديمقراطي التقدمي .. ويجب ، بالضرورة ، أن لا نخضع ثقافتنا وصحافتنا لا جتهادات وتكتيكات البعض ... ان التكتيك في بعض المواقف السياسية شيء ... والثقافة المستندة الى حقنا في توعية شعبنا وترسيخ الايمان بعدالة قضيتنا وأبعادها عن كل المناورات والمساومات ، شيء أخر .. وبالتالي ، فانه لا يجوز على الاطلاق أن يعتبر البعض ما يطرحه هو الصحيح ، ومن يخالفه يجب أن يحارب بكافة الوسائل . ونحن مع الحوار الديمقراطي الذي يخدم ثورتنا ... ومع ابداء الرأي بكل حرية ، ودون اية ضغوطات . لكن الذي نشهده على ساحتنا الفلسطينية هو عكس ذلك ، حيث أن المثقفين الفلسطينيين يعانون من هذه المسألة ، ولا يسمح لهم بالتعبير عن آرائهم ، التي هي في النهاية لا تخرج عن اطار الثورة وأهداف شعبنا . بغض النظر عن وجود بعض المثقفين ممن أساؤا التقدير في الطرح ، حيث بدأوا بأخذ مواقف مسبقة من الجميع ... ولكن هذا يجب الا يمنعنا من تعاون كل الحريصين على مسألة الثقافة من أجل خلق المناخ المناسب ، لطرح هذه المسألة بكافة أبعادها داخل الساحة الفلسطينية . ووضع حد للذين يستهترون بدور المثقف داخل الثورة خاصة في ظروف صعبة وخطيرة ، كالتي يواجهها شعبنا الفلسطيني ، والتي تتطلب أن يكون للمثقف الفلسطيني الدور البارز في انماء الثقافة الفلسطينية والنضالية والانسانية ، واعطاء هذه الكفاءات دورها الحقيقي والفعال ضمن أطر الثورة ، لا أن تبقى خارج اطار الثورة ، في الوقت الذي تعاني فيه المؤسسات الاعلامية الفلسطينية من النقص في هذا الجانب .

ان هذه المسألة تتطلب من كل الحريصين على المثقف الفلسطيني أن يطرحوها بجدية ، من أجل الوصول الى صيغة صحيحة وجادة ، وان يرفعوا أصواتهم ، بشدة في وجه كل الذين يحاولون جعل المثقف أداة طيعة يحركونها في أي اتجاه ، ولايعيرون أدنى اهتمام للجانب الثقافي والفني ، وانما يهدفون الى جعلها مسألة ثانوية ، وتعامل فوقي بعيد عن الواقع الذي نعيشه ، والدليل على ذلك خراب الكثير من المؤسسات الفلسطينية والاعلامية والثقافية .

انها قضية يجب أن نوليها اهتمامنا ، وأن نعمل مع كل المخلصين من أجل أن يكون للمثقف احترامه ورأيه وحريته ودوره في صحافتنا ومؤسسات شعبنا الاعلامية ، وانها قضية يجب الوقوف أمامها وعدم الاكتفاء بالابتعاد ، والهجرة ، والحديث من بعيد ... انها قضية الجميع الذين يناضلون من أجل الكلمة الملتزمة المؤمنة بالشعب وبالثورة ، والرافضة لأساليب التسلط والهيمنة ، وعلى اتحادنا يقع العبء الاكبر من أجل حماية المثقف الفلسطيني ، واسنادة ، والوقوف الى جانبه . انها مسألة في غاية الاهمية ... وعلى الجميع أن يدرك مدى خطورتها .

Digitized by Birzeit University Library

المثقفون الوطنيون والثورة الفلسطينية

رشاد أبو شاور

– أولا –

علينا أن نسأل ما هي المهمة المركزية في حياة كل المكافحين الفلسطينيين ، سياسياً ، وطنياً ، ثقافياً ... ما هو الهم الأساسي في حياة شعبنا العربي الفلسطيني ؟

نكون أولا نكون . هذا هو الجواب وليس السؤال .

ماذا تريد الصهيونية ، ممثلة بالكيان الصهيوني (اسرائيل) ؟

انها تريد فلسطين كاملة غير منقوصة ، لأن أي نقصان يعني حيزاً قابلا للامتلاء بالوجود العربي الفلسطيني ، وهذا ما يتهدد مستقبل المشروع الصهيوني بالخطر . لماذا ؟ لأن (الفلسطينية) ، بأي شكل من اشكال وجودها ، تعني النقيض ، أو نقض الفكرة الصهيونية ، فضلا عن الوجود الصهيوني ككيان ، حتى ولو اعترفت به كل دول الغرب ، وفي مقدمتها أميركا ،هي الخطر ، على الصهيونية وكيانها المؤقت في فلسطين لأنه ينجم عن بقاء الشخصية الفلسطينية ، أو نهوضها .

الثقافة العربية عند الفلسطينيين لعبت الدور المشرف في مجابهة النفي والاقتلاع والشعور بالدونية ، وزرعت فلسطين في أعماق الأجيال الفلسطينية الطالعة ، والتي راهن الصهاينة واسيادهم الامبرياليون على انها ستنسى ، وأن الزمن كفيل بحل القضية الفلسطينية ، هذا فضلا عن الرهان بأن الأجيال الفلسطينية التي ستولد في المنفى ، لا بد ستذوب في الوطن العربي الكبير .

ولكن ، ما الذي حصل ؟ الجيل الفلسطيني الذي اقتلع من وطنه ، والذي كابد هزيمة ١٩٤٨ لم يمت ، لا لأنه مخلد ، ولكن لأنه نقل جغرافية فلسطين وتاريخها الى جيل المنفى ...

– ثانياً –

الثقافة ، من شعر وقصة ، وخطابة ، وحكايات بطولات تروي شفويا ، .. وفيما بعد الرواية ، والمحاولات المسرحية ... باختصار ، كل مناحي الثقافة ، لعبت دوراً هاماً في (زرع) فلسطين في (روح) الأجيال الفلسطينية ، وبهذا عاشت فلسطين (في) الفلسطيني ، الذي لم يعش ، ولم ير وطنه فلسطين . **كل الناس في هذا العام يعيشون في أوطانهم ، إلا الفلسطيني ، فوطنه يعيش في داخله .**

المثقف الفلسطيني لم يأت الى الثورة كضيف شرف في الأفلام ، .. لقد أسهم في صنع

Digitized by Birzeit University Library

الثورة ، بل بشر بها ، **وناداها** ، وتجاوز مع شعبه مرحلة الندب والبكاء ، والوقوف على الاطلال .

ثم ، يجب أن ننتبه ، فالثورة الفلسطينية ، التي أطلقت شرارتها في الفاتح من عام ١٩٦٥ ، ليست أول الثورات في تاريخ شعبنا العربي الفلسطيني . لقد خاض شعبنا بفلاحيه وعماله ، وبقية فئاته الوطنية ، في الريف والمدينة أشد المعارك وأكثرها بسالة ضد الانتداب البريطاني ، وفي مواجهة التسلل الصهيوني .. وشعراء شعبنا ، وكتابه ، وصحافيوه ، ومفكروه كانوا في قلب الحدث والفعل الثوري ، ولم يكونوا متفرجين ، أو على الهامش ... الذين كانوا كذلك طواهم التاريخ ، وبددهم النسيان ، لأن لا مكان لهم في ذاكرة شعبنا المكافح منذ مطلع هذا القرن ، بل منذ نهاية القرن التاسع عشر ، والمتصدي بدمه ولحم أبنائه للهجمة الصهيونية .

ـ ثالثاً ـ

بعد إبعاد الدكتور المؤسس الباحث المفكر ، **انيس صايغ** عن رئاسة مركز الأبحاث ، وبعد اضطرار شاعر فلسطين الكبير **محمود درويش** الى الهجرة ، وحمله فلسطينه في داخله ، والرحيل بها ، وبعد هجرة الدكتور ، **المربي سعيد حمود** ، مسؤول صندوق الطالب الفلسطيني ، والذي أعطى الكثير ، وساعد كثيرين من الطلاب الفلسطينيين الفقراء فعلا ، والمحتاجين للمساعدة فعلا ، .. وبعد عمليات القهر للفنانين والمبدعين وتحويلهم الى أشخاص يعيشون حالة مقنعة ، يداومون في المكاتب بلا فاعلية ، أو فعل ، وبعد أن يئس السينمائيون من إعداد افلام مكررة مملة .. ومن انتظار ان يفسح لهم ليبدعوا ، لا ليكونوا وسائل إعلامية ، أثيرت الاسئلة حول علاقة المثقف بالثورة ، أو بالأصح علاقة المثقف الثوري بالعمل السياسي اليومي ، أو الراهن ، الذي يريد تحويل المثقف الى برغي في آلة الأعلام ، لا أكثر .

عبد القادر ياسين ، قال في الكاتب الفلسطيني[١] . « وليس في الأمر ما يثير الاستهجان ... اذ أن المثقف الوطني يصاب بالقرف من تراكم الاحباطات . وهذا لا يعني أنه لم يحاول ، بل حاول وفشل ، مرات ومرات ، وأخيرا قرر الأفلات » . ثم أضاف . « وليس سرا أن المقاومة الفلسطينية تعاني من أمراض الثورات ، ولكن بشكل مضاعف ، ربما بسبب الافتقاد الى الأرض والنظرية ... »

ما قاله ، أو كتبه **عبد القادر ياسين** صحيح تماماً ، فالثورة الفلسطينية تعاني من الافتقار إلى ... ارجو أن يسمح لي الأخ عبد القادر بتعديل طفيف وهو . ... الافتقاد الى الأرضية النظرية .

نحن في حركة تحرر وطني ، لا يقودها حزب ثوري ، لانه ، وأسفاه غير موجود ، ولهذا توجد الأخطاء ، والأرباكات ، والأشكالات السياسية ، وعدم الوضوح في العلاقات السياسية ، وضعف العلاقات مع الجماهير ، ... ولذا يسود الاعلام التبشيري ، ويراد للمثقف الثوري أن يكون (مؤديا) لدور صغير ، كأنه كومبارس رديء في فيلم أو مسرحية ، وكل هذا بحجة صعوبة الظروف ، ودقتها ، وتربص المتربصين ، والفائدة التي يجنيها الأعداء .. يا سلام على الحجج الغوغائية ؟

السيد محمد اسماعيل كتب على غلاف فلسطين المحتلة[٢] . « وهكذا .. فان المناضلين الخلص ، هم صناع التاريخ ، وهم الذين يحفرون بأقدامهم وأقلامهم مجرى حياة شعبهم ، صعدا إلى قمم الاستقلال والسيادة والتحرير . وأما من راحوا يفتشون بين ثنايا هذا المجرى عن موقع ، هنا أو هناك ، لعلهم يستترون خلفه فهم الغثاء » .

Digitized by Birzeit University Library

أنا اسأل ، من هم الذين راحوا يفتشون ... ؟

الذين يفتشون ، حتماً ، لو حدث و ... أبعدوا عن المواقع التي يشغلونها ، فأنهم حتماً ، لن يجدوا عملا ، لا في وسائل الأعلام الرسمية ، ولا الليبرالية ، ولا التقدمية ، لأنهم يصلحون لأي شيء باستثناء المواقع الاعلامية التي يحتلونها ... على كل لا أظن أن **محمد اسماعيل** يقصد بكلامه الاساتذة – بكل ما في كلمة استاذ من معنى – الدكتور **انيس صايغ** الشاعر الكبير **محمود درويش** الدكتور **سعيد حمود** .. بالمناسبة ، هؤلاء الاساتذة قادرون على الحصول على العمل ، وبشروطهم ، وفي مواقع نظيفة ، وليس في الثنايا ، أو .. التكايا !!

يضيف **محمد اسماعيل** : في الوقت الذي يكابر – يبدو أنه يقصد يكبر – فيه المناضلون على الجراح ، ويلملمون آلامهم ومعاناتهم على الدوام ، ويمارسون (الشفافية المستقبلية) ويعبرون من خلالها (مخاضات الواقع) بكل زواياه ، مقتحمين تعرجاته وانكساراته وانحناءاته » .

انتهت جملة الاستاذ **محمد اسماعيل** .... انها جملة مدهشة فعلا ، فالذين يعبرون المخاضات ويكابرون أو (يكبرون) على الجراح ، يفعلون كل هذا ، أو يجترحون كل هذه المعجزات .. كيف ؟ .. بنظرية ثورية لم نسمع بها من قبل ، وهي ، إن ثبتت صحتها ، ستشكل ثورة أيديولوجية في عصرنا ، تتجاوز الفكر الماركسي ، والفكر الاسلامي ، والأديان بشكل عام ، والنظريات والأفكار القومية ... إنها – انتبهوا – نظرية الشفافية الثورية ... وهي نظرية شفافة جداً مثل ثوب الملك في قصة هانس اندرسن ..

ما هذا الكلام الشفاف ، ما هذا النظرية الشفافة ؟ .. الله وحده يعلم ، أو ، كما يقولون ، المعنى في بطن الشاعر ، وهنا تكون الشفافية في بطن الشفاف ، أو صدره ، أو مزاجه .. وشفاف عن شفاف يختلف ؟ !

والأخ **محمد اسماعيل** يضيف . أما الاقلام الأصيلة الملتزمة ، والأنفاس الثورية الحقيقية – طيب الله الأنفاس – التي التصقت بسيمفونية الثورة .. منذ البدء ... الخ .

ما هي الاقلام الأصيلة ؟ وما هي سيمفونية الثورة ؟ .. هل هي السيمفونية الثالثة ، أو الخامسة ، أو التاسعة لبيتهوفن ، أم هي إحدى السيمفونيات الرومانتيكية الانفعالية لبرامز ؟ – .. أم أنها سيمفونية (خليط من كل المذاهب والفنون ، والمدارس ..) .. ولكنها بلا بناء ، والعزف فيها متنافر ، والبنائية مفقودة ؟

هل يقصد الاستاذ **محمد اسماعيل** بالشفافية ما يحاول علماء النفس البرهنة عليه ، وهو أن توجد لدى الانسان حاسة سادسة ؟ وهل إذا كان الأمر كذلك ، تكون الثورات ، وتسيير أمورها بالحواس ؟ .. وماذا لو تناقضت الحواس والشفافيات أخي محمد ؟

– رابعاً –

الاستاذ **فيصل حوراني** كتب(٣) . « وقد حان الوقت ، فيما أظن ، للتشدد ، لوضع أسس تساعد على الغربلة ، فتفرز المواهب المقتدرة عن الخليط من مستسهلي الانتاج ، وتتيح إمكانيات أرقى للتقييم ، وهذا في نظري واجب مشترك ، ينبغي أن يضطلع به كل من قيادة الثورة ، وقيادات المؤسسات الفلسطينية ، و لا أظن أنه واجب سهل التنفيذ في الممارسة ، وخاصة بعد أن أدت السهولة ، ذاتها ، إلى تغليب مواقع حشد من الأدعياء والمنافقين .. » .

فيصل يدعو للتشدد ، وهو يريد لقيادة الثورة أن تمارس هذا التشدد ... ولكنه لا يوضح لنا ، بالضبط ، كيف يكون التشدد ، .. هل يكون بارسال مجموعات لاقتحام مركز الأبحاث ،

Digitized by Birzeit University Library

مثلا ، كما حصل ؟ أو يكون بحصار واقتحام مقر الامانة العامة **للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين** ، تحت ذرائع واهية ؟

فيصل يدعو القيادة في المؤسسات والثورة ، وبقي أن يدعي أو يستدعي ، مثلا ، أجهزة أمن الثورة لتطهير وتنقية الحركة الثقافية الفلسطينية ... ؟

لقد حصلت تغيرات ، أو بالأصح تغييرات في المؤسسات الفلسطينية ، فمثلا الآن يشرف على مركز الأبحاث ومجلة شؤون فلسطينية السيدان **صبري جريس و .. فيصل حوراني** ، بدلا من الدكتور **انيس صايغ** والشاعر **محمود درويش** والناقد **الياس خوري** ... فهل استقامت الامور وتحسنت احوال البحث والفكر والثقافة ، .. وهل انتهت (مواقع) النفوذ استاذ فيصل ؟

وهل انتهى النفاق أم أنه ابتدأ ؟ .. هناك وجهات نظر ، بعضها ناجم عن المنفعة ، وبعضها ناجم عن عدم الايمان بتحرير فلسطين ، بل لان بعض دعاة (التغيير) يسخرون من كل من يفكر بأن فلسطين عربية ، وبأنه يجب تحريرها مهما طال الزمن ، وهؤلاء هم الذين يصفهم الاستاذ **فيصل حوراني** بأنهم يزاودون باسم الكتابة لفلسطين بالدم .

فيصل حوراني يستشهد بما قاله الشاعر **معين بسيسو** ، فيكتب في نفس المقال . « واذكر ، في هذا الصدد ، ما قاله **معين بسيسو** مرة ، في مناقشة شعار إتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين عند تأسيسه ، وكان الشعار ، ومـا زال ، (نكتـب بالـدم لفلسطين) . ـ[الصحيح هو . بالدم نكتب لفلسطين . لكن فيصل لا يحب الدم ، وانما يحب الكتابة المريحة .. ولماذا تحرير فلسطين ووجع الرأس ؟ !! يضيف الاستاذ فيصل] . **فعلق** معين (يكتبون بالدم لانهم لا يعرفون كيف يكتبون بالحبر ، وكان تعليقا سديدا) » .

الاستاذ فيصل لا يعلم بأن اثنين من واضعي هذا الشعار ، هما **غسان كنفاني** ، **وكمال ناصر** .. اللذين أجادا الكتابة بالحبر لفلسطين ، وكتبا لها قبل ذلك بدم القلب ، ثم بدم الجسد والروح .

أن بعض الأعضاء في اتحادنا لا يجيدون الكتابة فعلا ، .. اللهم الا ذلك النوع من الكتابة ... ولكن من الذي فرضهم على اتحادنا بهدف السيطرة على الاتحاد بأصوات الجهلاء ؟

لقد خضنا في قيادة الاتحاد معركة مريرة من أجل التخلص من اولئك الذين (فرضوا) على الاتحاد ، وأظن الاستاذ فيصل يعرف هذا الأمر خاصة وهو نائب رئيس فرع الاتحاد في القطر العربي السوري ، والأخ **يحي يخلف** ، مسؤول الشؤون الداخلية في الاتحاد ، خاض معركة في بعض الفروع مع رفاقه في الأمانة العامة من اجل التخلص من (المفروزين) كتباً .

الاستاذ **فيصل حوراني** استهل عهده في شؤون فلسطينية بنشر مقال طويل حول التغير في **الميثاق الوطني الفلسطيني** ... انه سعيد بعملية الفرز ، .. فهاهم سديدو الـرأي ، الواقعيون ، الذين هم مع تعديل **الميثاق الوطني الفلسطيني** (المتشنج) الذي يلح على عروبة فلسطين .. قد جاءوا .. إذن ففيصل يلعب سياسة ، نحن لا ننسى روايته (المحاصرون) ، التي وظفها لتحقير والسخرية من أحد قادة المقاومة ، لأنه يدعو للتحرير الكامل ، ولمواصلة المعركة ، وإمعاناً في السخرية أسمى ذلك القائد (أبو الملاحم) أما البطل الحقيقي ، الواقعي فأعطاه اسم (خالد) ... أيذكركم اسم خالد بأحد القادة الحزبيين الواقعيين ؟ أليس هذا هو النفاق الذي يدينه الاستاذ **فيصل حوراني** ؟

. **الكاتب الاستاذ يحي يخلف يقول**[٤] . « في تاريخ الثورات ، وفي بعض المراحل ، كانت هناك وصاية على الثقافة ، كما حدث أثناء الثورة الروسية ، وما حدث في مرحلة **جدانوف** من رقابة على الكتاب والفنانين أضر وأساء كثيراً للثقافة الروسية وارتبطت تلك المرحلة تاريخيا

Digitized by Birzeit University Library

بلون أسود قاتم » .

ويضيف . « أعتقد أن سوق هذا المثل هام وضروري للتأكيد على ضرورة رفع الوصاية القيادية عن الثقافة ، بشكل عام ، والأدب ، بشكل خاص » .

الدكتور فيصل دراج يؤكد[٥] . « فالنضال من أجل ثقافة ديمقراطية ، من أجل ثقافة جديدة ، هو نضال سياسي في أثاره ، ولا يستطيع أن يتقدم ويقتحم مواقع الثقافة القديمة إلا إذا كان مرتبطاً بقوى سياسية حقيقية تدافع عن قيم الثقافة الديمقراطية » .

ترى بمن ترتبط ثقافة الاستاذ **فيصل حوراني** ، الى أين تعود سياسياً ؟ ... الثقافة التي يريد للفرز أن يتم على أسسها ؟ ... سياسيا ، أنها واضحة ، بل ومكشوفة تماماً .. الاعتراف بالأمر الواقع ، أي الكيان الصهيوني ، والكف عن الكفاح المسلح ، والتخلي عن شعار تحرير فلسطين ، وتغيير **الميثاق الوطني الفلسطيني** ... فقط .

عبد القادر ياسين ، تحت عنوان . الثورة الفلسطينية والمثقفون ، وفي معرض تقديمه للمحور الثقافي الذي يناقش علاقة المثقف بالثورة ، كتب .[٦] وليس تناقض ذا شأن بين القيادة والمثقفين .. وفي السطر الأول قال . المثقفون هم عقل الثورة وضميرها .

وهذا الكلام لم يرق لبعض المثقفين ، من مواقع مختلفة ، علما بأن بعضهم دعوا للادلاء بآرائهم لكنهم ماطلوا ، وتهربوا من قول الكلمة التي قد تجر عليهم الغضب ، أو تتسبب لهم ببعض الحرج .

هل أنا مع ما كتبه الاستاذ عبد القادر ياسين . ؟ .. لا ، أنا أرى بأن الثقافة استراتيجية ، ولذا فهي ضد كل ما من شأنه أن يفرط بحبة من تراب فلسطين ، ليس من منطلق العواطف ، أو عدم معرفة موازين القوى ، أو ظروف المرحلة الراهنة ، **ولكن من منطلق أن الثقافة يجب أن تعبىء الجماهير الفلسطينية والعربية بضرورة استمرار ومواصلة الكفاح ضد الخطر الصهيوني ، حتى يتم القضاء عليه تماماً .. الثقافة شيء والاعلام شيء اخر ، .. ومن هنا نشأ الخلاف بين كثير من المثقفين والقيادات ، أو بعض القيادات الفلسطينية ، الثقافة لا تبشر ، لانها ليست للاستهلاك ، ليست مؤقتة ، انها مستمرة ، وهي لم تأت من فراغ ، انها استمرار ، .. وهي ترفض التفريط والتنازل ، ليس صدفة أن الاغلبية الساحقة من المثقفين (الرافضين)** في الساحة الفلسطينية لا ينتمون الى جبهة الرفض ، بل هم ينتشرون في منظمات المقاومة الفلسطينية الأخرى ، .. أو خارج أطر المنظمات .

ـ خامساً ـ

وبعد .

هناك أسئلة ،

أين هي السينما الفلسطينية ؟ .. لماذا لم ينتج عندنا أي فيلم روائي ، في حين كثرت الأفلام الدعاوية ، الاعلامية ، ؟

أين هو المسرح الفلسطيني ؟ .. اليس لدينا كوادر ؟ .. أنهم يأتون .. لكنهم يرحلون بسبب من الجهل الذي يمارسه البيروقراطيون المتخلفون .

أين هي الفرق الفنية الشعبية .. الفرق التي تغني .. وتقدم الفن الفلولكلوري ؟ لماذا نجحنا في كل ما هو فردي ، أقصد الشعر،القصة ، الرواية ، النقد ، .. الى ماذا تشير هذه الظاهرة ؟

انها أسئلة حول الثقافة ، غير معزولة عن السياسة ، ومستقبل ثورتنا وقضيتنا ، ومن

Digitized by Birzeit University Library

حقنا نحن الذين نكتب بالحبر والدم لفلسطين العربية ، الواحدة ، الكاملة ، .. أن نطرحها .. وبعد . فلا (خالد) الا الشعب ، ولا يتخلد الا الثقافة الديمقراطية التقدمية .. وطريق فلسطين طويل ، ولا بد أن يسقط على الطريق في امتحان الصلابة أفراد ، وأحزاب ، وقوى قصيرة النفس .

قال محمود درويش :

الذي ما له وطن
ما له في الثري ضريح
ونهاني عن السفر

وبعد سنوات قال .
وطني ليس جدار
وأنا لست حجر

وفلسطين تظل في داخل أي مؤمن بها ، حيث كان .. ومن يصعد بأسمها ، على مجد ثوارها ومثقفيها ، دون الالتزام بها عرقاً ودماً وفكراً .. لا بد ان يسقط ، لأنها ليست سلماً ، انها قبر للنفاق ، والتقاعس ، والانتهاز ، كم نظام سقط باسمها ، وبسببها ؟ كم حزب ، وفرد ، اندثروا ، ونسوا بسببها ؟

ولكنها ، قضية وشعباً ، لا تنسى ابناءها الذين كتبوا بالدم لها ، ولوحقوا .. واغتيلوا ، وعانوا .. وما زالوا على العهد .. وسيظلون .

حواشي

١ ـ كلمة الكاتب ، المثقفون الفلسطينيون والحركة السياسية ، **الكاتب الفلسطيني** العدد العاشر ، ٢ تشرين الأول ١٩٧٩ .

٢ ـ **فلسطين المحتلة** ، العدد ٢١٤ عام ١٩٧٩

٣ ـ نشرة (الصورة) ، التي تصدر عن مؤسسة السينما الفلسطينية ـ العدد الرابع ، تشرين ٧٩
٤ ـ نفس المصدر .
٥ ـ نفس المصدر .
٦ ـ **الكاتب الفلسطيني** ، عدد ١١ ، كانون الثاني ١٩٨٠ .

Digitized by Birzeit University Library

مصير جامعة الدول العربية

خمس وثلاثون سنة انقضت على انشاء جامعة الدول العربية . وهي من الظواهر التي أثارت جدلا ، لا زال دائرا حتى الآن . وتركز حول طبيعتها ، ومبررات وجودها ، وفعاليتها ، وجدواها ، وعما إذا كانت تخدم الانظمة الرجعية وتكرسها ، أم أنها تفتح الباب أمام احتمالات التغيير ، وليست عقبة في وجه التغيير ... الخ .

وحول جامعة الدول العربية كتب ثلاثة من الكتاب والباحثين . **أحمد الشقيري** محاولا ابراز امكانيات تطوير الجامعة ، **وعبد القادر شهيب** عن الازمات التي مرت بها الجامعة ، وأخيرا كتب **عبد الحميد محمد موافي** عن موقع منصب الأمين العام في الصراع بين الدول العربية .

ويهمنا هنا أن نلفت الانتباه الى أننا ننشر مقال موافي دون ان نتفق معه في افراغه الصراع بين الانظمة العربية من محتواه السياسي ، واظهاره إياه وكأنه صراع جغرافي أو جنسي ! لكن اعتراضنا هذا لم يمنعنا من فتح الباب لمائة زهرة علها تتفتح .

Digitized by Birzeit University Library

مدخل الى دراسة شاملة عن تطوير جامعة الدول العربية

أحمد الشقيري

في ٢٩ مايو (أيار) ١٩٤١ أدلى المستر أنطوني ايدن ، وزير خارجية بريطانيا ، بتصريح في مجلس العموم البريطاني .

وكان لهذا التصريح اثر هام في حياة العرب السياسية فقد نتج عنه انشاء جامعة الدول العربية.

وقد تلقف قادة العرب ذلك التصريح البريطاني ، فبدأوا التشاور فيما بينهم ، لانشاء الجامعة العربية . وكان زمام المبادرة بيد مصر في هذا الشأن ، فتولت دعوة الدول العربية الى اجتماعات ومشاورات افضت ، في النهاية ، الى انشاء منظمة عربية عرفت باسم« **جامعة الدول العربية** »،وضع لها ميثاق ، تم اقراره بعد سلسلة من الاجتماعات . وفي ربيع عام ١٩٤٥ انعقد ، في القاهرة ، المؤتمر التأسيسي ، الذي تم فيه توقيع ميثاق الجامعة العربية بصيغته النهائية ، من قبل سبع دول عربية .

وتوالى بعد ذلك قيام دول عربية مستقلة حتى اصبحت الجامعة العربية مؤلفة من ثلاث عشرة دولة عربية في عام ١٩٦٧ . وانضمت ، فيها بعد ، دول عربية أخرى ، كل واحدة منها عند استكمال استقلالها ، حتى أصبحت الجامعةالعربية مؤلفة ، كما هي الآن ، من اثنين وعشرين دولة .

تلك هي سيرة نشوء الجامعة العربية في كلمات قليلة ، بعد أن مضى على تأسيسها خمسة وثلاثون عاما .

وقبلباشرت **الجامعة العربية**نشاطاتها ، خلال هذه المدة الطويلة ، فعقدت عدة اجتماعات عادية وغير عادية ، ومارست شؤونا عربية متعددة ، سياسية واقتصادية واجتماعية .

وقد واجهت **الجامعة العربية** ،اول ما واجهت ، حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وكان للهزيمة العربية في تلك السنة أثر خطير على مصير الجامعة ، وفاعليتها ، وثقة الراى العام العربي والدولي بها .

ثم توالت الأحداث على **الجامعة العربية**فكشفت ، في جملة ماكشفت ، عن ضعف الجامعة ، ميثاقا ، وهيكلا وسلوكا .

كما ظهر ، بصورةواضحة ، ان الدول العربية الأعضاء لم تمنح الجامعة الاختصاص الكامل لمعالجة القضايا العربية ، وخاصة الاقتصادية منها .

وعلى العموم فأن الدول العربية قد أولت الأمم **المتحدة**من المساندة والتأييد ما لم تمنحه لنظمتها ، التي هي أولى بالثقة والرعاية في توفير أسباب النجاح ، بل انه حدث ، غير مرة ، ان لجأت بعض الدول العربية الى المنظمة الدولية وتجنبت المنظمة العربية . وكان مقدرا ، في بعض الحالات ، أن تتولى المنظمة الدولية حل الخلافات العربية في معزل عن الجامعة العربية .

وكانت الحصيلة النهائية للمقارنة بين **الجامعة العربية**والامم **المتحدة**أن المنظمة الدولية قد حققت في الوطن العربي نشاطات وانجازات لم تستطع **الجامعة العربية**أن تقوم بمثلها في وطنها ، وكان وجه الغرابة ، في هذا المجال ، أن الدول العربية قد يسرت **للأمم المتحدة**القيام بأنشطة لم تسمح بمثلها **للجامعة العربية** ،وهي منظمتها ، ولا يتسع المجال لذكر الأمثلة على ذلك ، فانها معروفة ، ويكفي أن نعلم انه مامن عاصمة عربية الا وفيها مؤسسات **للأمم المتحدة**تؤدي دورها كاملا ، من غير قيود ولا عوائق ، على حين أن **الجامعة العربية**لاتملك مثل هذه المؤسسات في عواصم اقطارها ، ومكاتب **الأمم المتحدة** الاعلامية انما هي مثل واحد على ذلك .

وقد أصيب الراي العام العربي بخيبة أمل كبيرة ازاء منظمته ، وشارك عدد من المسؤولين العرب في الحملة على **الجامعة العربية** ،والتنديد بسلوكها وعجزها عن تحقيق طموحات الأمة العربية ، حتى بدا ، لأول وهلة ،بأن **للجامعة العربية**شخصية مستقلة عن شخصية الدول العربية ، وسياداتها ، وانها تملك ارادة منفصلة عن ارادة الدول

Digitized by Birzeit University Library

العربية ،ثم ان الخلافات التي نشبت بين الدول العربية قد كانت سببا آخر في الحملة على **الجامعة العربية** ،والتهوين من أمرها ، وتضافرت كل هذه الأسباب في استهانة المواطن العربي **بالجامعة العربية**والتقليل من شأنها ، ولا يغيب عن البال ان قادة العرب الذين عملوا على انشاء **الجامعة العربية**قد قاموا حملة اعلامية كبرى ، في الأصل ، فأدخلوا في روع المواطن العربي أن **الجامعة العربية**ستكون قادرة على تحقيق آمال العرب الكبرى ، في الوحدة ، وقد أسميت المشاورات التي جرت في الاسكندرية لتأسيس **الجامعة العربية**باسم« مشاورات الوحدة العربية » ، ولكن ما أن اطلع المواطن العربي على الميثاق الذي صاغه قادة العرب حتى رأوه بعيدا عن تحقيق الوحدة العربية ،ولو في خطوات تمهيدية ، ذلك ان الميثاق قد قام على أساس التعاون والتنسيق بين الدول العربية ،في حدود الرضا والامكان .

وقد جرت محاولات متعددة لأعادة النظر في ميثاق الجامعة ، عبر الأعوام الخمس والثلاثين الماضية ولكن هذه المحاولات لم تكن جادة ولا عميقة .

وبدلا من معالجة أمور الجامعة معالجة جذرية ، فقد لجأت الدول العربية الى وسائل خاطئة لتصحيح أوضاع **الجامعة العربية** ،وكان من أهم هذه الوسائل الخاطئة أن اتجهت الدول العربية الى تقليد**الأمم المتحدة** ،فراحت تنشيء العديد من المؤسسات والمنظمات ، على نحو ما هو جار في **الأمم المتحدة**وقد فات الدول العربية أن **الأمم المتحدة**منظمة عالمية لا اقليمية ، وانها تتحمل مسؤوليات عالمية تتطلب منظمات متعددة ووكالات متخصصة ، وهذا لاينطبق على **الجامعة العربية** .

ومما يجب توكيده أن أبرز مظاهر الضعف والعجز في **الجامعة العربية**قد تمثل في النواحي الاجتماعية والاقتصادية ، واذا كانت الجوانب الاقتصادية لم تلق العناية الكافية في ميثاق الجامعة، بسبب أن الدول العربية المؤسسة للجامعة كانت دولا فقيرة تعتمد على العون الأجنبي ، فان الثروات العربية الكبرى التي امتلكتها الدول العربية بعد تأسيس الجامعة ـ هذه الثروات كان يجب أن تجد مجالا لنشاطها في اطار **الجامعة العربية** ،بما يجعل الوطن العربي سوقا عربية واحدة وساحة متكاملة للنشاط الاقتصادي العربي ، بحيث تصبح الدول العربية ، منفردة أو في مجموعها ، قوة اقتصادية لخير الأمة العربية وعزتها وقوتها ، وهنا وقعت الدول العربية في خطأ آخر ، أصاب الجانب الاقتصادي ، وبدلا من أن يكون عمل **الجامعة العربية**قائما على خطة اقتصادية واحدة ، تتناول الوطن العربي بأسره والثروة العربية بكاملها ، فقد تعددت الأجهزة والمنظمات الاقتصادية ، وبذلك تبددت الجهود ، وقل الانتفاع بالثروة العربية .

وكان من نتائج هذا التعدد أن أصبح في داخل **الجامعة العربية**بضع عشرة منظمة ومؤسسة قليلة الجدوى والفائدة ، كما تعددت صناديق التنمية في البلاد العربية ، وكان الأجدر أن تتجمع كل أموال التنمية العربية في مؤسسة واحدة ، في اطار **الجامعة العربية** ،ويكون الوطن العربي هو الساحة الواحدة للثروة العربية .

وفي هذا المجال فأننا لانستطيع أن نقاوم الاستشهاد بالانجازات التي حققتها جماعة**السوق الاوروبية** ،وهي أقصر عمرا من **الجامعة العربية** ،فقد استطاعت المنظمة الأوروبية ، عبر العشرين سنة الماضية ، أن تجعل من أوروبا الغربية ساحة اقتصادية واحدة ، ومن الأنسان الأوروبي مواطنا اوروبيا واحدا ، فضلا عن أن الأشهر الأخيرة قد شهدت برلمانا أوروبيا واحدا ـ كل تلك وراء الأمل الأكبر في اقامة أوروبا المتحدة ، بين دول لا تملك ما نملك من مقومات الوحدة ، في اللغة الواحدة والتاريخ الواحد والمصير المشترك .

ولمناسبة انتقال **الجامعة العربية**الى تونس ، فقد تصاعدت الأصوات في المحافل العربية الرسمية وغير الرسمية ، بأن الظروف كلها تلح على اعادة النظر في **الجامعة العربية** ،بصورة جدية ، حتى تستطيع أن تؤدي رسالتها لخير الأمة العربية .ومما يضاعف في هذا الالحاح والاصرار أن الظروف التي كانت تسود الأمة العربية يوم نشوء **الجامعة العربية**قد تبدلت ، أساسيا ، في كثير من الأمور الهامة .

من هذه الأمور أن الوطن العربي كانت معظم أجزائه تحت الاحتلال الاجنبي ، يوم نشوء **الجامعة العربية** ،سواء كان هذا الاحتلال لفرنسا أو ايطاليا أو بريطانيا أما الان فقد بلغت الدول العربية كلها حريتها وسيادتها في المشرق العربي والمغرب العربي على السواء .

ومنها أنه اكتشفت للأمة العربية ثروات طبيعية ضخمة ، وفي مقدمتها البترول بعد أن كانت الدول العربية في عداد الدول الفقيرة بل انها كانت الى عهد قريب عالة على المعونات الاجنبية وما يستتبع ذلك من سيطرة سياسية . أما الان فقد أصبح عدد من دول الجامعة يملك ثروة ضخمة لها تأثير كبير على الاقتصاد العالمي ، دون أن تؤدي هذه الثروة العربية دورها الكامل في بناء اقتصاد عربي مزدهر وفي دفع الاقطار العربية الى تنمية اقتصادية تصل بالعالم العربي الى الاكتفاء الذاتي في الغذاء وهو اول متطلبات الحياة القومية السليمة . وكذلك فان هذه الثروة العربية كفيلة بأن تبني للأمة العربية قوة عسكرية ذاتية تستطيع بها أن تواجه العدوان بصورة جماعية في

Digitized by Birzeit University Library

اطار خطة متكاملة لبناء القدرة العربية وهذا ما تخلفت الدول العربية من القيام به في اطار الجامعة العربية « وبقي هذا الجهد افراديا لا جماعيا .

وفي هذا المجال لابد من التوكيد بانه بدلا من ان تبني الدول العربية الاثنتان والعشرون قوى عسكرية متعددة وتقتني اسلحة متنوعة ، فانه ليس صعب المنال على الجامعة العربية في اطار خطة شاملة متكاملة أن تبني قوة عربية ذاتية واحدة ، يكمل بعضها بعضا ، ويكون الوطن العربي ميدانها وساحتها ، ولسنا نريد أن نمضي طويلا في سرد ما تخلفت الجامعة العربية عن انجازه ، ولا في تفصيل الانجازات الكبرى التي كانت تستطيع الجامعة العربية تحقيقها وبلوغها ، وخاصة ان الأمة العربية لا تعدم وسائل تحقيقها .

ويكفينا ،القول بعد هذه المقدمة الوجيزة ، أن نقرر بكل صدق وامانة أن الحاجة تلح على تطوير الجامعة العربية ،تطويرا جذريا وأساسيا ، سواء فيما يتعلق بميثاقها أو مؤسساتها أو بالاتفاقات أو المعاهدات التي انبثقت عنها ويكفينا ، توكيدا لهذا المعنى ، أن نشير الى حقيقة أساسية ، أنه منذ أنشئت الجامعة العربية لم تغير كل شيء في الوطن العربي ،الا الجامعة العربية ،فقد بقيت على حالها الذي نشأت فيه ، يوم كانت الأمة العربية فاقدة السيادة الوطنية ، يسودها الفقر والتخلف والغياب عن الساحة الدولية .

واذا كانت كل الظروف العربية والدولية تدعو الى تغيير جذري شامل وكامل للجامعة العربية ،فان الواجب يلح بأن يكون هذا التغيير مدروسا دراسة علمية ، حتى تصبح الجامعة العربية اداة أفضل واقدر على تحقيق آمال العرب ، في هذه المرحلة الخطيرة التي تمر بها الامة العربية ، وخاصة أن الامة العربية تواجه ، هذه الايام ، أخطارا أشد مما كان قائما في الوطن العربي في المرحلة التي تأسست في غضونها ، الجامعة العربية ، في أواسط الاربعينات .

ومن أجل جامعة افضل وأفعل ، فقد اعددنا هذه الدراسة الكاملة .. وانه من حسن حظ صاحب هذه الدراسة انه واكب الجامعة العربية منذ نشوئها ، فقد كان الممثل الشخصي للرئيس السوري الراحل شكري القوتلي ،طيب الله ثراه ، وبهذه الصفة فقد شارك في مشاورات الوحدة العربية التي انعقدت في قصر انطونياس في الاسكندرية، لإنشاء الجامعة العربية ،وقد واكب مراحل العمل التأسيسي الذي أدى في النهاية الى توقيع الميثاق ...

ثم شاءت الظروف ، فيما بعد ، أن يصبح صاحب هذه الدراسة الأمين العام المساعد في الجامعة ، في عهد أمينها المرحوم عبد الرحمن عزام باشا ،واستمر في هذه الصفة في عهد أمينها اللاحق ،عبد الخالق حسونة باشا ...ثم شاءت الظروف كذلك ، فساهم صاحب هذه الدراسة في العديد من اجتماعات مجلس الجامعة ، حينما كان وزير دولة في المملكة العربية السعودية لشئون الأمم المتحدة .

وتوالت هذه المساهمة في مسيرة الجامعة العربية حينما أصبح صاحب هذه الدراسة ممثلا لفلسطين في مجلس الجامعة ، وفي مؤتمرات القمة في القاهرة ،والاسكندرية ، والدار البيضاء ،والخرطوم ، بعد أن مارس صاحب الدراسة واجباته كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية .والقصد من هذا السرد ، الذي يبدو في ظاهرة شخصيا ، التوكيد بأن هذه الدراسة ليست قائمة على التقييم النظري العلمي فحسب ، ولكنها تعتمد على الخبرة والممارسة الطويلة ...

وقد أعددت دراسة تبلغ قرابة مائتين وخمسين صفحة ، باستثناء الملاحق ، تقع في ثمانية عشر فصلا . وتتألف هذه الفصول من ثمانية اقسام :

القسم الاول : لمحة عن اهداف العرب في انشاء كيان عربي واحد .

القسم الثاني :المشاورات العربية بين رؤساء الحكومات لاستطلاع الراي بشأن اقامة جامعة عربية .

القسم الثالث : الصياغات والاقتراحات المتعددة لانشاء الجامعة واقرار ميثاقها .

القسم الرابع : تحليل وتقييم ميثاق الجامعة وبيان مواضع الضعف والنقص فيه .

القسم الخامس :الممارسات الفعلية التي كشفت عن عجز الجامعة وقصورها .

القسم السادس : الخلافات العربية وكيف قصرت الجامعة العربية في تصفيتها.

القسم السابع : دراسة مقارنة بين الجامعة العربية والجماعة الاوروبية .

القسم الثامن :المبادىء الاساسية التي يجب ان يقوم عليها تغيير الجامعة واستبدال ميثاقها .

وبانتهاء هذه الاقسام الثمانية سنرى دراسة شاملة للجامعة العربية ، منذ نشوئها الى يومنا هذا ، مع بيان الأساس والمبادىء التي يجب أن تقوم عليها الجامعة العربية الجديدة .

ولا يزعم صاحب هذه الدراسة انها مثالية ، ولكنها تصلح أساسا لأن تكون ورقة عمل ، تدور حولها الدراسة والمناقشة .

ولا تخلو هذه الدراسة من جوانب قاسية ومريرة ، يفتقر لها التردي الذي وصلت اليه حالة القضية العربية من فرقة واضطراب واخفاق ، حتى على تحقيق ميثاق الجامعة ، الذي ليس هو المثل الأعلى .

Digitized by Birzeit University Library

ولا ينكر صاحب هذه الدراسة أن الملامح الوحدوية بارزة في هذه الدراسة وان كانت كالملح في الطعام .

وهذه النظرة الوحدوية كان لا بد منها ، ولا يعتذر عنها صاحب الدراسة ، ذلك أنه بعد خمسة وثلاثين عاما من عمر الجامعة أصبح لابد من مسحة وحدوية تأخذ بها الجامعة العربية .

فان لم تفعل الجامعة ذلك في هذه الايام فمتى تفعل ؟ ومتى تبدأ الأمة العربية خطوة وحدوية ان لم تبدأها اليوم ، مادام قادة العرب أنفسهم لا يفترقون عن اعلان الوحدة هدفا مقدسا للأمة العربية ، يجب تحقيقه عاجلا او آجلا .

فهذه هي الفرصة وهذه هي الخطوة ، ونرجو أن تستطيع الجامعة العربية اغتنامها . وكل ما نطمح فيه أن تكون هذه المرحلة المقترحة وحدة كونفدرالية على الاقل ، اذا تعذر ان تكون فدرالية . مع أن كل مقوماتها قائمة ، والدعوة اليها صارخة .

Digitized by Birzeit University Library

ازمات مرت بها الجامعة العربية

عبد القادر شهيب

منذ أن نشأت في عام ١٩٤٥ ، لم تخل حياتها من المحن القاسية . فكم من الأزمات العنيفة كادت أن تعصف بهذه المنظمة العربية الدولية ، وكم من الأحداث الصاخبة أوشكت أن تطيح بها ، حتى أضحى هناك من يعتبر وجودها ويقاؤها للان هو نوع من المعجزات ! على الرغم من أن فشلها هو مسوغ كاف لالغائها !... وبات البعض الاخر المتفائل يرى أننا لا نستطيع أن نستغني عن **الجامعة العربية** ، فقط لأنها مجرد (مرفق دولي) للعالم العربي ، ونحن في عالم المنظمات الدولية !

ومنذ أن قامت ــ وفي عامها الأول ــ ونحن نسمع كثيرا عن ضرورة (حل مشاكل **الجامعة العربية**) ، وعن أهمية (تطوير العمل داخلها) سواء ارتدت هذه الصيحات ثوب مشاريع متعددة لتعديل ميثاقها ، أو اتخذت شكل الدعوة نحو تطوير العمل داخل الأمانة العامة ، أو كانت مجرد أفكار تدور حول اتفاقيات نوعية جديدة تعقد في إطارها . فهذه المنظمة ولدت بحق وهي تعاني من الأزمات .

البداية والواقع :

ولقد بقيت النظرة الشائعة الى « **الجامعة العربية** » ــ عند تناول قضية الأزمات التي مرت بها ــ نظرة غير موفقة . لأنها لم تخرج عن كونها نظرة قانونية أو إدارية ، فهي إما لا ترى في **الجامعة العربية** غير ميثاق هزيل يحتاج للتعديل ، لأن الميثاق الحالي للجامعة يخلق منها منظمة تنسيق ومناقشات إداري ــ وبالذات جهاز الأمانة العامة ــ يحتاج لاعادة النظر فيه ، واختيار وجوه جديدة له ، تتوفر فيها الكفاءة والخبرة والصلاحية .

إلا أن هذه النظرة الى **الجامعة العربية** ومشاكلها والأزمات التي مرت بها لا تكفي . فبجانب أنها ليست فقط مجرد مبنى كبير ، فهي ــ أيضا ــ ليست مجموعة من النصوص القانونية ، أو مجموعة من الموظفين الرسميين فحسب ، فقبل النصوص والموظفين هناك الواقع الذي تكونت فيه ، والتي جاءت لتعكس كل خصائصه وصراعاته ، وتعاني من كل مشكلاته . وعندما كان يصيب هذا الواقع أية تغيرات كان ذلك يجد طريقه اليها في شكل نوعية جديدة من الأزمات . وهذه هي نقطة البداية الحقيقية لمناقشة قضايا الجامعة العربية ، ودراسة الأزمات التي تعرضت لها .

ولقد كانت هناك ثلاث مراحل سياسية متميزة في حياة **الجامعة العربية** :

● المرحلة الأولى ، وتبدأ مع قيامها في عام ١٩٤٥ وتنتهي في عام ١٩٥٢ . وهي مرحلة تتسم بتشابه الأنظمة القائمة وقتها في المنطقة العربية ، لا من حيث الشكل الدستوري ، ولكن باعتبارها ، جميعا ، ممثلة لطبقات متشابهة ، فقد كانت صورة المنطقة العربية موحدة ، أو هي صورة المجتمع شبه الاقطاعي شبه الراسمالي . والتناقض الذي كان موجودا في هذه المرحلة داخل الجامعة ، كان تناقضا بين طبقات متشابهة .

● المرحلة الثانية ، وتبدأ من عام ١٩٥٢ حتى هزيمة حزيران (يونيو) . وفي هذه المرحلة اختفى التشابه الذي كان موجودا بين الأنظمة السياسية العربية في المرحلة السابقة . فلقد قامت نظم جديدة في عدة بلاد عربية مختلفة كيفيا عن باقي الأنظمة القائمة ، أي أنها تمثل طبقات تختلف عن الطبقات السائدة في المرحلة السابقة ، واختفت وحدانية صورة المجتمع العربي ، عندما أقامت الطبقات الوسطى أنظمة عرفت بالنظم التقدمية . وهكذا أضحى التناقض داخل الجامعة العربية في هذه المرحلة تناقضا بين أنظمة وطبقات مختلفة نوعيا :

Digitized by Birzeit University Library

أي بين أنظمة شبه اقطاعية وشبه رأسمالية ، وبين انظمة تعادي الاقطاعية والرأسمالية الكبيرة .

● المرحلة الثالثة ، وتبدأ بعد هزيمة حزيران (يونيو) مباشرة . وهي ، في النهاية ، لا تختلف عن المرحلة الثانية ، من حيث طبيعة الظروف السياسية الموجودة فيها . ولذلك يمكن اعتبارها امتدادا لها . إلا أن الأنظمة الجديدة ـ أنظمة الطبقة الوسطى التقدمية ـ التي تكونت في المرحلة السابقة ، تأثرت كثيرا بالهزيمة التي حدثت في يونيو ، وتأثر ، بالتالي ، التناقض الموجود بينها وبين الأنظمة القديمة ـ الاقطاعية الراسمالية ـ الموجودة منذ نشأة الجامعة .

ولقد كان لكل من هذه المراحل الثلاثة أزماتها الخاصة بها ، التي عانت منها **الجامعة العربية** .

المرحلة الأولى : الخلاف بين التيجان

تتسم الصورة السائدة للمجتمع العربي ، في هذه المرحلة ، بالوحدانية الغالبة . فهي صورة المجتمع (شبه الاقطاعي شبه الرأسمالي) . وكانت النظم السياسية العربية تعبر كلها عن هذه الحقيقة . إلا أن ثمة توازن للقوى كان قائما وقتها بين مجموعة هذه النظم : كان التوازن قائما بين مجموعة الدول الهاشمية من ناحية ، (وتمثلت في العراق والأردن) ، ومجموعة (التحالف المصري ـ السعودي ـ اليمني) من ناحية أخرى ، أما سوريا ولبنان فقد كانتا تقومان بدور المؤثر والمرجح في كفتي ميزان القوى بين الطرفين .

وعندما بدأت المشاورات العربية لانشاء **الجامعة العربية** ، عقب التصريح البريطاني الشهير[1] ، تأثرت هذه المشاورات كثيرا بهذا الخلاف القائم بين مجموعة التيجان الحاكمة والأسر المالكة المسيطرة . حتى أن المباحثات التي شهدتها مدينة الاسكندرية ، في خريف عام ١٩٤٣ ، بين الوفود العربية ، لم تتمكن من أن تبلور افكارا حول هذا المشروع الجديد ، غير أفكار الدول عن مسألة الوحدة التامة والحكومة المركزية ، والاعتراف باستقلال لبنان ضمن حدوده القائمة ، والعدول عن مشروعي **سوريا الكبرى والهلال الخصيب** ، وكذلك مشروع توحيد سوريا وشرقي الأردن .

وبعد أن تكونت ، بالفعل ، **الجامعة العربية** كان التوازن السياسي بين (العروش العربية) وراء أول خلافات شهدتها **الجامعة العربية** . وهي الخلافات التي نشبت بين العراق والجامعة . ولقد اخذت هذه الخلافات صورة خلاف بين الحكومة العراقية وبين الأمين العام للجامعة العربية وقتها وهو (**عبد الرحمن عزام**) . وتعددت مظاهر هذا الخلاف .

● فمنها تغيب ممثل العراق[2] عن حضور اجتماعات مجلس الجامعة ، وكانت الحكومة العراقية ، وقتها ، تقدم تبريرات مختلفة لهذا التصرف ، من أشهرها أنها اضطرت الى استدعاء مندوبها لتولي مسئولية وزارة الخارجية في تعديل وزاري جديد !

● أيضا ، دأبت الحكومة العراقية على تقديم احتجاجات رسمية لمجلس الجامعة على مجموعة التصريحات التي كان **عبد الرحمن عزام** (الأمين العام) يدلي بها في هذه الفترة ، باعتبارها إما تحمل تعريضا ببعض الدول العربية ، مثل العراق ، أو أنها تعد تجاوزا وخروجا على صلاحيات الأمين العام . وكان الأخير ، بدوره ، لا يفوته أن يرد . وهكذا ، لم تخل الصفحات الأولى من الصحف العربية وقتها من الاحتجاجات والردود !

● بل طالبت حكومة العراق ، وقتها ، بالغاء منصب (الأمين العام) وتوزيع سلطاته وصلاحياته على مجموعة من الموظفين ، يكونون ما يسمى (بمجلس الأمناء) ويمثل الدول العربية ذات الوزن في الجامعة . وكانت وجهة نظر العراق وقتها أن المنظمة العربية قد فشلت ، وأن سبب الفشل هو جهاز الأمانة العامة ، وعلى رأسه الأمين العام ، ولذلك فهي ترى أن يتغير هذا الجهاز ، ويعاد تشكيله ، ويلغى منصب الأمين العام ، حتى تتمكن الجامعة من أداء دورها . وعندما تحتدم الخلافات تكثر بالطبع الاقتراحات ! .

● وكانت الحكومة العراقية أيضا ـ وكنوع من الضغط ـ تمتنع عن تسديد الرسوم المستحقة عليها للجامعة العربية ، فتراكمت ديونها للجامعة ، وتعددت المطالبات بتسديدها ، خوفا من شبح الأزمة المالية الذي كثيرا ما كان يلاحق هذه المنظمة العربية .

واحتدم هذا الخلاف ... وبعدها جاء **الملك عبد الله** ، ليعلن ضم الضفة الغربية من نهر الأردن الى شرق الأردن وتكوين « **المملكة الأردنية الهاشمية** » ، فتفجرت أزمة حقيقية هامة للجامعة العربية .

ضم الضفة الغربية : أزمة داخل الجامعة

ففي ديسمبر عام ١٩٤٨ عقد مؤتمر في مدينة أريحا ، جمع له حوالي الفين من وجهاء الفلسطينيين ، وانتهى المؤتمر إلى عدة قرارات كان أخطرها[3] . المناداة بالملك عبد الله ملكا على شرق الأردن وفلسطين معا ، وان يكون اسم المملكة الجديدة هو « **شرق الأردن وفلسطين** » ، والمبررات كانت . قبول العرب لتهدئة الصراع العربي ـ

Digitized by Birzeit University Library

الاسرائيلي . وعندما عرضت هذه القرارات على **الملك عبد الله** ، وافق عليها **مجلس الامة الاردني** ، في ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ ، بالاجماع . وفي ١٤ ابريل سنة ١٩٤٩ اعلن **الملك عبد الله** ، رسميا ، ضم الضفة الغربية ، وعاد **مجلس الامة الاردني** يوافق ، بالاجماع ، في ابريل ١٩٥٠ ، على هذا القرار .

وما إن اعلن **الملك عبد الله** ضم الضفة الغربية الى شرق الاردن ، حتى ثارت عدة ردود فعل . فقد اعلنت ، بعدها ، بريطانيا انها ستقف بجانب الاردن ضد اي اعتداء خارجي ، بينما اعترفت الولايات المتحدة الامريكية بالمملكة الجديدة ، بعد ايام فقط ، في يناير ١٩٤٩(٣) .

إلا ان ردود الفعل العربية كانت مختلفة ، فقد ثارت معارضة كبيرة لهذا الاجراء ، باعتباره قضاءا نهائيا على الكيان الفلسطيني ، ورغم ذلك فلم يتغير موقف **الملك عبد الله** ، واستمر في تنفيذ خططه ومشاريعه ، حتى انه ، في اول يونيو ١٩٥٠ ، اصدرت الحكومة الاردنية بلاغا رسميا تعلن فيه(٤) .

« لقد انتهت وجهة نظر حكومة المملكة الاردنية الهاشمية الى اعتبار قضية الوحدة امرا منتهيا لا محل للبحث فيه » .

وإزاء هذا الاصرار على تنفيذ الضم الاردني ، برزت افكار متعددة تنادي بمعاقبة الاردن بطرده من عضوية الجامعة العربية . وهكذا وجدت الازمة طريقها داخل الجامعة .

كانت البداية توصية مصرية امام مجلس الجامعة تطالب بفصل الاردن . وعندما اجتمعت **اللجنة السياسية للجامعة العربية** ، في شهر مايو ١٩٥٠ ، كان الانقسام واضحا . فقد بحثت اللجنة المسألة ، وقررت اربع دول عربية — هي مصر والمملكة السعودية وسوريا ولبنان — فصل الاردن . بينما لم تبد اليمن رايها في الأمر . وحاول العراق موقف متسق ، تماما ، مع التأييد الذي اعلنه **نوري السعيد** ، رئيس وزراء العراق ، لقرارات **الملك عبد الله**(٥) .

بل لقد ذهبت العراق إلى اكثر من ذلك ، عندما طالبت بتعديل **ميثاق الجامعة العربية** نفسه ، حتى لا يكون الميثاق القائم هو المبرر القانوني لفصل الاردن من عضويتها(٦) .

وبعدها قامت الحكومة العراقية بدور كبير في الوساطة ، للحيلولة دون تنفيذ قرار فصل الاردن من عضوية الجامعة ، ووضعت اقتراحا بمشروع لحل الأزمة ، تبناه لبنان ، تلتزم به الحكومة الأردنية ، ويقول الاقتراح(٧) .

« لما كانت الدول العربية قد أعلنت تمسكها بعروبة فلسطين واستقلالها وسلامة اقليمها ، وتحقيقا لرغبات سكانها الشرعيين ، ورفضت كل حل يقوم على اساس تجزئتها ، فان المملكة الأردنية الهاشمية تعلن ان ضم الجزء الفلسطيني إليها إنما هو إجراء اقتضته الضرورات العملية ، على أن يكون تابعا للتسوية النهائية لقضية فلسطين عند تحرير اجزائها الأخرى ، بكيانها الذي كانت عليه قبل العدوان ، وبذلك تكون قد تحققت الأهداف التي سعت إليها الدول العربية في قراراتها السابقة ، الرامية الى حفظ كيان فلسطين قبل العدوان .. » .

ولكن حكومة مصر رفضت الاقتراح العراقي — اللبناني ، واصرت على ان الاردن يتعهد برد الضفة الغربية عند التسوية النهائية للقضية الفلسطينية .

لذلك ، أعدت اللجنة السياسية صيغة أخرى تتضمن ثلاثة أمور .

● **أولا** ، ان الضم هو إجراء اقتضته الضرورات العملية :

● **ثانيا** ، ان الجزء الذي تم ضمه هو وديعة لدى الاردن ، تتعهد باعادته عند التسوية النهائية وتحرير فلسطين :

● **واخيرا** ، قبول الأردن باجماع الدول العربية في شأنه عند التسوية .

وكان قبول **الملك عبد الله** بهذه الصيغة الجديدة كفيلا بانقاذ **الجامعة العربية** ، وقتها ، من الانقسام . إلا أنه رفض التوقيع عليها ، واعلن قبوله ، فقط ، بالاقتراح اللبناني — العراقي(٨) . واستمرت الأزمة ، وبقيت القضية معلقة ! وأن كان الخلاف القائم قد مورس بطريقة مختلفة . فلقد كان « **مشروع الضمان الجماعي** » ، الذي تقدمت به مصر الى الجامعة ، فرصة كبيرة للخلاف . بدأ بالعراق ، واستمر بالاردن . فقد رفض **الملك عبد الله** ، وقتها ، ان يوقع على الميثاق ، إلا بعد إجراء عدة تعديلات عليه(٩) .

وعندما مات **الملك عبد الله** ، قام **الملك طلال** ، الذي خلفه ، بتوقيع مشروع الميثاق الجماعي ، في فبراير ١٩٥١ ، وليكتمل توقيع — كل الدول المنضمة الى الجامعة — على الميثاق ، وخفت هذه الأزمة التي تمسك بتلابيب الجامعة بعض الشيء .

Digitized by Birzeit University Library

المرحلة الثانية : مصالح متعارضة

ولم يكن هذا يعني انتهاء خلافات الأسر المالكة ، أو اختفاء التوازن الذي كان قائما بينها . فهذا التوازن لم يختف إلا في المرحلة الثانية من مراحل التاريخ السياسي **للجامعة العربية** . فهذه المرحلة شهدت أحداثا هامة .

أولا : سقوط الأسرة المالكة في مصر ، واختلال التوازن القائم وقتها في المنطقة العربية داخل الجامعة بين الهاشميين ، والتحالف بين الأسرة المالكة المصرية والسعودية[١٠] . بل ضاعت معالم هذا التوازن ، تماما ، عندما سقطت الأسرة الهاشمية في العراق ، أيضا .

ثانيا : ظهور نظام حكم جديد في مصر ، له طبيعة طبقية مختلفة عن الأنظمة السياسية الشائعة في المنطقة العربية ، والتي كانت تمثل التحالف الاقطاعي مع الرأسمالية الكبيرة ، وبالتالي اختفاء وحدانية صورة المجتمع العربي (شبه الاقطاعي وشبه الرأسمالي) ؛ لأن النظام الجديد جاء ليعادي الاقطاع والرأسمالية الكبيرة .

ثالثا : حدوث تغيرات مماثلة لما حدث في مصر في عدة بلاد عربية أخرى ، وتمكن القوى الجديدة من تحقيق بعض النجاحات في المعارك التي خاضتها ضد الاستعمار : مثل معركة السويس ، ومعركة الأحلاف الغربية وغيرها .

وترتب على ذلك اختفاء التناقض القديم بين العروش والأسر المالكة ، ليحل محله تناقض جديد بين انظمة حكم تمثل طبقات الاقطاع والرأسمالية الكبيرة ، عرفت باسم النظم التقليدية (الرجعية) وبين أنظمة حكم تعادي الاقطاع والرأسمالية الكبيرة ، وعرفت باسم « النظم التقدمية » . وعندما احتدم هذا التناقض تفجرت الأزمات والخلافات داخل **الجامعة العربية** ، واحتدمت هذه الخلافات عند قيام **حلف بغداد** ، وما صاحب قيامه من حدوث معارك سياسية عنيفة ، انتهت بفشل الحلف بعد قيام ثورة العراق سنة ١٩٥٨ ، وانتصار القوى السياسية الجديدة (الصاعدة) في المنطقة العربية ، وبعد قيام تجربة الوحدة بين مصر وسوريا ؛ إذ أضحت هناك دولة قوية بنفوذها داخل الجامعة .

لبنان وأزمة الجامعة

وفي وسط هذا الجو كانت الأحداث تتحرك بسرعة ، حتى وصلت حركة المد الوطني ، التي شهدتها المنطقة في ذلك الوقت ، الى لبنان . عندما أعلنت بعض القوى الوطنية تمردها ضد حكم **كميل شمعون** ، وأدى ذلك الى حدوث حرب أهلية هناك ، فاتهمت الحكومة اللبنانية القاهرة بتحريض هذه العناصر الوطنية ، ومساعدتها للاطاحة بحكم **كميل شمعون** .

وتقدم لبنان بشكوى الى الجامعة العربية ضد حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، يتهمها فيها بالتدخل في شؤونه الداخلية . وطلب عقد اجتماع لمجلس الجامعة لبحث الحالة في لبنان والشكوى المقدمة من حكومته ، إما في الخرطوم أو في بنغازي ، وفي نفس الوقت تقدمت الحكومة اللبنانية بشكوى مماثلة الى **مجلس الأمن** . وبعد أيام فقط من تقديم الشكوى عقد المجلس في ليبيا لتثار فيه مجموعة من الخلافات الشديدة بين المجتمعين . فلقد كان ثمة خلاف بين العراق ولبنان على نوعية الأدلة التي تقدمت بها الحكومة اللبنانية ضد مصر ، باعتبارها مجموعة من الشرائط الاذاعية أو القصاصات الصحفية . وهي نوع من الأدلة يمكن أن تدين ـ بنفس المنطق ـ الأردن والعراق أيضا . لأن صحف واذاعة كل منهما كانت تحتوي أشياء مشابهة عن مصر ! .. ثار خلاف ، أيضا ، بين الأردن والعراق حول تمثيل كل منهما في الاجتماع . بينما كان هناك خلاف بين المجلس والعراق حول رئاسة الاجتماع .

ونتيجة لهذه الخلافات المتعددة تمكن المجلس فقط من الموافقة على مجرد تبليغ لبنان أن يؤجل نظر شكواه المقدمة الى مجلس الأمن ، حتى يبت مجلس الجامعة في الأمر[١١] .

وعندما عاد المجلس للاجتماع ، مرة أخرى ، أصدر أربعة قرارات [١٢] .

- سحب شكوى لبنان من مجلس الأمن ؛
- العمل على وقف كل ما من شأنه تعكير صفو العلاقات الودية بين الدول العربية ؛
- توجيه نداء الى العناصر المختلفة في لبنان لايقاف إراقة الدماء وحل ما بينها من خلاف بالطرق السلمية ؛
- إيفاد لجنة من **الجامعة العربية** للتوفيق بين اللبنانيين المتنازعين .

ووافق ممثلو الدول العربية المجتمعون على هذه القرارات . وطلب الوفد اللبناني إمهاله من أجل استشارة حكومته . لكن الحكومة اللبنانية لم تقبل ، في النهاية ، قرار مجلس الجامعة[١٣] ، وبذلك أصبحت القرارات التي أصدرها المجلس غير ملزمة للبنان ، وعاد ، أيضا ، وفدا الأردن والعراق فسحبا موافقتهما على القرار ، بعد أن أعلن لبنان رفضه للقرار ، فلم تعد المسألة أزمة بين بلدين

Digitized by Birzeit University Library

اعضاء في الجامعة ، وإنما أزمة للجامعة نفسها .

وفي نفس الوقت لم يسحب لبنان شكواه ضد الجمهورية العربية المتحدة المقدمة لمجلس الأمن . واثارت هذه التصرفات غضب الكثير من الدول الأعضاء في الجامعة ، والتي كانت قد وافقت على القرارات السابقة ، لأن تصرف حكومة لبنان وقتها كان بمثابة لطمة قوية وجهت للجامعة . وها هو **عبد الخالق حسونه** ، الأمين العام للجامعة العربية وقتها ، يعلن .

« ان نتيجة شكوى لبنان مؤلمة ، ولكنها لن تؤثر على كيان الجامعة ، كما تروج أبواق الدعاية الاستعمارية . وسوف تواصل الجامعة جهودها اثناء عرض الأزمة أمام مجلس الأمن »(١٤) .

ولقد كانت هذه الجهود التي واصلتها الجامعة هي إرسال تقرير مفصل الى مجلس الأمن ، يحتوي على كل ما دار في جلسات مجلس **الجامعة العربية** عند نظر شكوى لبنان ، سواء كان بيان وفد لبنان ، الذي يتهم فيه حكومة الجمهورية العربية بالتدخل في شؤون بلاده الداخلية ، أو كان البيان الذي القاه وفد الأخير برد الاتهامات اللبنانية ، أو كانت المناقشات التي ثارت بعد ذلك ، وتضمن التقرير القرارات الأربعة التي وافق عليها المجلس ، ورفض لبنان لها . كما تضمن التقرير أسف وفود السعودية واليمن وليبيا والسودان لرفض لبنان هذه القرارات(١٥) .

الا أن الأزمة التي حدثت **للجامعة العربية** بسبب الشكـــوى اللبنانية بات من الصعب أن تنسى ! .

تونس : وأزمة أخرى

ولم تكد تخف حدة هذه الأزمة ، حتى ثارت أزمة أخرى أكثر حدة ! ... فبعد حوالي ثلاثة شهور فقط ثارت الأزمة الجديدة .. ففي هذه الفترة تفجرت الخلافات بين حكومة تونس وحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، بسبب موافقة الأخيرة على طلب **صالح بن يوسف** باعتباره لاجئا سياسيا ، ورفضها طلب الحكومة التونسية بتسليمه لها : طبقا لتقاليد اللجوء السياسي الراسخة في مصر . وكان مجلس الجامعة قد وافق على قبول تونس عضوا بالجامعة ، فطلبت تونس عقد اجتماع للمجلس مجوما عنيفا واتهامات قاسية للجمهورية العربية ، فرد عليه مندوب اليمن ، وانسحب وفد الجمهورية العربية : احتجاجا على بيان وفد تونس(١٦) ، وبدأت الأزمة تدب بأقدامها الثقيلة داخل الجامعة . فكانت مشاورات واجتماعات ، اهمها اجتماع عقده رؤساء وفود الدول العربية ، تناقشوا فيه حول الأزمة وانتهوا الى الاجماع على استنكار البيان الذي القاه **محمد الحبيب الشطي** ، مندوب تونس(١٧) ، الذي هاجم فيه الجمهورية العربية ، ثم عادت الوفود فعقدت اجتماعا للمجلس ، واتخذت قرارين هامين .

الأول . استنكار موقف تونس ، وشطب كلام مندوبها .

الثاني . دعوة مصر للمشاركة في اجتماعات المجلس .

وأعدت الأمانة العامة للجامعة وقتها مذكرة ، أرسلتها الى وزارة الخارجية التونسية ، مرفقا بها قرار مجلس الجامعة بادانة الوفد التونسي ، ورفض احتجاجه على منعه من مواصلة الكـــلام للمرة الثانية ، ودعوة مصر للاشتراك في اجتماعات المجلس(١٨) .

ولم تقف التطورات عند هذا الحد .

● فلقد اصدر مجلس الجامعة قرارا آخر ، دعا فيه حكومة تونس لحضور اجتماعات المجلس ، على ان ترضخ لقرار المجلس بادانة وفدها(١٩) . وكان مندوب تونس قد أعلن أن لديه تعليمات من حكومته بعدم حضور اجتماعات المجلس قبل ان يحل الخلاف الواقع بين الجمهورية العربية وتونس .. وبعدها عاد الى تونس ، فأصدر المجلس قراره بدعوته ثانيا(٢٠) .

● وبعث وزير خارجية تونس ، بدوره ، بمذكرة الى رئيس مجلس **الجامعة العربية** ، يعلمه فيها أن « حكومته لا تعترف بأي قرار يصدره المجلس ، وأنها قررت الا تشترك في أية اجتماعات إلا بعد إزالة الخلاف الواقع بين دولها »(٢١) .

● وقاطعت تونس ، بالفعل ، اجتماعات الجامعة ، حتى انه عندما احتفل برفع اعلام الدول العربية فوق المبنى الجديد للجامعة قام الأمين العام بنفسه برفع علم تونس فوق ساريته ، لتخلفها عن حضور الاحتفال(٢٢) .

وفي نفس الوقت نشطت عدة محاولات للوساطة ، قامت بها حكومة المغرب ، والأمين العام للجامعة العربية ، في صيف عام ١٩٥٩ ، لاعادة العلاقات بين تونس والجمهورية العربية ، ورغم ذلك استمرت تونس في مقاطعة اجتماعات الجامعة .

● ثم عاد مجلس **الجامعة العربية** ، في خريف عام ١٩٥٩ ، ليوافق على قرار بطلب ـ تقدم به وفد الجمهورية العربية في الدورة (٣٢) للمجلس ـ

Digitized by Birzeit University Library

الغاء القرار الذي اتخذه المجلس من قبل ، في عام ١٩٥٨ ، بادانة تونس في خلافها مع مصر ، وقرر المجلس شطب القرار من محاضره الرسمية . وبناء على ذلك أرسل الأمين العام برقية للحكومة التونسية ، يطلب إليها فيها الاشتراك في الاجتماعات ، وردت تونس بضرورة إزالة كل أسباب الخلاف أولا !(٢٣) .

● وعاودت الأمانة العامة محاولتها مع تونس ، في بداية عام ١٩٦٠ ، عندما أرسلت برقية لها تدعوها لحضور اجتماعات وزراء الخارجية العرب في القاهرة . ولكنها رفضت الحضور !(٢٤) . وظلت تقاطع **الجامعة العربية** حتى صيف عام ١٩٦٠ عندما حضرت لأول مرة في مؤتمر المقاطعة الاقليمية العربية لاسرائيل(٢٥) . ثم حضرت ، مرة اخرى ، اجتماع لجنة تعديل ميثاق **الجامعة العربية** ، لتقدم مشروعا للتعديل(٢٣٦) .

وهكذا شغلت هذه الأزمة الجامعة سنوات طويلة .

أزمة الكويت .. ودور الجامعة :

أما أزمة الكويت فهي تكاد تكون الأزمة الوحيدة التي وفقت الجامعة العربية في اتخاذ موقف منها .. ثارت هذه الأزمة عندما طالب عبد الكريم قاسم ، رئيس جمهورية العراق ، بضم الكويت الى العراق سنة ١٩٦١ ، ودعى مجلس الجامعة الجامعة الى الانعقاد للنظر في القضية ، واتخذ قرارا شهيرا ، في يوليو من نفس العام ، ينص على .

« أولا . تلتزم حكومة الكويت بطلب سحب القوات البريطانية من أرض الكويت في أقرب وقت ممكن ، وتلتزم حكومة العراق بعدم استخدام القوة في ضم الكويت الى العراق ، وتأييد كل رغبة يبديها الكويت للوحدة او الاتحاد مع غيره من دول الجامعة العربية ، طبقا لميثاق الجامعة .

ثانيا الترحيب بدولة الكويت عضوا في الجامعة ومساعدتها على الانضمام الى عضوية الأمم المتحدة .

ثالثا . تلتزم الدول العربية بتقديم المساعدة الفعالة لصيانة استقلال الكويت ، بناء على طلبها . ويعهد المجلس الى الأمين العام باتخاذ الاجراءات اللازمة لوضع القرار موضوع التنفيذ العاجل »(٢٧) .

وبناء على هذا القرار تشكلت الهيئة التنفيذية **للقوات العربية** ، من الجامعة العربية بالكويت برئاسة الأمين العام المساعد للشؤون السياسية ، واتخذت الاجراءات التنفيذية على الفور ، عندما بدأت القوات التابعة للجامعة في ممارسة عملها بالفعل ، في منتصف أكتوبر عام ١٩٦١ ، وظلت تقوم بعملها حتى أطيح بحكم قاسم ، بعد حوالي سنتين ، فانسحبت بناء على طلب الكويت .

والذي يحتاج للايضاح هو مسألة عضوية الكويت بالجامعة .. ففي الجلسة التي نوقشت فيها المسألة انسحب مندوب العراق محتجا على المناقشة ، فوافق المجلس ، باجماع الحاضرين ، على قبول العضوية مستندا الى تفسير جديد للمادة الأولى من ميثاق الجامعة . وهو أن إجماع الدول الحاضرة في الجلسة عند التصويت . ولذلك فاننا نجد أن القرار رقم ١٧٧٧ ــ ٣٥ الخاص بانضمام الكويت الى الجامعة يستخدم عبارة جديدة تختلف عن العبارات التي استخدمت في القرارات السابقة ، وهي « الترحيب بدولة الكويت عضوا في جامعة الدول العربية » . بينما كانت العبارة السابقة هي « يقرر مجلس الجامعة ، بالاجماع ، الموافقة على انضمام ... » ، مثلما جاء في مناسبة انضمام ليبيا والسودان وتونس والمغرب(٢٨) .

وما يهمنا هنا أن السبب في توفيق **الجامعة العربية** في إيجاد حل لهذه المشكلة أو الأزمة إنما يرجع إلى أن تناقض المرحلة لم يكن وراء هذه الأزمة بوضوح ، بالاضافة الى تأثير تناقضات أخرى ثانوية . مثل التناقض بين الحكومة المصرية ، والحكومة العراقية في عهد قاسم .

أزمة شتورا

وإذا كان قيام الوحدة بين القاهرة ، ودمشق أدى الى ظهور دولة قوية داخل **الجامعة العربية** ، أثرت على توازنات القوى داخلها ، فان الانفصال ، الذي وقع في سبتمبر ١٩٦١ ، أدى الى إتجاه جديد ، يتسم بسعي القوى التقليدية (الرجعية) القديمة لحاصرة القاهرة وتطويقها . وفي ظل هذا الاتجاه الجديد تم اجتماع « شتورا » الشهير . فقد تقدمت حكومة الانفصال في سورية بشكوى تتهم فيها مصر بالتدخل في شؤونها الداخلية ، وعقد مجلس الجامعة اجتماعا في لبنان ، للنظر في هذه الشكوى . وفي هذا الاجتماع هاجم مندوب سوريا القاهرة بعنف ، وكال لها الاتهامات . فانسحب الوفد المصري(٢٩) من الاجتماع ، وهددت القاهرة بالانسحاب من عضوية الجامعة(٣٠) .

وأثار تهديد القاهرة بالانسحاب من الجامعة ردود فعل عنيفة داخل الجامعة ، وخارجها . وأوضحت الأزمة واضحة المعالم تماما . إنها أزمة الجامعة نفسها ، بحق . إذ كيف تبقى هناك جامعة

Digitized by Birzeit University Library

بدون أكبر دولة فيها ؟ ! .

وبعد اجتماع دام تسعة أيام متصلة ، قرر مجلس الجامعة ، بالاجماع (دون دمشق بالطبع)(٣١) .

- عدم استمرار النظر في الشكوى السورية .
- استمرار الدورة الطارئة مفتوحة على أن يعقد الاجتماع التالي للمجلس في أقرب وقت .
- تبذل الدول الأعضاء في المجلس المساعي لتدعيم كيان **الجامعة العربية** ، باحترام ميثاقها ، ولم شملها ، لاستمرار نهوضها برسالتها .

وبذلت عدة محاولات بهدف ثني القاهرة عن عزمها تنفيذ تهديدها بالانسحاب من الجامعة . وكانت ابرز هذه المحاولات هي الوساطات التي قام بها الرئيس اللبناني ، **فؤاد شهاب** ، ونتيجة لهذه الوساطات اتخذت القاهرة موقفها الذي تحدد في امرين(٣٢) .

أولا . إرجاء تنفيذ الانسحاب ، ما دامت الدورة الاستثنائية مفتوحة ؛

ثانيا عدم الاشتراك ، في هذا الوقت ، في أي نشاط في الجامعة ، بما في ذلك اجتماعاتها في كل المستويات .

وهكذا ، هدأت أزمة حادة ، كانت تمثل لغما كاد أن ينفجر ، وينفجر معه الجامعة كلها .

المرحلة الثالثة : مرحلة لم تنته

وعندما وقعت هزيمة يونيو العسكرية تأثرت الأنظمة السياسية ، المعروفة بالنظم التقدمية ، كثيرا . وتأثر ، بالتالي ، تناقضها مع الأنظمة التقليدية القديمة ، تحت شعارات « الخطر المشترك »و« قومية المعركة » . وبدأت مرحلة جديدة في التاريخ السياسي **للجامعة العربية** . لم يختف التناقض السابق كليا ، لكنه توارى قليلا في السلوك السياسي لبعض البلاد ، عندما انتهى تأثير أن تغمض عينيها عن الاجراءات التي ما فتأت القوى القديمة (الرجعية) تتخذها بعد النكسة ؛ لتعزيز مواقعها وتقوية موقفها في مواجهة هذه النظم المعروفة بالتقدمية ، وربما كانت أيضا التغيرات التي طرأت على طبيعة تكوين بعض الأنظمة التقدمية (بغلبة الاتجاه اليميني داخلها) ، سببا في اقترابها من الأنظمة الرجعية القديمة ، الى الحد الذي اصبحنا نسمع فيه عن محاور جديدة ، تضم الرجعي والتقدمي معا ! وهكذا عادت النظم التي عرفت بالتقدمية مرة أخرى لسياسة مؤتمرات القمة ، بعد أن كانت قد نبذتها قبل الهزيمة ، واعلنت فشلها .

وفي البدء كانت هناك بعض النتائج لسياسة القمة . أو بالتحديد نتيجة لها ، وهي التي تمثلت في اتفاقية الدعم العربي لدول المواجهة ، والتي تم التعهد بها في **مؤتمر الخرطوم** ، وفي النهاية لم تكن ثمة نتائج على الاطلاق غير المناقشات وتبادل الاراء والمجاملات الطيبة والنوايا الحسنة . وكانت أزمة جديدة تشهدها الجامعة . ولقد بدأت هذه الأزمة بعقد مؤتمر القمة الثالث في آخر عام ١٩٦٩ في الرباط . وكان جدول أعمال هذا المؤتمر يدور حول متطلبات ثلاثة محددة(٣٣) المعركة القادمة . الثورة الفلسطينية ــ الصمود العربي في الأرض المحتلة .

ورغم ذلك استمرت المناقشات بين المجتمعين ، ولم يصلوا الى نتائج محددة حتى ان الرئيس الراحل **عبد الناصر** اضطر الى أن يقول اثناء المناقشات . « يبدو لي أن المؤتمر لم يخرج بشيء على الاطلاق ، ورأيي ــ صراحة ــ أنه يجب أن نعلن للناس ، في البيان المشترك ، أن المؤتمر قد فشل حتى لا نخدع الناس ونمنيهم بالامال الكاذبة »(٣٤) .

وغادر بعدها الاجتماع كنوع من التعبير العملي عن رأيه في نتائج المؤتمر ، فاذا كان المؤتمر غير مثمر ، فما جدوى حضور اجتماعاته ؟ وفي نفس الوقت ، انسحبت كل من سوريا والعراق من المؤتمر . وعندما انتهى المؤتمر لم يصدر بيانا مشتركا بنتائج اعماله ، كما جرت العادة . ولكن اكتفى بكلمة **الملك الحسن** ، ملك الدولة المضيفة . واضيف اخفاق جديد الى اخفاقات قديمة ، وأزمة أخرى الى قائمة الأزمات التي عانت منها **الجامعة العربية** .

ويبدو أن تلك الأزمات التي عصفت بجوانب الجامعة العربية جعلت منها كائنا عاجزا عن الحركة الفعالة والمؤثرة في معظم الأحداث الهامة التي مرت بها المنطقة العربية ، ولعلنا لا نحرج هذه المنظمة العربية عندما نتساءل . أين كانت هذه المنظمة عندما أدار **الملك حسين** ، وبنجاح ، منيحة الأردن ضد الشعب الفلسطيني ، عام ١٩٧٠ ، وعندما تفجرت مؤخرا أزمة لبنان التي لم تنته بعد ؟ !

خلال الأزمتين الخطيرتين اللتين مرت بهما المنطقة كان غياب المنظمة العربية واضحا وملفتا للنظر ، لكل ذي عينين . وجاءت الطامة الكبرى في العجز المضحك المبكي للجامعة العربية ازاء مبادرة السادات ، وما لحقها من اتفاقيتي كمب ديفيد ومعاهدة الصلح المنفرد مع اسرائيل . لقد اثرت الصمت اقتناعا بالحكمة الفريدة التي تقول أن

Digitized by Birzeit University Library

السكوت من ذهب بينما الكلام لا تتعدى قيمته قيمة الفضة !

• • •

طبيعة الأزمات :

هكذا تعددت وتنوعت أزمات **الجامعة العربية** ، **وكانت تعكس عدة حقائق هامة :**

أولا : ان طبيعة هذه الأزمات ليست قانونية أو إدارية ، أو ناتجة عن ضعف ميثاق **الجامعة العربية** ، او قصور جهازها الاداري عن أداء عمله ، بل كانت **كل هذه الأزمات وليدة الواقع السياسي** ، الذي تكـــونت خلاله ـ وبفضله ـ الجامعة ، وعاشت في ظله . وعندما كان هذا الواقع يشهد تغيرا ما ، كان هذا التغير يجد طريقه داخل **الجامعة العربية** ، يعيد تشكيل توازنات القوى داخلها ، ويصنع لها أزمات نوعية جديدة ، تتفجر في إطارها .

ثانيا : ان الجامعة العربية هي منظمة حكومات **وليست** منظمة شعوب ، فهي **تضم عددا من الحكومات الاعضاء ذات الاتجاهات المتباينة** في كثير من الأحوال ، وهي حكومات تحرص على استقلالها في التصرف ، وحريتها في الحركة . ولذلك كانت كل الأزمات التي مرت بالجامعة العربية مجرد أزمات بين حكومات مختلفة المصالح . أما الشعوب العربية ، فلم يكن لها دور في هذا الصدد ؛ لأن المنظمة العربية لم تعبر عنها .

ثالثا : ان أغلب الأزمات الحادة التي مرت بها الجامعة كانت تدور حول مسألة واحدة هي **مسألة العضوية** ، ابتداء بالتهديد بإسقاط العضوية عن عضو داخلها ، وانتهاءا بالتهديد بالانسحاب من عضويتها ، ومرورا بمقاطعة اجتماعاتها . وكان معنى خروج عضو هو بمثابة فتح الباب على مصراعيه أمام خروج أعضاء آخرين ، سواء بطريق الفصل ، أو بالانسحاب ، وفتح هذا الباب على مصراعيه هو بداية النهاية للجامعة !

الحواشي

(١) يقول هذا التصريح « ان الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى كل حركة بين العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية والثقافية او السياسية بينهم » . وصاحب هذا التصريح كان يشغل منصب وزير الخارجية البريطانية وقتها .

(٢) هذا المنوب هو الدكتور **فاضل الجمالي** .

(٣) **مشكلة اللاجئين العرب** . د . **اوارد سيدهم** ، رسالة دكتوراه ، ص ١٦٦ .

(٤) المرجع السابق ص ١٦٦ .

(٥) جريدة **المصري** (المصرية) ١ ، ٤ يونيو ١٩٥٠ .

(٦) جريدة **الاهرام** ، ١٢ يونيو ١٩٥٠ .

(٧) جريدة **الاهرام** ١٥ اغسطس ١٩٥٠ .

(٨) جريدة **الاهرام** ١٠ سبتمبر ١٩٥٠ .

(٩) كتبت جريدة **التيمس** (البريطانية) وقتها تقول « واذا رفض **الملك عبد الله** الموافقة على ذلك ، فان المسألة ستحل بطريقة سهلة جدا ، وهي عدم دعوة المجلس الى الانعقاد » .

(١٠) عبر عن هذا التغير وقتها **فاضل الجمالي** ، مندوب العراق ـ احد طرفي التوازن ـ في تصريح له بقوله « ان زوال بعض الحكام العرب المتنافرين سيساعد على ايجاد تعاون اوسع ، وان ازمة الجامعة كان اساسها الاختلاف بين رؤساء الحكومات ، فاستشهاد (! !) **الملك عبد الله** واختفاء **فاروق** ، **وعزام** ، وكل اولئك خلق جوا جديدا !

(١١) **الاهرام** ، ايام ٢٤ مايو ، ٣ يونيو ١٩٥٨ .

(١٢) **الاهرام** ، ٦ يونيو ١٩٥٨ .

(١٣) المعروف انه « طبقا لميثاق الجامعة العربية » لا تكون اية قرارات تصدرها الجامعة العربية ملزمة لها ، إلا اذا قبلت هي « اساسا » هذه القرارات واعلنت موافقتها عليها .

(١٤) جريدة **الجمهورية** (المصرية) ، ١٢ يونيو ١٩٥٨ .

(١٧) جريدة المساء (المصرية) ١٢ اكتوبر ١٩٥٨ .

(١٨) **الاهرام** ، ١٤ اكتوبر ١٩٥٨ .

(١٩) لم تشترك مصر في مناقشات هذا القرار ، باعتباره امتدادا لقرار سابق نوقش في جلسة لم تحضرها من قبل .

(٢٠) **الاهرام** ، ١٦ اكتوبر ١٩٥٨ .

Digitized by Birzeit University Library

(٢١) **الاهرام** ، ٢٢ اكتوبر ١٩٥٨ .
(٢٢) **الاهرام** ، ٢٢ ابريل ١٩٥٩ .
(٢٣) **الاهرام** ، ٢ سبتمبر ١٩٥٩ .
(٢٤) **المساء** ، ٩ فبراير ١٩٦٠ .
(٢٥) **الاهرام** ، ١٥ يوليو ١٩٦٠ .
(٢٦) **الاخبار** (المصرية) ٢٩ مايو ١٩٦١ .
(٢٧) **دليل الجامعة العربية** (ملحق مجلة الاهرام الاقتصادي) ، مصر .
(٢٨) **مجلة السياسة الدولية** ـ العدد ٣ ـ اكتوبر ١٩٧٢ ـ قضية العضوية في جامعة الدول العربية . د . بطرس غالي .
(٢٩) كان الوفد المصري في مؤتمر شتورا يتكون من أعضاء سوريي الجنسية .
(٣٠) قالت وكالة أنباء الشرق الأوسط بان شكوى حكومة دمشق لم تكن السبب في الانسحاب ، ولكن حملة السباب والشتائم والهجوم الرجعية هي التي جعلت القاهرة تتخذ هذا الموقف .
(٣١) **الاهرام** ، اول سبتمبر ١٩٦٢ .
(٣٢) **الاهارم** ، ١١ سبتمبر ١٩٦٢ .
(٣٣) الاهرام، ديسمبر ١٩٦٩ .
(٣٤) **المرجع نفسه** .

Digitized by Birzeit University Library

الدول العربية ومنصب الامين العام للجامعة العربية

عبد الحميد محمد موافي

مما لا شك فيه أن **جامعة الدول العربية** تمر ، الان ، بمرحلة من أخطر مراحل حياتها ، بل اكثرها خطرا وتأثيرا على نشاطها ، فليس هناك محنة يمكن أن تتعرض لها منظمة دولية ، سواء اقليمية أو عالمية ، اكثر مما تتعرض له **الجامعة العربية** الان[1] . ولعل من أكثر وجوه هذه المحنة تأثيرا على نشاط الجامعة مستقبلا هي مسألة اختيار امين عام للجامعة العربية وتتبع أهمية هذه المسألة مما يلي .

١ ــ ان واحدا من أسباب زيادة تفاقم ازمة **الجامعة العربية** ، في الاونة الاخيرة ، كان استقالة الأمين العام السابق ، **محمود رياض** ، وتنفيذه للاستقالة بالرغم مما حدث في اجتماع مجلس الجامعة العربية في مقديشو ، في ٢٤ مارس ١٩٧٩[2] . وبصرف النظر عن الاعتبارات التي وضعها هو نصب عينيه ، فان الاستقالة لم تشكل ضغطا من اجل التضامن العربي بقدر ما شكلت زيادة في تفاقم ازمة **الجامعة العربية** ، في وقت حرج للغاية . وعلى الاقل كان يمكن **لمحمود رياض** ، اذا لم يصر على الاستقالة ، أن لا يعطي الفرصة لان تخلط بعض الأطراف العربية بين موقفها من شغل مصر لمنصب الأمين العام للجامعة من جهة ، وبين التطورات التي تشهدها المنطقة من جهة أخرى ، فضلا عن إظهار جوانب الشرعية القانونية ، ومدى توافرها في مواقف الأطراف المختلفة من عدمه ، وهي قضايا تستحق تحمل بعض المصاعب ، بل المتاعب من أجل العمل العربي المشترك ، بدلا من تركه في مهب الريح .

٢ ــ ان اختيار امين عام **للجامعة العربية** من جانب بقية الدول العربية ــ حتى اذا لم توافق السودان والصومال وعمان بالاضافة الى مصر ــ من شانه أن يضع نهاية للفترة الانتقالية التي اعقبت قرار نقل مقر الأمانة العامة **للجامعة العربية** من القاهرة الى تونس ، والتي شهدت قيام اثنين من الأمناء المساعدين للجامعة بمهام الأمين العام للجامعة العربية بالنيابة ، احدهما في القاهرة[3] والاخر في تونس[4] . ولا يقل اختيار أمين عام للجامعة من جانب بقية الدول العربية خطورة عن قرار نقل مقر الجامعة من القاهرة الى تونس ، بل انه سيكون تدعيما لهذا القرار وبداية الدخول في معركة الشرعية عليه على المستوى الدولي ، ونلك من خلال معركة ديبلوماسية من المؤكد أن تقوم ــ بل انها قامت بالفعل ــ بين مصر من جهة والدول العربية الأخرى ، من جهة ثانية . ومن الطبيعي أن يثير ذلك كله الصعوبات أمام العمل العربي المشترك ، من ناحية ، وأمام الدول الأجنبية والمنظمات الدولية في تعاملها مع الدول العربية ، من ناحية أخرى .

٣ ــ انه لأول مرة في تاريخ الجامعة العربية الذي امتد حتى الان اكثر من اربعة وثلاثين عاما ، سيتولى منصب الأمين العام للجامعة شخصية عربية غير مصرية . ومن شأن ذلك ان يؤدي الى حدوث سابقة هامة في تاريخ الجامعة ، طالما راودت الكثير من الدول العربية ــ كما سيتضح فيما بعد ــ ولكن الدور المصري المؤثر في الجامعة كان يحول دون تحقيقها . واذا كان من المستحيل تصور اختيار أمين عام للجامعة العربية لا توافق عليه مصر ونلك في الظروف العادية ، فان المناخ الذي يسود المنطقة العربية ، الان ، يجعل هذا امرا ممكن التحقيق . اذ ان اختيار أمين عام للجامعة يتطلب موافقة ثلثي الدول أعضاء الجامعة ، كما تنص المادة الثانية عشرة من الميثاق .

٤ ــ انه بدأت تظهر ملامح التنافس بين الدول العربية لتشغل منصب الأمين العام للجامعة العربية ، فهناك اربعة مرشحين بصفة رسمية لهذا المنصب ،

Digitized by Birzeit University Library

وهم السيد **الشاذلي القليبي** ، وزير الاعلام التونسي ، مرشح تونس – **وعبد الله الخاني** ، وزير السياحة السوري السابق وسفير سوريا الحالي في الهند – مرشح سوريا – **وأسعد الاسعد** ، الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية – مرشح لبنان – **وأحمد عبد الستار الجواري** ، وزير الأوقاف العراقي – مرشح العراق – وتحاول كل دولة كسب تأييد الدول الأخرى لمرشحها[1] .

٥ – من المعروف أن منصب الأمين العام في المنظمات الدولية من المناصب ذات التأثير الهام في سير المنظمة الدولية ، وتشكيل مواقفها من كثير من القضايا التي تفرض عليها[2] . وبالنسبة للجامعة العربية فان الدور الذي قام به السيد **عبد الرحمن عزام** كان مختلفا عن الدور الذي قام به السيد **عبد الخالق حسونه** ، وهذا بدوره كان مختلفا عن الدور الذي قام به السيد **محمود رياض** بالنسبة لموقف الجامعة العربية من القضايا العربية .

مصر ومنصب الأمين العام للجامعة العربية

تولى منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية حتى الان ثلاثة من المصريين ، هم **عبد الرحمن عزام** (من ١٩٤٥ – ١٩٥٢) **ومحمد عبد الخالق حسونه** (١٩٥٢ – ١٩٧٢) **ومحمود رياض** (١٩٧٢ – ١٩٧٩) . ولم يكن شغل منصب الأمين العام للجامعة بواسطة المصريين ، منذ انشاء الجامعة حتى الان ، مجرد مصادفة ، ولكنه كان انعكاسا للدور المصري والثقل المصري في الجامعة العربية والمنطقة العربية ، بوجه عام .

وقد أثار شغل مصر لمنصب الأمين العام للجامعة ، منذ انشائها حتى الان ، الجدل بين تأييد لاستمراره ومطالبة بوضع نهاية له فهناك من يطالب بتداول منصب الأمين العام للجامعة بين الدول العربية ، تأكيدا للمساواة بين الدول واظهارا للصفة القومية للجامعة[1] . وكذلك اخذا بالاتجاه الحديث في التنظيم الدولي ، وخاصة بالنسبة للأمم المتحدة حيث يتولى منصب الأمين العام اشخاص ينتمون الى الدول الصغرى[2] . فضلا عن أن ميثاق الجامعة لم يتضمن اية اشارة الى تخصيص هذا المنصب لدولة معينة . أما الاتجاه الاخر ، فانه يدعو الى استمرار شغل مصر لهذا المنصب ، نظرا لثقل مصر ومركزها بين الدول العربية وقدرتها ، اكثر من اية دولة عربية أخرى ، على خدمة أغراض الجامعة .

على أن هناك عدة حقائق اذا أخذت في الاعتبار ، سيكون لا محل له او لو اهمية ثانوية . وهذه الحقائق هي :

١ – ان شغل مصر لمنصب الأمين العام للجامعة يعد انعكاسا للثقل والدور المصري في الجامعة ، ولا يمكن اعتباره احتكارا مصريا لهذا المنصب مثلا ، كما انه لا يتعارض مع ميثاق الجامعة او اللائحة الداخلية للأمانة العامة لها . ومن الجدير بالذكر ان **عبد الرحمن عزام** قد أعرب عن رأيه في إمكان تداول منصب الأمين العام بين الدول العربية ، وذلك أثناء اجتماعات اللجنة الفرعية السياسية التي وضعت مشروع ميثاق **جامعة الدول العربية** .

٢ – ان تولي كل من **عبد الرحمن عزام ومحمد عبد الخالق حسونه ومحمود رياض** لمنصب الأمين العام للجامعة تم باجماع الدول العربية الأعضاء في الجامعة . في حين أن الميثاق ينص على أنه يمكن اختيار الأمين العام بأغلبية الثلثين ، فضلا عن أن بعضهم قد تولى المنصب بناء على ترشيح بعض الدول العربية – وليس مصر – له . بالاضافة الى أن المادة الثانية من اللائحة الداخلية للأمانة العامة لا تحدد مدة شغل هذا المنصب بواسطة رعايا إحدى الدول الأعضاء .

٣ – ان من حق الدول العربية أعضاء الجامعة ان ترشح من بين ابنائها من تراه مناسبا لشغل منصب الأمين العام للجامعة ، إذا أرادت . ولم يحدث ، على مدى أكثر من ثلاثين عاما ، ان تم ترشيح أي عربي من غير مصر لشغل هذا المنصب بصفة رسمية ، سوى مرة واحدة ، وكانت من جانب السودان في ١٩٦٨/٣/١ – الدورة ٤٩ لمجلس الجامعة – حيث رشحت وكيل وزارة الخارجية السودانية ، **جمال أحمد**[3] ، ولم يحصل على موافقة جميع الدول الاعضاء في الجامعة ، وتأجل النظر في مسألة الترشيح لمنصب الأمين العام الى الدورة التالية لمجلس الجامعة . وعند نظر هذه المسألة في الدورة لم يتقدم السودان ، مرة أخرى ، بمرشحه ، واستمر **عبد الخالق حسونه** ، حتى حل محله **محمود رياض** ، في منصب الأمين العام للجامعة .

٤ – انه مع عدم القدرة على التغاضي عن تأثير الأمين العام للجامعة على مواقف الجامعة العربية من القضايا التي تتناولها ، إلا انه قانونا مقيد بما يتخذه المجلس من قرارات ، ويتصرف في حدود ما يفرضه ميثاق وميزانية الجامعة .

موقف الدول العربية من منصب الأمين العام

بالرغم من تمتع الأمناء العامين للجامعة باجماع الدول العربية الأعضاء عند اختيارهم ، إلا أن الممارسة العملية في الجامعة أظهرت اتجاه الدول العربية او بعضها على الأقل في أن يتم تداول منصب

Digitized by Birzeit University Library

الأمين العام بين الدول العربية الأعضاء في الجامعة من جهة أو في الحد من سلطة الأمين العام للجامعة من جهة اخرى ، خاصة عندما كان الأمين العام للجامعة في عهد عزام يلعب دورا بارزا في تشكيل مواقف الجامعة من القضايا المعروضة عليها .

ولا يقلل من أهمية هذه الاتجاهات التي طرحت نفسها على اجتماعات مجلس الجامعة نفسه ، أنها ارتبطت ، بدرجة أو بأخرى ، بالموقف بين الدول العربية وبعضها البعض ، وخاصة العلاقات بين مصر والدول العربية الأخرى . ونظرا للثقل المصري في الجامعة ، وحتى لا يظهر الارتباط بين مواقف هذه الدول العربية وعلاقاتها بمصر ، فقد لجأت الدول العربية في التعبير عن اتجاهاتها السابقة الى محاولة وضع الصيغ القانونية ، سواء بتعديل النظام الداخلي للأمانة العامة أو حتى بتعديل الميثاق ، بصورة تجعل من المتعذر قانونا استمرار شغل مصر لمنصب الأمين العام أو على الأقل الحد من سلطاته بقدر الامكان .

أولا : محاولات الحد من سلطات الأمين العام للجامعة

تعرض الأمين العام للجامعة للنقد من جانب وزير خارجية العراق ، **فاضل الجمالي** ، في ٣ مايو ١٩٤٩ ، الذي وصف اختصاصات الأمين العام بأنها « تتعارض مع روح الميثاق وأهدافه وما اتفق عليه من احتفاظ الدول العربية بأوضاعها القائمة ، وأنه اخذ سلطات الدول الأعضاء ووزراء خارجيتها ، وتصرف كأنه رئيس دولة مستقل .. مما أدى الى الفوضى والارتباك والاختلاف بين دول الجامعة نفسها ، الأمر الذي يجعل من الجامعة مشكلة في العلاقات العربية » .

وقد رد الأمين العام **عبد الرحمن عزام** ، على هذه الانتقادات بقوله « ان وظيفة الأمين العام في اية مؤسسة دولية لا يقف اختصاصه عند حد الاشراف على حفظ السجلات وتبليغ القرارات ، وإنما عليه ان يزاول الاختصاصات التي تمنحه إياها الهيئة في ميثاقها ولوائحها وقراراتها وانه لم يتخذ من الاجراءات أو يتولى من الأعمال سوى ما قرره مجلس الجامعة باجماع الاراء . واذا كانت الأمانة العامة تسعى دائبة لرفع شأن مكانتها الدولية ، وتتعهد مظهرها وعلاقاتها لتبرزها بالمظهر اللائق بها كمؤسسة دولية محترمة ، فليس ذلك مما يعاب عليها »[١] .

المحاولة الأولى

انعكس هذا الخلاف على جامعة الدول العربية ، فكانت العراق لا تريد حضور جلسات مجلس الجامعة في دورته الحادية عشرة ، لكن بعد جهود **حسين سري** ، رئيس الوزراء المصري في ذلك الوقت ، أرسلت العراق بممثليها الى اجتماعات المجلس[٢] . وقد أشار الأمين العام ، في تقريره الى مجلس الجامعة عن اعمال الأمانة العامة بين الدورتين العاشرة والحادية عشرة لمجلس الجامعة ، الى هذا الخلاف ، مؤكدا أنه اذا كانت النظم المعمول بها في الجامعة غير صالحة أو كافية ، فان مجلس الجامعة هو المرجع الوحيد لاصلاحها[٣] .

الح **نوري السعيد** ، رئيس وزراء العراق في ذلك الوقت ، على ضرورة حذف الفقرة التي أشار فيها الأمين العام الى الخلاف مع العراق ، وبعد مناقشات تمت الموافقة على حذفها ، بعد أن أوضحت مصر وسوريا تأييدهما لرأي الأمين العام من أن « المكان الصحيح لبحث الشكاوى والاعتبارات التي ترد على الأمانة العامة ، او التي قد ترد على احدى الدول من الأمانة العامة ، هو المجلس وحده ، ويجب ان تراعي كل دولة في نظامها الداخلي ذلك »[١] .

ونتيجة لهذا الخلاف ، تقدم العراق باقتراحات لتعديل بعض مواد النظام الداخلي لمجلس الجامعة والنظام الداخلي للأمانة العامة . وارتكزت المقترحات العراقية على الأسس التالية .[٣]

١ ــ يرى الوفد العراقي ان توثيق العلاقات بين الدول العربية وضمان تعاونها ، تعاونا تاما ، يتوقف على تعديل الأنظمة المذكورة ، وفق الأسس التي تم الاشارة اليها ، وهي ضرورة أن يراعى مبدأ الاحتفاظ بالمسئوليات الحكومية لكل دولة .

٣ ــ ان ابقاء الوضع على ما هو عليه سيسبب ، في المستقبل كما سبب في الماضي ، ارتباكات ومشاكل تتعارض حتى ومبدأ التعاون بين الدول العربية ، الذي أوجد فكرة الجامعة .

وبالنظر الى التعديلات التي اقترحتها العراق ، فاننا نجد انها تناولت ، أساسا ، المواد التي تتعلق بسلطات الأمين العام ، سواء في لائحة مجلس الجامعة الداخلية او اللائحة الداخلية للأمانة العامة أو شئون الموظفين ، وقد انطوت على الرغبة في الحد من سلطات الأمين العام وتأثيره بصورة كبيرة ، وقد ظهر ذلك فيما يلي[٣] .

١ ــ تعديل المادة ١٨ من اللائحة الداخلية لمجلس الجامعة ، باضافة فقرة لها تقضي بتكوين لجنة دائمة من اعضاء المجلس للاشراف على ومراقبة تنفيذ قرارات المجلس بالتعاون مع الأمين العام ، ولتكون أداة صلة بين الأمانة العامة والدول الأعضاء ، في الفترة بين دورتي المجلس ، وترفع له تقريرا بذلك . ويعني هذا التعديل تحويل اختصاصات الأمين العام

Digitized by Birzeit University Library

في العمل على تنفيذ قرارات مجلس الجامعة الى هذه اللجنة الدائمة بالاضافة الى حرمانه من الاتصال بالدول اعضاء الجامعة .

٢ ــ تعديل المادة ٢١ ، ايضا ، بما يقضي بأن يكون تقديم الأمين العام ومندوبيه اقتراحات للمجلس في موضوعات غير مدرجة في جدول الأعمال ، أو عرض بيانات شفوية في اية مسألة يكون المجلس بصدد بحثها مرهونا بموافقة رئيس المجلس ، أو بدعوة منه ، وكان هذا الأمر متاحا للأمين العام بدون اشتراط موافقة الرئيس بموجب المادة ٢١ .

٣ ــ حذف الفقرة الأولى من المادة الاولى من النظام الداخلي للأمانة العامة ، والتي تنص على أن « الأمين العام لجامعة الدول العربية ينوب عن الجامعة ، فيما يتخذه من إجراءات في حدود نصوص الميثاق وقرارات مجلس الجامعة وميزانيتها المعتمدة من المجلس » . واستبدالها بفقرة تنص على أن « الأمين العام هو الموظف الاداري الأكبر في الجامعة ، ويتولى أعماله بصفته هذه في اجتماعات مجلس الجامعة واللجان ، ويقوم بالوظائف الأخرى التي توكلها اليه هذه الهيئات » .

٤ ــ اضافة مادة جديدة للائحة شئون الموظفين تنص على انه « ليس للأمين العام ولا لموظفي الأمانة العامة ان يطلبوا أو يتلقوا اثناء تأديتهم واجباتهم الرسمية تعليمات من أية حكومة أو اية سلطة خارجة عن الجامعة ، وعليهم أن يمتنعوا عن القيام بأي عمل قد يسيء الى مراكزهم بصفتهم موظفين مسئولين أمام مجلس الجامعة وحده » .

وفي ١٩/١٠/٤٩ تكونت لجنة « تعديل اللوائح والأنظمة الداخلية » من ممثلين عن الدول الأعضاء في مجلس الجامعة لدراسة المقترحات العراقية . وتولى رئاسة اللجنة **محمد عبد الخالق حسونه** ، وكيل وزارة الخارجية المصرية في ذلك الوقت . وجاء في التقرير الذي وضعته اللجنة انها « نظرت مليا في الاقتراح العراقي ، واتفقت على ان المقارنة لا تصح بين أمين عام الأمم المتحدة ، وهي ، مهما قيل عن تضامنها نظريا ، تظل متباينة المصالح والأهداف في الواقع ، وأمين عام للدول العربية ، وهي متفقة في الأهداف العليا والمصالح القومية ، ووراءها رأي عام ، عربي ، يعضدها لتحقيق ما ترنو اليه الشعوب العربية من عظمة وسؤدد .. » وانه من البديهي ، بما يساعده على الاضطلاع بمسئولياته ، باعتباره اداة التنفيذ لقرارات مجلس الجامعة ، والعامل باسمها في تحقيق اغراض الميثاق ، ضمن حدود تلك القرارات ، فبالنظر لهذه الاعتبارات رأت اللجنة ، من جهة ، انه يجب تجنب أية عبارة قد تضعف من مركز الأمين العام ، ورأت ، من جهة اخرى كذلك ، تجنب أية عبارة قد تظهر الأمين العام وكأنه مضطلع بمسئولية اتخاذ اجراءات في حدود نصوص الميثاق دون الاستناد الى قرارات المجلس ، وبالنسبة للمقترحات العراقية المشار اليها فقد رأت اللجنة ما يلي .

١ ــ عدم الموافقة على اقتراح تعديل المادة ١٨ من اللائحة الداخلية لمجلس الجامعة واستمرت كما هي وبالتالي استمرت اختصاصات الأمين العام قائمة .

٢ ــ تم الأخذ بالتعديل العراقي للمادة ٢١ فتضمنت الفقرة ٣ منها أنه « ... للأمين العام ولمندوبيه بموافقة الرئيس أو بدعوة منه أن يعرضوا على المجلس في كل وقت تقارير أو بيانات شفوية عن اية مسألة يكون المجلس في صدد بحثها » .

٣ ــ لم يؤخذ باقتراح العراق بالنسبة للمادة الأولى من اللائحة الداخلية للأمانة العامة بأن يكون الأمين العام هو الموظف الاداري الأكبر للجامعة ولكن نصت المادة الأولى التي تم التوصل اليها من جانب مجلس الجامعة على أن « الأمين العام يتولى باسم الجامعة تنفيذ قرارات المجلس واتخاذ الاجراءات المالية ضمن حدود الميزانية المعتمدة من المجلس » وهي أقل نسبيا من النص الأصلي الذي يقول ان « الأمين العام لجامعة الدول العربية ينوب عن الجامعة فيما يتخذه من إجراءات في حدود نصوص الميثاق وقرارات مجلس الجامعة وميزانيتها المعتمدة من المجلس » .

٤ ــ أضيفت المادة الجديدة التي اقترحت العراق اضافتها الى لائحة شئون الموظفين لتكون فقرة ثانية في المادة الثالثة من اللائحة وتنص على أنه « ليس للأمين العام ولا لموظفي الأمانة العامة ان يطلبوا أو يتلقوا اثناء تأدية واجباتهم الرسمية تعليمات من اية حكومة أو اية سلطة خارجة عن الجامعة وعليهم أن يمتنعوا عن القيام بأي عمل قد يسيء الى مراكزهم بصفتهم موظفين في الأمانة العامة » .

وهكذا لم تنجح هذه المحاولة في تحويل الأمين العام للجامعة الى مجرد موظف اداري أكبر ويرجع ذلك أساسا الى الموقف المصري من هذه المسألة وتأكيده على أن الأمين العام للجامعة ليس موظفا .

المحاولة الثانية

لم تمض على المحاولة الأولى سنتان حتى شهدت الجامعة محاولة أخرى ، تهدف الى تقليص نفوذ الأمين العام ، عن طريق إدخال تعديلات على النظام الداخلي للأمانة العامة ولائحة شئون الموظفين . وقد

Digitized by Birzeit University Library

اقترحت هذه التعديلات اللجنة المالية التي شكلت لدراسة ميزانية الجامعة عام ١٩٥٠ ، وذلك في ١٩٥٠/٢/٧ ، وتقدمت اللجنة المالية الفرعية بالتعديلات في تقريرها المقدم لمجلس الجامعة ، في ١٤/ ١٩٥١/٥ ، وكانت أهم التعديلات المقترحة هي

١ ـ إدخال مادة جديدة ـ المادة ٤ ـ على النظام الداخلي للأمانة العامة تنص على أنه « يؤلف في الأمانة العامة مجلس يطلق عليه مجلس الأمانة العامة ويكون من الأمين العام ومساعديه ويكون له حق النظر في شئون الأمانة العامة . ويجتمع مجلس الأمانة العامة بناء على دعوة الأمين العام كما يجمعه الأمين العام بناء على طلب اثنين من الأمناء المساعدين كتابة . وفي جميع الأحوال يجب أن يجتمع مجلس الأمانة مرة في كل شهر على الأقل . ويعد الأمين العام جدول الأعمال ويحرر محضر لكل جلسة وتؤخذ القرارات بالأغلبية المطلقة ـ وعند تساوي الأصوات يرجح جانب الأمين العام »[١] .

٢ ـ تعديل المادة ٢٠ من لائحة شئون الموظفين ، والتي تنص على تأليف لجنة للموظفين في الأمانة العامة ، مكونة من مدير مكتب الأمين العام رئيسا ، ومن مديري الادارات المختلفة اعضاء . وتكون قراراتها بالأغلبية . وإحلال مجلس الأمانة العامة محل لجنة الموظفين ، على ان يكون للأمين العام ، عند نظر شئون الموظفين ، أن يدعو مديري الادارات ، التي لا يشرف عليها امين مساعد ، للاشتراك في مجلس الأمانة العامة ويكون رأيهم استشاريا »[٢] .

ومن الواضح أن المادة الرابعة المراد إدخالها على النظام الداخلي للأمانة العامة من شأنها سحب سلطات الأمين العام في تسيير وتنظيم الأمانة العامة ، باعتباره المسئول الأول عنها . كما أن ذلك يلزمه بقرارات مجلس الأمانة ، حتى ولو لم يكن متفقا معها في الرأي طالما أن هذه الاراء صدرت بالأغلبية .

وقد عكست مناقشات مجلس الجامعة لهذه النقطة اراء ومواقف الدول العربية من الأمين العام ، واوضحت رغبة بعض هذه الدول وعلى رأسها العراق في الحد من سلطات الأمين العام .

فبالنسبة للعراق ، أيدت إدخال المادة الرابعة ، ورأى ممثلها ـ **نجيب الراوي** ـ أن النص لا يتعارض مع الميثاق ، ولا مع أي نظام آخر[٣] . كما أيد لبنان موقف العراق . وقال ممثله في المجلس ـ **سامي الخوري** ـ أن « وجود المادة الرابعة في لائحة النظام الداخلي له ما يبرره : فالمقصود أن يكون لهذا المجلس الحق في النظر في شئون الأمانة العامة الى جانب الأمين العام . »[٤] وإن « إنشاء هذا المجلس هو بيت القصيد »[٥] .

أما بالنسبة لمصر فقد عارضت المادة الرابعة المشار إليها ، معارضة شديدة ، على أساس أن المسئولية تقع اولا وأخيرا على الأمين العام ، فمن الواجب أن تقابل هذه المسئولية بمنحه السلطة التي تخوله الاشراف التام على الأمانة العامة ، وان إعطاء صلاحيات للجنة المراد إنشاؤها لا يجوز قانونا ، مع مسئولية الأمين العام أمام المجلس[٦] . ورأت مصر أنه إذا كانت هناك لجنة فلا بد أن يكون رأيها استشاريا ، وللأمين العام أن يأخذ برأيها أو لا يأخذ . ورفضت مصر قبول محاولة التوقيع التي حاولت العراق القيام بها بأن يضاف الى المادة ٢٠ من لائحة شئون الموظفين الفقرة الأخيرة من المادة ٤ ، والتي تتضمن أن يتخذ مجلس الأمانة قراراته بالأغلبية المطلقة . وأيدت مصر موقفها ، ايضا ، بالقول بأن المجلس المقترح ليس له ما يماثله في لوائح الأمم المتحدة[٧] . ورأت مصر أنه يمكن الاتفاق على أن يكون رأي مجلس الأمانة استشاريا ، على أن تحذف عبارة « كما يجمعه الأمين العام ، بناء على طلب اثنين من الأمناء المساعدين كتابة » وكذلك حذف عبارة « وتؤخذ القرارات بالأغلبية المطلقة » ولم توافق العراق ولبنان على ذلك .

أما بالنسبة لموقف الأمين العام للجامعة من هذه التعديلات ، فقد وافق على وجهة النظر المصرية ، وقال انني اقبل كل حق وكل مسئولية للأمين العام للأمم المتحدة ، واقبل كل التزام يلتزم به من هو في مركزي في أية هيئة من الهيئات الدولية . وأن الأخذ بالمادة الرابعة المقترحة سيعني تعدد السلطات في الأمانة العامة ، ويؤدي الى رقابة الموظفين على رئيسهم »[٨] .

إلى جانب ذلك ، فقد ايدت الأردن موقف مصر ، وقال ممثلها في المجلس ، **عوني عبد الهادي** « أن المسألة ليست مسألة شخص **عزام باشا** ، بل أن أيا كان في مركز الأمين العام لا يستطيع أن يصدر أي قرار لو كانت مثل هذه اللجنة المقترحة قائمة ، اللهم إلا إذا كان رأيها استشاريا فقط » .

وأمام هذا الخلاف في الرأي بين لبنان والعراق من جهة ، ومصر من جهة أخرى ، وتمسك كل من الجانبين بموقفه ، تأجل النظر في هذه المسألة الى الدورة التالية لمجلس الجامعة ، وهي الدورة السادسة عشرة .

وفي الدورة السادسة عشرة استقال **عزام** من منصب الأمين العام للجامعة ، وتأجل النظر في

Digitized by Birzeit University Library

تعديلات اللوائح ، ولم يبت فيها الا في الدورة الثامنة عشرة لمجلس الجامعة (٢٨/٣/٥٣ – ١٠/٥/١٩٥٣) ، إذ وافق المجلس على المذكرة التي تقدم بها **عبد الخالق حسونه** ، الأمين العام الجديد للجامعة ، بخصوص النظام الداخلي للأمانة العامة ولائحة شئون الموظفين ، وجاء فيها أن « نصوص كلا من لائحتي شئون الموظفين والنظام الداخلي للأمانة العامة ، اللتين صادق عليهما المجلس عام ١٩٤٦ ، والمعمول بهما حتى الان ، تفي بالغرض ، إذا ادخل عليها من التعديلات الطفيفة ما دعي التطبيق العملي الى ضرورته »(٣) .

وإذا نظرنا الى التعديلات التي وافق مجلس الجامعة على إدخالها على اللائحتين سنجد انها تعديلات طفيفة جدا ، ولا تتصل بالجوهر(٤) . ولم يات اي نكر للمادة الرابعة المقترحة الخاصة بمجلس الامانة والغيت ، تماما ، من اقتراحات الأمانة العامة . وبالنسبة للمادة ٢٠ من لائحة شئون الموظفين ، فقد اقتصر التعديل على جعل رأي لجنة شئون الموظفين استشاريا ، بعد ان كان يصدر رأيها بالأغلبية(٤) . وفي هذا تقليل لدور لجنة شئون الموظفين ، وتدعيم لسلطة الأمين العام .

وتجدر الاشارة الى ان العراق ولبنان لم يتمسكا بآرائهما التي طرحت في الدورة ١٥ لمجلس الجامعة ، بالنسبة لمجلس الأمانة العامة ، بعد أن استقال **عبد الرحمن عزام** ، وتولى **حسونه** منصب الأمين العام للجامعة . مما يرجح معه القول بأن تمسك العراق ولبنان بآرائهما كان مرتبطا بوجود واستمرار **عبد الرحمن عزام** ، كأمين عام للجامعة ، فقد كان ذا شخصية قوية وله تأثير كبير في نشاط الجامعة .

ثانيا : محاولة وضع حد لتولي الأمين العام من نفس الجنسية

بعث **عبد الرحمن عزام** باستقالته ، من منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية الى مجلس الجامعة ، في ٩/٩/١٩٥٢ ، بعد أن تعرض للنقد من جانب الحكومة المصرية والصحافة المصرية . وقد قبل المجلس استقالة **عزام** . وفي نفس الجلسة التي تم فيها قبول الاستقالة ، رشح د . **فاضل الجمالي** وزير خارجية العراق ، **محمد عبد الخالق حسونه** ، وزير الخارجية المصري السابق ، ليكون أمينا عاما للجامعة لما اتصف به من خبرة طويلة وحزم واتزان وحنكة في إدارة الأمور(١) . وبعد أن وافقت مصر على هذا الترشيح أيدته الدول العربية الاخرى الأعضاء في المجلس ، وتولى **حسونه** منصب الأمين العام للجامعة ، اعتبارا من ١٥/٩/١٩٥٢ ، ولمدة خمس سنوات .

وقبل انتهاء مدة تولي **حسونه** بعث برسالة الى الدول الأعضاء في الجامعة ، في ١٧/٦/١٩٥٧ ، طلب فيها الاتفاق على مرشح جديد لتولي منصب الأمين العام ، لأنه يريد اعتزال منصبه عند نهاية فترة توليه . إلا أن وزير الخارجية المصري د . **محمود فوزي** طلب من **حسونه** الموافقة على ترشيحه لفترة جديدة ، حرصا من مصر على ازدهار الجامعة ، وتقديرا لما قام به الأمين العام . وبعثت مصر ، في ٣/٨/١٩٥٧ ، بمذكرة الى الأمانة العامة للجامعة ، تضمنت ترشيح مصر **لعبد الخالق حسونه** ، لفترة جديدة . وقد وافق مجلس الجامعة ، في ٤/٩/١٩٥٧ ، بالاجماع ، على اعادة انتخاب **حسونه** أمينا عاما للجامعة ، خمس سنوات أخرى ، اعتبارا من ١٥/٩/١٩٥٧(٢) .

وبعد الاجماع على انتخاب **حسونه** ، تحدث مندوب لبنان في مجلس الجامعة ، **توفيق عواد** ، فقال ان « للحكومة اللبنانية ملاحظة بشأن مبدأ ، والمبادىء غير الأشخاص ، وتتلخص هذه الملاحظة في أن الحكومة اللبنانية ترى بلسان وفدها أن هذه فرصة مناسبة للأعراب عن رغبة تساور الكثير من الدول الأعضاء ، وهي أن يصار الى تداول منصب الأمين العام بين الدول الأعضاء ما أمكن التداول . ولذا فان لدى الوفد اللبناني اقتراحا ارجو أن تستمعوا إليه ، وأن يصار إلى بحثه ، إذا رايتم ذلك ، وأن تقرروا إحالته الى الجهة المختصة في الجامعة لبحثه حسب الأحوال المرعية »(٣) .

وواضح هنا حرص المندوب اللبناني على أن يشير الى أن الملاحظة التي يتحدث عنها بخصوص تداول منصب الأمين العام لا تقتصر على لبنان ، التي عبرت عنها وحسب ، ولكنها ، أيضا ، تساور الكثير من الدول الأعضاء . ومن الجدير بالاشارة اليه ، أنه في هذه الفترة كانت العلاقات المصرية – اللبنانية متوترة بسبب الخلاف حول مبدأ ايزنهاور .

تقدم الوفد اللبناني باقتراحه ، الذي تضمن تعديل المادة الثانية من النظام الداخلي للأمانة العامة ، والتي تنص على أن يكون تعيين الأمين العام لمدة خمس سنوات ، قابلة للتجديد ونص التعديل على أنه « ١ – أن يكون تعيين الأمين العام لمدة خمس سنوات ، قابلة للتجديد : ٢ – لا يجوز تعيين الأمين العام من رعايا احدى الدول الأعضاء أكثر من مرتين متواليتين » .

ونظرا لان هذا الاقتراح لم يدرج في جدول الأعمال بالاسلوب العادي ، وانما اقترح في أثناء الجلسة ، فقد عارضته سوريا ، كما عارضت مناقشة الاقتراح في الجلسة وطلبت إدراجه في

Digitized by Birzeit University Library

جدول الاعمال ، بالطريق العادي ، نظرا لان « هذا الاقتراح من الخطورة بحيث لا يمكن بحثه الان »[1] .

وعندما طلبت لبنان تسجيل الاقتراح لمناقشته قال رئيس المجلس ـ ممثل السودان ـ ان الاقتراح سيبحث حين يقدم بالطريق العادي . ولم تتم ، بالفعل ، مناقشة الاقتراح اللبناني ، او إدراجه في جدول اعمال المجلس . واقتصرت اهميته على انه كان انعكاسا لرغبة تساور بعض الدول الاعضاء في الجامعة بالنسبة لمنصب الامين العام .

وفي نهاية الفترة الثانية لتولي حسونه منصب الامين العام ، في ١٤/٩/١٩٦٢ ، ونظرا للخلافات التي كانت موجودة في الساحة العربية ـ مقاطعة العراق لاجتماعات الجامعة بسبب ازمة الكويت ، وازمة شتورا بين ج . ع . م . وسوريا في اغسطس ١٩٦٢ ، ومقاطعة ج . ع . م . لاجتماعات الجامعة ـ ونظرا لانه لم تتقدم اية دولة عربية بترشيح احد مواطنيها لمنصب الامين العام ، فقد وافقت الدول العربية الاعضاء في الجامعة بالاجماع على تجديد تعيين عبد الخالق حسونه في منصب الامين العام ، للمرة الثانية[2] . وقد جاء هذا القرار ترضية للجمهورية العربية المتحدة ـ مصر ـ واظهارا لرغبة الدول العربية في عودتها للمشاركة في اجتماعات المجلس باعتبار ان عبد الخالق حسونه مواطنا مصريا[3] .

انتهت الفترة الثانية لتولي حسونه منصب الامين العام ، في ١٥/٩/٦٧ ، ونظرا للأوضاع العربية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، فقد تم مد فترة بقائه عدة مرات ، حتى قدم استقالته في أول يونيو ١٩٧٢ ، وتولى محمود رياض ـ مستشار رئيس جمهورية مصر العربية ووزير الخارجية المصري السابق ـ منصب الأمين العام للجامعة العربية ، بناء على ترشيح مصر ، واستمر يشغل هذا المنصب حتى قدم استقالته مؤخرا .

واذا كان التنافس بين الدول العربية على منصب الأمين العام لم يظهر ، بصورة واضحة ، في جامعة الدول العربية بسبب الثقل المصري فيها ، فقد كان منصب الأمناء المساعدين للجامعة ميدانا للتنافس بين الدول العربية الى حد أن تعيين الأمناء المساعدين من قبل الأمين العام للجامعة أصبح مشكلة من المشكلات ، نظرا لرغبة كثير من الدول العربية في شغله .

وقد تسببت الخلافات العربية في أن يستمر منصب الأمين العام المساعد للجامعة شاغرا قرابة ست سنوات . إذ أن أول من شغل منصب الأمين العام المساعد للجامعة كان احمد الشقيري ، في ٢/٢/١٩٥١[4] بناء على ترشيح سوريا . وبالتالي لم تواجه مسألة جنسية الأمين العام المساعد للجامعة صعوبات ، باعتباره فلسطينيا . وحتى الان شغل منصب الأمين العام المساعد للجامعة أشخاص من كل من مصر وسوريا ولبنان والعراق والسودان وفلسطين والأردن .

خاتمة

لقد كانت الجامعة العربية ، دائما ، ضحية الخلافات العربية ، خاصة اذا كانت مصر طرفا فيها . ومن الطبيعي أن ينعكس الخلاف القائم ، الان ، بين حكومة مصر والدول العربية على الجامعة ، ونشاطها ، وإمكانياتها في التحرك عربيا ودوليا .

ومن المعروف أن الجامعة العربية كانت تشكل ، دائما ، الاطار الذي يمكن ، من خلاله ، احتواء الخلافات العربية ، اذا تعذر ذلك من خلال الديبلوماسية الثنائية . ولكنها تبدو عاجزة امام الخلاف القائم الذي يتعلق بأكثر النقاط حساسية في قضية العرب الأولى ، وهي القضية الفلسطينية ، خاصة في ظل عدم وجود طرف ثالث الى جانب طرفي الخلاف ، يمكنه التقريب بين وجهات النظر او إيجاد السبل لتحقيق الحد الأدنى من الاتفاق . فالسودان والصومال وسلطنة عمان أضعف من أن تقوم بهذا الدور . هذا فضلا عن أن الجامعة ذاتها أصبحت أحد جوانب الخلافات القائمة .

ودخلت الجامعة العربية ، باختيار أمين عام غير مصري ، مرحلة جديدة من حياتها ، أبرز سماتها هي غياب الدور المصري . وبالتالي فان تقييم هذه الفترة ، بالنسبة للفترة الماضية من حياة الجامعة سيكون مسألة صعبة للغاية .

وحتى اذا افترضنا ، جدلا ، عودة الأمور الى طبيعتها بين الدول العربية ومصر ، فان الدور المصري في الجامعة سيكون قد تأثر ، الى حد كبير ، بفعل عمليات الضغط والحصار التي يتعرض لها في ظروف معادية له . وهو أمر اذا كان في غير صالح مصر فانه بنفس القدر في غير صالح الجامعة العربية كمنظمة اقليمية وفي غير صالح العرب بوجه عام .

Digitized by Birzeit University Library

حواشي

(١) ومما يزيد من الم المحنة في نفس كل عربي مخلص أنه في نفس الوقت الذي يحدث هذا للجامعة العربية يقوم الناخبون الأوروبيون باختيار ممثليهم في البرلمان الاوربي ، داخلين بذلك مرحلة هامة من مراحل توحيد اوربا .

(٢) قدم **محمود رياض** استقالته لمجلس الجامعة في دورته رقم ٧١ ، التي عقدت في مقديشيو ، الا ان المجلس لم يوافق عليها ، وبذلت جهود من جانب بعض أعضاء المجلس لاثنائه عن الاستقالة .

(٣) قام **محمود رياض** ، الأمين العام المساعد للجامعة العربية ، وهو مصري ، بمهام الأمين العام للجامعة بالنيابة ، في مقر الجامعة بالقاهرة .

(٤) قام السيد **نهاد الباشا** ، الأمين العام المساعد للجامعة العربية ، وهو سوري ، بمهام الأمين العام للجامعة بالنيابة حتى وصل **اسعد الاسعد** ، وهو لبناني ، الى تونس . وكان **محمود رياض** قد كلفه بالقيام بمهام الأمين العام للجامعة بالنيابة ، عقب استقالته .

(١) زار عدد من المبعوثين التونسيين مختلف الدول العربية لكسب تأييدها لمرشح تونس ــ **الشاذلي القليبي** ــ لمنصب الأمين العام للجامعة . كما أن هناك فكرة مطروحة تتمثل في أنه اذا كان تم نقل مقر الجامعة الى المغرب العربي فان الأمين العام للجامعة يجب اختياره من دول المشرق العربي .

(٢) على المستوى الدولي كان هناك اختلاف بين **اريك درموند** ــ بريطاني ــ وهو أول أمين عام لعصبة الامم (١٩١٩ ــ ١٩٣٣) **وافينول** ــ فرنسي ــ وهو ثاني أمين عام للعصبة (١٩٣٣ ــ ١٩٤٠) . ولا يرجع هذا الاختلاف الى ممارسة وظائف مختلفة ، ولكن الفرق كان كامنا في طريقة التنفيذ والتصرف ، في إطار نفس الوظائف ، مما يرجع الى شخصية كل منهما والظروف الدولية المحيطة بتحركهما . فقد كان **اريك درموند** اكثر مبادرة من **افينول** الذي تحول الى موظف فني اداري . كما كان هناك اختلاف بين الدور الذي لعبه كل من **تريجفي لي وهمرشلد واوثانت** ، عند توليهم منصب الأمين العام للأمم المتحدة .

Leonard Larry, International Organisation, New York, 1951, P. 242.

(١) محمد عبد الوهاب الساكت . **الأمين العام لجامعة الدول العربية ، اختصاصاته السياسية والادارية ودوره في قوات الطوارىء العربية** . دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) تولى منصب السكرتير العام للأمم المتحدة كلا من **تريجفي لي** (نرويج) ، **همرشولد** (سويد) ، **يوثانت** (بورما) ، **وفالدهايم** (سويد) .

(٣) محمد عبد الوهاب الساكت ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(١) انظر رد الأمين العام على بيان وزير خارجية العراق ، الذي القاه في المجلس النيابي العراقي في ٤٩/٥/٣ . **وثائق الأمانة العامة** ، وقال الأمين العام في هذا الرد ، أيضا ، انه « لم يصل الى الأمانة العامة أو الى مجلس الجامعة في شأنها ــ اختصاصات الأمين العام ــ أي اعتراض من أية وزارة عراقية منذ تأسيس الجامعة حتى الآن ــ ١٩٤٩ ــ ان الامين العام مسئول أمام مجلس الجامعة الذي يملك وحده حق تقرير تصرفاته ومحاسبته على أعماله لا مجالس النواب في البلاد العربية المختلفة .

(٢) م حـ . ١١ / حـ ١ ، ص ٧ (**محاضر اجتماعات مجلس جامعة الدول العربية في دورته الحادية عشرة** ، الجلسة الأولى) .

(٣) م حـ د ١١/ حـ ٣ ، ص ٦٥ (**محاضر اجتماعات مجلس جامعة الدول العربية ، في دورته الحادية عشرة** ، الجلسة الثالثة) .

(١) **المرجع السابق** ، ص ٦٧ .

(٢) انظر اقتراح **نوري السعيد** لمجلس الجامعة في م حـ د ١١/ حـ ١ ص ١٤ ، ١٥ في ١٩٤٩/١٠/١٧ .

(٣) م حـ د ١١/ ص ٢٢٨ ــ ٢٣٢ .

Digitized by Birzeit University Library

(١) م حـ د ١٥/ حـ ٣ ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٢) م حـ د ١٥/ حـ ١ ، ملحق رقم ٩ ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) م حـ د ١٥/حـ ١ ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٤) **المرجع السابق** ، ص ٢٨٧ .

(٥) **نفس المرجع السابق** ، ص ٢٩٢ .

(٦) **المرجع السابق** ، ص ٢٨٦ .

(١) **المرجع السابق** ، ص ٢٨٩ .

(٢) **المرجع السابق** ، ص ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ .

(٣) م حـ د ١٨/ حـ ١ ملحق رقم ٢٨ ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٧ .

(٤) م حـ د ١٨ ، حـ ١ تناولت تعديلات لائحة شئون الموظفين تعديلات المواد ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ الخاصة بتكوين لجنة الموظفين واختصاصاتها وتعديلات تتعلق بالترقيات وتنظيمها ومعاملة المتوفين . وفي لائحة النظام الداخلي للأمانة العامة تضمنت التعديلات اختصاصات مدير ادارة السكرتارية وحذف اختصاصات مدير الادارة العامة بالامانة العامة للجامعة . انظر . **المرجع السابق** . ص ٢٤١ ، ٢٥٧ .

(١) م حـ د ١٦/ حـ ٣ ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ . وقال د . **فاضل الجمالي** « نرجو أن تدخل الجامعة في عهد تولي (حسونه) الأمانة العامة عهدا جديدا من التعاون والتآخي والتقارب بين دول الجامعة » .

(٢) القرار رقم ١٣٨٣ الذي اتخذه مجلس الجامعة في الدورة ٢٧ الجلسة ٨ في ١٩٥٧/٩/٤ .

(٣) م حـ د ٢٧/ حـ ٨ ، ص ٧٦ .

(١) **المرجع السابق** ، ص ٧٧ .

(٢) القرار رقم ١٨٦٠ لمجلس الجامعة في دورته رقم ٣٨ ، الجلسة ٢ في ١٩٦٢/٩/١٥ .

(٣) م حـ د ٣٨/ حـ ١ ص ١٤ .

(٤) قرار الأمين العام رقم ١٣٠ في ١٩٥١/٢/٧ ، قرار مجلس الجامعة رقم ٢٤١/ د١٣/ حـ ٣ في ١٩٥١/٢/٢ .

Digitized by Birzeit University Library

ملاحظات منهاجية حول دراسة الحرب الثورية

أسامة الغزالي حرب

على الرغم من أن اصطلاح الحرب الثورية Revolutionary War يبدو وكأنه اصطلاح حديث نسبيا ، إلا انه ، في واقع الأمر ، ليس كذلك . ولقد شاع استعمال هذا الاصطلاح تاريخياً لوصف حروب الثورة الامريكية ، حتى أن بعض المعاجم الأمريكية عندما تتحدث عن « الثورة » أو « الحرب الثورية » فانها تقصد ، مباشرة ، الثورة الأمريكية والحروب التي ارتبطت بها .[١] وبدرجة أقل استخدم هذا الاصطلاح ليدل على الحروب التي خاضتها جيوش الثورة الفرنسية في القارة الأوربية في بداية القرن التاسع عشر .

وجاء الفقة الماركسي ليستعمل ذلك الاصطلاح ، ويعطيه ابعاداً ومضامين جديدة ، فاستعمل على يد ماركس وانجلز ، باعتباره معبراً عن أحد « أشكال » الكفاح الثوري ، يقول إنجلز : « إن شعبا يريد أن يظفر باستقلاله لا يمكن أن يركن للأساليب العادية للقتال ، إن الفيضانات الجماهيرية والحروب الثورية وفصائل حرب العصابات ، في كل مكان ، هي الأسلوب الوحيد الذي تستطيع به أمة صغيرة أن تهزم جيشا كبيرا »[٢] . واستخدم لينين نفس التعبير ، ليصف به الحروب التي تخوضها جيوش الثورة الروسية المنتصرة ضد أعدائها سواء في الحرب الأهلية أو ضد أعدائها الخارجيين ، فقد جاء على لسانه ، حول إمكانية قيام الحرب ضد الألمان ، إذا لم يوافقوا على عرض الصلح الذي قدمه لهم البلاشفة . « ما تزال في روسيا موارد هائلة مادية ومعنوية ، لخوض حرب ثورية حقا ، وثمة ٩٩٪ من الاحتمالات أن يمنحنا الألمان هدنة ، على الاقل » .[٣]

على أن الاستعمال المعاصر لتعبير « الحرب الثورية » يعود ، في الواقع ، الى مصدرين رئيسيين ، أولهما وأقدمهما مصدر شيوعي صيني . ويتمثل أساسا في كتابات ومؤلفات ماوتسي تونغ الشهيرة عن الحرب الثورية في الصين ، وخاصة كتابة « قضايا الاستراتيجية في الحرب الثورية الصينية » : حيث تحدث عن الحرب الثورية ، لا كمجرد شكل من أشكال الكفاح ، ولا لمجرد التعبير عن حروب الثورة الصينية ، وانما باعتبارها ظاهرة سياسية متميزة ، لها ظروفها المحددة وطبيعتها الخاصة[٤] . أما المصدر الثاني والأحدث لاستعمال تعبير « الحرب الثورية » فهو مصدر فرنسي ، حيث استخدمته مجموعة من الكتاب والعسكريين الفرنسيين في الخمسينيات ، وعقب الفشل في الهند الصينية[٥] ، « للدلالة على كل نضال مسلح يبدأ به عدد قليل من الأشخاص ، يسيطرون على الشعب بصورة متدرجة ، ويقدمون له أسبابا تقنعه بالثورة ضد السلطة القائمة التي يرفضون الاعتراف بها» .[٦] واتسع نطاق استخدام تلك التعبير على يد الفرنسيين ، مثلما هو في كتاب اندريه بوفر ، الصادر عام ١٩٧٢ ، تحت اسم « الحرب الثورية » ، وفي كتابات المفكر اليساري ريجي دوبريه ، التي يحلل فيها « الحرب الثورية » في امريكا اللاتينية .

وكان من المحتم أن ينتقل التعبير الى الكتابات الأمريكية والبريطانية ، بعد تجاهل متعمد له – كما يرى كثير من الكتاب – لاخفاء الطبيعة الثورية للحرب التي كانت تواجهها الولايات المتحدة في فيتنام[٧] ، وبدأ التعبير ينتشر ، بوضوح ، في الدراسات الأمريكية . أما على الناحية الأخرى – أي على الجانب الفيتنامي – فقد استخدم التعبير تأثيرا – في الأساس – بالتجربة الصينية ، ولذا فليس من الغريب أن استعمل لي ذوان و جياب وغيرهما من القادة والمفكرين الفيتناميين تعبير الحرب الثورية على نطاق واسع ، لوصف الكفاح الذي خاضه الفيتناميون ضد النظام القائم في الجنوب ، وضد الولايات المتحدة ، معا .

وعلى أي حال ، فالشيء المؤكد هنا هو أن « الحروب الثورية » – حتى وفق أضيق التعريفات – اكتسبت أبعادا هامة وجديدة ، منذ الحرب العالمية الثانية بالذات ، فانتشرت موجة عاتية منها شملت بلدان آسيا وإفريقيا

Digitized by Birzeit University Library

وأمريكا اللاتينية ، من فيتنام ولاوس وكمبوديا والملايو واندونيسيا وتايلاند وبورما والفلبين ، الى عدن والجزائر وتونس وقبرص وفلسطين ، الى كينيا واريتريا وجنوب افريقيا وأنغولا وموزمبيق والكونغو ونيجيريا ، الى كوبا والارجنتين وأرجواي .. وغيرها من بلاد القارات الثلاث .

والتساؤل الهام الذي يطرح نفسه هنا هو . لماذا هذا الانتشار لظاهرة الحرب الثورية ، بعد الحرب العالمية الثانية ؟ علينا أن نلاحظ ــ أولا ــ أن ظروف الحرب ، نفسها ، ساعدت على إنضاج وتطوير أساليب الحرب الثورية ، حيث خلقت تلك الظروف « فرصا جديدة لبناء تنظيمات سرية ، ولشن حروب الانصار في البلاد المحتلة ، وانشأ الشيوعيون المحليون (الى جانب جماعات المقاومة الاخرى) وبمساعدة الحلفاء ، قوات كبيرة في بلدان عديدة ، وأنشأ السوفييت ، انفسهم ، قوات عصابات ضخمة في الجانب الألماني الخاضع لهم ، وقرب نهاية الحرب كان الأنصار اليوغوسلاف والالبان قادرين على الاستيلاء على السلطة في مواجهة معارضة هزيلة ، كذلك استفاد الشيوعيون الصينيون كثيراً من مجرى الحرب » .(٨)

واذا كان من المسلم به أن أحد الآثار الرئيسية الناتجة عن الحرب الثانية ، يتمثل في نهوض الحركة القومية ، خاصة في المناطق المحتلة من جانب البلاد الأوربية التي انهكتها الحرب ، فأن ذلك الأثر نفسه يفسر ــ بشكل رئيسي ــ انتشار الحروب الثورية ، فلقد قوضت الحرب من قوة وسلطة البلاد الاستعمارية ، مما عضد ــ بالتالي ــ تصميم القادة والشعوب في المستعمرات على الاستقلال .(٩) واندلعت تلك الحروب الثورية التي وصفت ، أحيانا ، بأنها « حروب التحرر الوطني » أو « الحروب الثورية ضد الاستعمار » ، مستندة الى ايديولوجية لا تجمع حولها ابناء البلد الذي يشن الحرب فقط ، وانما تنتزع ، أيضاً ، تعاطف عناصر عديدة في معسكر الخصم ، وبين صفوف المحايدين .(١٠)

وفي الوقت نفسه ، فلقد أثر مسار الحرب على عديد من البلدان الأخرى المستقلة من فترة طويلة ، ولكنها كانت تعاني من اقتصاديات ضعيفة ، أو أبنية حكومية غير مستقرة ، وبالتالي من تناقضات داخلية ، كشفت عنها وأبرزتها الأفكار الرابيكالية والاشتراكية ، التي أخذت في الانتشار مع تبلور المعسكر الأشتراكي . إن كل هذا هو الذي جعل أحد المحللين يتصور أن تحدي الحرب الثورية إنما يعبر عن حقيقة « أن الحضارة الغربية تتعرض لهجوم مركز على جبهات عديدة ، ليس فقط من جانب (الامبريالية الشيوعية) وانما ، أيضا ، من جانب القومية والحياد في آسيا وافريقيا » .(١١)

أما العامل الرئيسي الآخر الذي يفسر انتشار الحروب الثورية بعد الحرب العالمية الثانية فهو اختراع الأسلحة النووية ، وما ترتب عليه من « توازن الرعب النووي » . فبعد اختراع تلك الاسلحة ، وبعد حدوث ذلك التوازن ، لم يعد من المتصور حدوث الحرب الشاملة أو العامة التي تتضمن المواجهة المباشرة . وبذلك فتح الباب على مصراعيه للمواجهة غير المباشرة التي تبرز في أهم صورها في « الحرب الثورية » ، حيث يمكن لتلك الحرب أن تشن بأمان ، ودون خوف من حدوث تصاعد حقيقي ، وأصبحت الحرب النووية « حرب المخاطر الضئيلة » . ومن هذه الزاوية توصف الحرب الثورية ــ من الجانب الذي يقاومها ــ بأنها « حرب محدودة » .

هذه الظاهرة الخطيرة والمتجددة ، ظاهرة الحرب الثورية ، طرحت دائما ــ وما تزال تطرح ــ على المهتمين بها ، والدارسين لها ، عديداً من المشاكل المنهاجية ، سواء أكانت على المستوى النظري العام (كمفهوم سياسي واستراتيجي) أم على المستوى التطبيقي الخاص (كتجربة ما ، في مكان وزمان محددين) . ولقد اتبعت الدراسات الغربية للحرب الثورية أكثر من منهاجية للعلوم السياسية في دراسة تلك الظاهرة ، إبتداء من المناهج التحليلين المقارنة ، الى المناهج النظامية أو السلوكية أو الوظيفية ، الى المناهج الكمية والرياضية .. أو غيرها ، بحيث يمكن القول أن كلا من تلك المناهج أفاد في تركيز الضوء على جانب معين من جوانب الحرب الثورية ، أكثر من غيره . كذلك فان الدراسات الماركسية في هذا الميدان استندت الى إطار نظري صلب ، وتجارب عملية خصبة ، لا شك في أهميتها ، مما يمكن معه الجزم بأن المنهاج الماركسي يوفر مدخلا أساسيا للدراسة ، قد تكمله ــ ولا تلغيه ــ المناهج الجزئية الأخرى .

على أن التسليم بتلك الحقيقة ، لا ينفي وجود عدد من المشاكل المنهاجية الأولية ، التي يتعين ، دائما ، حلها كمقدمة ضرورية لدراسة الحرب الثورية ، يجب أن تسبق وتلازم أي دراسة جادة للحرب الثورية . في هذا الاطار ، سوف تسعى تلك المقالة الى إبداء بعض الملاحظات حول كل من تعريف الحرب الثورية ، وتحديد طبيعتها ، ومضمونها ، ثم تحديد إطار التحليل الاكثر ملاءمة لها .

١ ــ تحديد مفهوم الحرب الثورية

ليس من قبيل المصادفة أن الغالبية الساحقة من الدراسات التي تتناول موضوع الحرب الثورية تبدأ بمحاولة عزل ذلك المفهوم عن غيره من المفاهيم العديدة التي تختلط به . فتلك هي المشكلة الأولى التي يواجهها الباحث في الموضوع . وفي هذا الصدد فأننا نجد ــ بداية ــ أكثر من مستوى من مستويات الخلط في المفاهيم ، تعود الى

Digitized by Birzeit University Library

التشابه مع الحرب الثورية ، سواء في اساليبها ، أو أهدافها ، أو نطاقها .

فمن ناحية الأسلوب ، نواجه اكثر اشكال الخلط شيوعا ، وذلك بين « الحرب الثورية » وبين « حرب العصابات » GuerrillaWarfare فاستخدام الاولى للثانية لا يعني اقتصارها عليها ، ولا يعني ان كل حرب عصابات حربا ثورية . ويتلخص جوهر الفارق هنا في حقيقة ان حرب العصابات تظل مفهوما تكتيكيا(١٢) ، بالنسبة للحرب الثورية ، او مجرد اسلوب لها . عدا الخلط يفسر بدوره خلطا آخر بين الحرب الثورية وحرب الانصار Partisan War على اساس ان كليهما يستخدم حرب العصابات . ولكن تعبير « الانصار » يطلق ، في الواقع : على تلك التنظيمات شبه العسكرية ، التي تعمل على مساعدة وتدعيم قوات نظامية ، وتعمل كجماعات محلية تفتقد ، غالبا ، هيكلا مركزيا على اتساع الأمة كلها ، ولهذا المعنى نستطيع ان نتحدث عن حركات الأنصار خلال الحرب العالمية الثانية في الاتحاد السوفيتي واوربا لمساعدة الجيوش الوطنية في مقاومة الجيوش النازية .

ومن ناحية الاهداف ، تختلط الحرب الثورية بمفاهيم كثيرة متداخلة ، يربط بينها الاتجاه نحو معارضة السلطة القائمة ، وطنية كانت ام اجنبية . واذا كان الفارق يبدو واضحا بين الحرب الثورية وبين الانقلاب Coup d'etat او ما يسمى احيانا بـ Palace Revolution على اساس أن هذين المفهومين يتعلقان بمجرد « احلال مجموعة حاكمة محل أخرى بدون تحطيم النظام القائم ، على الرغم من احتمال وجود النية لاحداث تغييرات واصلاحات »(١٣) ، الا ان الفارق يبدو أقل وضوحا بالنسبة لمفاهيم اخرى كثيرة يعتبرها معجم ويبستر(١٤) مترادفة ، وهي RebellionUprising, Revolt, Insurrection, Mutiny, Putsch كما تختلط الحرب الثورية بكل من مفهومي الـ Subversion والـ insurgency .

وليست تلك التعبيرات ذات وزن واحد من حيث شيوع استعمالها ، كما أن اطلاقها للدلالة على ظاهرة الحرب الثورية لا يعني ، في الحقيقة ، سوى التركيز على جانب معين ، وفقا للغرض من ذلك الاستعمال . فلقد ظلت الدراسات الأمريكية ـ وما تزال الى حد معين ـ تستعمل تعبير Insurgency للدلالة على الحرب الثورية ، وبالتالي تصف الاستراتيجية المضادة لها بأنها Counter- Insurgency ، على اساس أن ذلك « يساعد على الحط من قدر الثوار ، والهبوط بهم الى مرتبة الخارجين على القانون ، وبالتالي يؤدي الى إنكار شرعية الثورية »(١٥) وبالمثل ، فان كتابا آخرين يستعملون لفظ Subversion للدلالة على الظاهرة نفسها : على اساس انه يشير الى نشاط يتميز بأنه « ينظم ويدعم أو يوجه بواسطة قوى خارجية ، ويستعمل لتحقيق أهدافه العناصر الساخطة الى المجتمع »(١٦) ، وذلك لتاكيد فكرة التآمر الخارجي . واذا كان بعض الكتاب قد فضلوا استعمال تعبير Rebellion على تعبير Insurgeney ، على اساس ان الجانب « التنظيمي » في الأول أوضح ،(١٧) إلا ان من المؤكد انه قاصر عن التدليل على ظاهرة « الحرب الثورية » نظرا لمحدودية أهدافه بالقياس اليها . وعلى سبيل المثال ، فان لفظ Rebellion يمكن أن يطلق على محاولة فصل بيافرا عن نيجيريا ، الأمر الذي لا يحمل أي تشابه مع الحرب الثورية .(١٨) وبالعكس ، فان تعبير Insurrection « يفترض نشاطا اكثر ضراوة وعنادا وفورانا ، ولكن أقل تنظيما »(١٩) ولعل تلك السمة التنظيمية الاقل هي التي تنفع الى التفرقة بين الحرب الثورية وحرب العصيان La guerre Insurrectionelle .

أما من ناحية نطاق الحرب الثورية ، فانها تدرج ، أحيانا ضمن « الحرب الداخلية » Internal War او الحرب الاهلية Civil War والتعبير الأخير اكثر شيوعا في الكتابات السوفيتية المعاصرة ، لما يوحيه من تاكيد للطابع الطبقي لتلك الحرب . على ان ذلك لا يعني ان أيا من التعبيرين يتطابق مع تعبير الحرب الثورية ، وبالمثل ـ ومن ناحية أخرى ـ فان تعبير « حرب التحرر الوطني » War of National Liberation وان عبر عن حرب ثورية ، إلا ان ذلك لا يعني التطابق بينهما .

وإذا كانت الاصطلاحات السابقة تشير الى مفاهيم قديمة « اكيد اكتشافها » لتوصيف ظاهرة الحرب الثورية ، فان هناك اصطلاحات جديدة تم ابتكارها للدلالة على الظاهرة نفسها ، مثل « الحرب غير التقليدية ، وحرب الشعب ، والحرب الحديثة . فهناك اكثر من دراسة هامة بعنوان « Unconventional War تتحدث عن الحرب الثورية ، مركزة على اختلافاتها ـ السياسية والعسكرية ـ عن الحرب التقليدية . كذلك فان تعبير « حرب الشعب » Peoples War او الحرب الشعبية شاع استعماله نقلا ، بالذات ، عن الكتابات الفيتنامية ، التي ركزت بتلك التسمية ـ على الجانب الشعبي الشامل للحرب الثورية ، ولكن علينا ملاحظة أن جدة هذا التعبير تعود الى القرن التاسع عشر ، حيث استخدمه كلاوزفيتز ، وقال أنه يدل على ظاهرة « برزت في القرن التاسع عشر داخل أوربا المتحضرة ، لها موالون وخصوم ، وخصومها يعتبرونها ـ من وجهة نظر سياسية ـ أداة ثورية ، وحالة من الفوضى الخطرة على النظام الاجتماعي في الداخل ، كخطرها على النظام الخارجي »(٢٠) اما استعمال تعبير Modern War فقد كان اقل شيوعا من التعبيرين السابقين .

واذا كانت التعبيرات السابقة تصف ـ في الأساس ـ الحرب الثورية من الجانب الذي يشنها ، فان هناك تعبيرات اخرى تصفها من الجانب الذي يقاومها ، اهمها تعبيري « الحرب الخاصة » و « الحرب المحدودة » . وتعبير Special War ابتكره الأمريكيون أساسا ، وشاع بالذات لدى وصف الحرب الفيتنامية من الجانب

Digitized by Birzeit University Library

الأمريكي في سنوات ١٩٦٠ ــ ١٩٦٥ ، وبناء عليه سميت القوات المجهزة لمقاومة الحرب الثورية « القوات الخاصة » . اما تعبير Limited War فهو ليس مقصوراً ، بالطبع ، على مواجهة الحرب الثورية ، ولكن الربط بينهما يعود الى حقيقة أن وجود حالة « الردع النووي » القائمة الآن ، كان لا بد وأن تؤدي الى إعطاء الحرب شكلا محدودا . ويوضح **الجنرال بوفر** أن تلك الحرب المحدودة على صعيد القوة المادية ــ وهذا أمر لا بد من قبوله ــ أضحت حرباً غير محدودة في المجالين النفسي والمعنوي . وذلك بالضبط ما يشكل جوهر الحرب الثورية . ومن هذه الزاوية وصفت الحرب الثورية بأنها . مجال الاستخدام الرئيسي للقوة المسلحة في العصر النووي .(٢١)

وفي التعليق على صعوبة تعريف الحرب الثورية يقول **الجنرال بوفر** . « إن الحرب الثورية تتصف ، أكثر من أي حرب أخرى ، بأنها متبدلة الشكل الى أبعد مدى ... ومن الصعوبة بمكان تحديد وجود خاص لشكل معين من أشكال الحرب الثورية . والأمر المشترك هو وجود مركبة ثورية كبيرة ، الى حد ما . وهي مركبة تندمج مع أساليب أخرى لتعطي صراعات متباينة الاشكال »(٢٢) ، وفي موضع آخر يوضح « ان روح الحرب الثورية وجوهرها يكمن في وجود فكرة سياسية قادرة على إثارة الطاقات الكامنة وتحريكها ... وبعث الولاءات واستثمار التوترات النفسية القائمة بهذا الشكل وزيادة حدتها »(٢٣) والحقيقة هي أن تحديد ما ليس حرباً ثورياً ربما كان أسهل من تحديد مفهوم الحرب الثورية ذاتها .

ومع ذلك ، فان كتاباً فرنسيين آخرين ، كانوا أكثر إقداماً على وضع تعريف محدد للحرب الثورية بأنها ــ كما سبق أن قلنا ــ « نضال مسلح يبدأ به عدد قليل من الأشخاص ، للسيطرة على الشعب ، بصورة متدرجة ، ويقدمون له أسبابا تقنعه بالثورة ضد السلطة القائمة التي لا يعترفون بها ، أو أنها « شحن جزء من الشعب ، لمحاولة القضاء على النظام القائم بالقوة ، من خلال مساعدات خارجية » . وعرف أحد الكتاب الفرنسيين الحرب الثورية في صيغة شبه رياضية على النحو التالي . الحرب الثورية = حرب العصابات + الحرب النفسية ، وذلك بغرض فرض نظام أيديولوجي أو بناء سياسي جديد »(٢٤)

ويقدم خبير انجليزي تعريفاً آخر للحرب الثورية بأنها . « شكل من الحرب يمكن أقلية صغيرة متشددة من أن تسيطر بالقوة على الشعب في بلد ما ، وبالتالي تمكنها من أن تقبض على السلطة بطريقة عنيفة وغير دستورية »(٢٥) .

على أن الشيء الملفت للنظر ، هو أن التعريفات التي وضعها أولئك الذين أخفقوا في مواجهة الحرب الثورية ، لا تقابلها ، تعريفات « محددة من جانب الذين نجحوا في ممارسة الحرب الثورية . فعلى الرغم من أحاديث **ماوتسي تونغ** المستفيضة عن الحرب الثورية الصينية وعن قوانينها المميزة ، إلا اننا لا نجد تعريفاً محدداً عن الحرب الثورية بصفة عامة ، وإن كنا نلمس أن مفهومها يدور حول « الثورة ، وقد أضحت عملا مسلحا» يقول **ماوتسي تونغ** . « أن الحرب الثورية الصينية يختلف مضمونها في مختلف مراحل تاريخها ، بيد أن هذه الحروب تمثل ، جميعاً ، كفاح الثورة المسلحة ضد الثورة المضادة المسلحة ، فهي جميعاً حروب ثورية ، وكلها تعبر عن خصائص الثورة الصينية ومميزاتها »(٢٦) وبالمثل ، نجد الحديث عن الحرب الثورية في الكتابات الفيتنامية المعاصرة حديثاً عاماً ، مثل تأكيد الطبيعة الجماهيرية الواسعة للحرب الثورية . يقول **الجنرال جياب** عن حرب المقاومة الأولى . « حين نقول أنها كانت حربا ثورية فذلك لأنها شنت على أساس تعبئة الجماهير وتنظيمها ، بهدف إنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية »(٢٧) . ومثل تأكيد الطابع المعنوي والسياسي لها ، يقول **لي ذوان** عن الحرب في فيتنام فيما بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦٥ « كان الوضع الهجومي للحرب الثورية في الجنوب يرتكز على التفوق المطلق سياسيا ومعنويا ، وعلى القوة الساحقة للجماهير الثورية » .(٢٨) .

وعلى ذلك ، لا نستطيع القول بوجود تعريف جامع مانع لمفهوم « الحرب الثورية » ، ولكن هناك مجموعة من التعريفات والتعميمات التي تعكس رؤي مختلفة لظاهرة الحرب الثورية ، تتباين ، ليس فقط تبعا للفكرة السياسية التي تعبر عنها ، وإنما أيضا تبعاً للتأكيد على جانب دون آخر في الحرب الثورية . واسترشاداً بمجمل تلك التعريفات نستطيع أن نضع تعريفاً للحرب الثورية بأنها . « كفاح سياسي مسلح ، يتفجر بفعل تناقضات كامنة داخل المجتمع ، بهدف الأطاحة بالنظام القائم ، وإحلال نظام آخر ، معبر عن مصالح قطاعات أوسع من الشعب ، معتمد دائماً على تنظيم حزبي ، وشحن أيديولوجي ، وغالبا على دعم خارجي » .

هذا التعريف ، الذي يبدو أكثر تعبيراً عن فكرة الحرب الثورية لدى **ماوتسي تونغ** منه لدى الكتاب الغربيين ، خاصة الفرنسيين ، يختلف عن التعريفات التي يطرحها أولئك الآخرون بالذات ، من حيث تحديد « الهدف » من الحرب الثورية ، فهي لدى الفرنسيين والأمريكيين مسألة « تكنيك » أساسا ، لكن **ماوتسي تونغ** ، وكذلك القادة والكتاب الفيتناميين ، يرون أن الجانب الثوري في الحرب الثورية يعني أنها كفاح لتحقيق أهداف الثورة ؛ حيث جوهرها ــ في التحليل الماركسي ــ هو « انتقال لسلطة الدولة من طبقة الى أخرى » .

ب تحديد طبيعة الحرب الثورية

يمثل التعرف على طبيعة الظاهرة التي تخضع للدراسة ضرورة منهجية أولية ، ذلك ان « لكل ظاهرة

Digitized by Birzeit University Library

طبيعتها ، وتلك الطبيعة تفرض اسلوب الوصول اليها ، فالوصول الى الظاهرة ـ بعبارة أخرى ـ يفرض لغة التخاطب ، وتلك اللغة هي المنهجية » .(٢٩) والتساؤل حول الحرب الثورية ، من هذه الزاوية ، هو . هل تعالج الحرب الثورية باعتبارها حقيقة سياسية (بأوسع معاني تلك الكلمة) أم باعتبارها حقيقة عسكرية ؟ الاقتراب من الحرب الثورية باعتبارها حقيقة عسكرية يعني معالجتها كنوع من « الحرب » أساسا . نموذج واضح لتلك دراسة **الجنرال بوفر** عن الحرب الثورية ، التي يرى فيها حربا وقد استخدمت « وسائل ثورية » . أما الاقتراب من الحرب الثورية ، باعتبارها حقيقة سياسية أولا ، فيعني معالجتها كشكل من أشكال الثورة ، أي كثورة وقد استخدمت العنف المسلح الى جانب كفاحها السياسي .

الرؤية العسكرية للحرب الثورية تعني معالجتها كشكل من أشكال الحرب ، ونموذج واضح لتلك دراسة **الجنرال بوفر** ، التي سبقت الاشارة إليها ـ فهو في ذلك الاطار يقدم الحرب الثورية على اساس أنها ـ من ناحية ـ إمتداد لأكثر أشكال الحرب بدائية ، أي للمراحل الأولى للحرب منذ الأزمان البعيدة . وعلى أنها ـ من ناحية أخرى ـ مختلفة بشكل واضح عما يسمى بـ « الحرب التقليدية » .

فابسط أشكال الحرب هو الحرب البدائية ، ويثير الاهتمام لانه يعطي الحرب سمات لا يمكن ان تختفي ابدا في اشكال الحرب الاكثر تطورا ، وهي سمات تدخل بشكل واسع في الحرب الثورية . واهم تلك السمات ان الحرب تتم وفق اساليب الصيد ، وتستهدف قتل الخصم مع التعرض لاقل خطر ممكن : اي انها ، في جوهرها ، نوع من الاغتيال . ويتجنب الخصمان ، في هذه الحرب ، ما امكن المعركة بمعناها العسكري المعروف . والأسلوب المعتاد هنا هو الكمين أو الهجوم المفاجيء ... وليست للأرض أية اهمية . (٣٠)

أما الحرب التقليدية فقد برزت مع تطور التحصينات ، منذ مرحلة الحرب البدائية حيث أجبر المعتدي على تشكيل اداة عسكرية منظمة فعالة ، تتميز ، بشكل جوهري ، عن العصابات غير المنظمة ، التي كانت تشن حرب العصابات في المرحلة السابقة . ومع وجود الجيوش أصبحت المواجهة في الحرب التقليدية لا تتم بين شعب وآخر ، بل بين مجموعتين من السكان مسلحتين ، تقومان بنوع من المبارزة الشرعية التي تحدد نهاية الصراع بالنسبة لمجمل السكان . وتتميز الحرب التقليدية عن غيرها بوجود المعركة ، التي هي أزمة عنيفة يتجابه فيها الجيشان المتخاصمان ، ويحاول كل منهما تدمير الآخر . وعلى عكس ما كان يجري في حرب العصابات (حيث يعمل كل خصم لقتل عدوه بالمفاجأة دون التعرض للقتل) ، فأن المعركة تجعل القتال ضروريا ، وتفرض المواجهة المباشرة بين المتحاربين .

وإذا كانت أشكال الحرب تتبدل ، فان جوهرها ثابت لا يتغير . تدمير إرادة الخصم ، لأجباره على قبول الشروط التي تفرض عليه . وتحاول الحرب التقليدية الوصول الى هذا الهدف عن طريق تحقيق النصر العسكري ، لذا فهي تستخدم استراتيجية مباشرة اساساً ، مهما تباينت أشكال التنفيذ . وهذا النصر العسكري الناجم عن المعركة ، لا يستهدف التدمير المادي للقوات المعادية ، بل يستهدف تفتيت نظامها . ويستند الانتصار التقليدي على انهيار تماسك جيش الخصم .(٣١)

دراسة الحرب الثورية ، طبقاً لهذه الرؤية ، معناها ، إذن ، إظهار أوجه تشابهها مع الحرب البدائية ، وأوجه اختلافها عن الحرب التقليدية . على اننا يمكن أن نتفق تلك الرؤية على اساس أنها ترى في الحرب الثورية مجرد « شكل للقتال » ، أو مجرد تعبير عن « وسائل » أو « أساليب » ، بصرف النظر عن وجود « روح » تعبر عنها أو « هدف » تسعى اليه .

هذا الانتقاد يتسق ، في الواقع ، مع انتقادات الدراسات الماركسية المعاصرة للنظريات العسكرية « البورجوازية » ، حيث ترى انها . تقسم الحرب حسب خصائصها الآلية الحربية فقط ، وليس على اساس الكشف عن مضمونها الطبقي والسياسي »(٣٢) . فالمنهاج الماركسي في فهم طبيعة الحرب يبدو واضحا في تأكيد **لينين** على مفهوم **كلاوزفيتز** عن الحرب ، باعتبارها « استمرار للسياسة بوسائل أخرى » . ففي تعليقه على هذا المفهوم يقول . « تلك هي بالذات ، دوما ، وجهة نظر **ماركس وإنجلز** ، اللذين إعتبرا كل حرب استمرارا للسياسة ذات المصلحة ـ ومختلف الطبقات داخلها ـ في وقت معين » .(٣٣)

فاذا اردنا ان نبحث ـ استنادا الى ذلك ـ عن موقع « الحرب الثورية » من ظاهرة الحرب بصفة عامة ، كما تراها الماركسية ، نجدنا ازاء التقسيم الماركسي المعروف للحروب ، الى « حروب عادلة » و « حروب جائرة » . واوضح **لينين** هذا التقسيم بقوله . « توجد حروب عادلة وحروب جائرة ، تقدمية ورجعية ، حروب تقودها الطبقات الطليعية أو تقودها الطبقات المتخلفة ، حروب ترسخ النير الطبقي وحروب تخدم الأطاحة به »(34) وبداهة ، فان الحرب الثورية ، بالمفهوم الذي نستخدمه ، سوف تقع ضمن « الحروب العادلة » . على أن المؤلفات السوفيتية المعاصرة لا تستخدم تلك التعبير على نحو شائع ، إنما تتحدث عن « الحروب الأهلية بين الشعب والقوى الرجعية للرأسمال الاحتكاري » ، وعن « الحروب بين المستعمرين والشعوب المناضلة في سبيل استقلالها » . والحرب الثورية ، بالمفهوم الذي نستخدمه ، تختلط بهذين المفهومين .

في ضوء ذلك ، نستطيع أن نفهم كيف أن ماوتسي تونغ ، في الوقت الذي عالج فيه الحرب الثورية إنطلاقا من

Digitized by Birzeit University Library

معالجته لظاهرة الحرب بصفة عامة ، فانه عالجها بصفتها ظاهرة إجتماعية وسياسية . ويقول ماوتسي تونغ « إن جميع المبادىء الموجهة للعمليات العسكرية تنطلق ، بلا استثناء ، من مبدأ أساسي واحد ، الا وهو السعي قدر الامكان ، الى المحافظة على القوة الذاتية وتحطيم قوة العدو . وإن هذا المبدأ ليرتبط في الحرب الثورية ، ارتباطاً مباشراً ، بمبدئها السياسي الأساسي » .(٥)

وهكذا ينتهي التحليل الماركسي بكافة اتجاهاته الى معالجة الحرب الثورية كحقيقة اجتماعية وسياسية ، حتى وإن كان ذلك ضمن إطار معالجتها « كحرب » . وتلك النظرة الاقرب الى مفهوم **كلاوزفيتز** تختلف عما يسود الكتابات الغربية ، التي تبدو وكأنها تعبر عن فكرة أنه « عند ما تبدأ الحرب ، تنتهي السياسة » .(٣٦) من هنا كان تفضيلنا لرؤية الحرب الثورية كظاهرة سياسية واجتماعية ، وترتبط – في النهاية – بالصراع من أجل السلطة والأطاحة بسلطة محلية مستبدة او اجنبية غاصبة .

والرؤية السياسية للحرب الثورية معناها باختصار ، وكما يقول بعض الدراسيين . « الا ينظر لها باعتبارها وسيلة عسكرية لتحقيق أهداف سياسية ، ولكن (كعملية سياسية) في حد ذاتها »(٣٧) وذلك يعني انها سياسية لا في اهدافها فحسب ، وانما ، ايضا ، في طبيعتها وأساليبها . فنشوب الحرب الثورية يفسر – في الأساس على ضوء الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة . وإذا كانت الكتابات الماركسية تعتبر ذلك من البديهيات ، فأن الكثير من الدراسات الغربية بدأت تنحو ذلك الاتجاه ، أيضا وبوضوح ، بحيث يمكن في النهاية تحديد « القوى الثورية » التي تخوض الحرب الثورية ، والقوى المضادة لها . يقول ماوتسي تونغ مشيراً الى ضرورة التمييز بين الأصدقاء والأعداء . « علينا لكي نميز بين هؤلاء واولئك أن نقوم بتحليل عام للمركز الاقتصادي لمختلف الطبقات في المجتمع الصيني ، ولموقف كل منها تجاه الثورة » .(٣٨)

أما من حيث الأساليب ، فأن السياسة تظل مسيطرة أثناء الحرب الثورية ، حتى أن الفن العسكري يصبح – في أقصى نقطة من نقاط تطوره – عملا سياسياً ، وسلاحاً للسياسة ، حسب رأي **كلاوزفيتز** . ويعبر أحد الكتاب عن تلك السمة الأساسية لأساليب الحرب الثورية فيقول . « انها حرب تشن في اجتماع لنقابة ، أو في تجمع ريفي وقت الحصاد ، أو في مقهى ، إنها تشن ، أيضا ، في الكنائس والمعابد ، وليس هناك استثناء لأي مؤسسة أو طبقة اجتماعية أو جنس أو سن »(٣٩) . وهكذا ، الصراع ليس عسكرياً دائما ، مع جيش منظم وعلى خطوط تقليدية ، ولكنه – على وجه التأكيد – سياسي دائم ، مع عناصر سرية تعمل بين الشعب بأكمله ، مثل « السمك في الماء » ، على حد تعبير ماوتسي تونغ .

والهدف في الحرب الثورية يكون ، دائما ، سياسياً ، وهو يتمثل في النهاية في الاستيلاء على سلطة الدولة ، وتغيير نظام حكمها وهيكلها الاجتماعي ، بصرف النظر عن الأهداف المرحلية المحدودة .(٤٠)

واذا كنا نتحدث عن هدف سياسي وآخر عسكري ، ففي الحرب الثورية ، على وجه الخصوص ، يحدد الهدف السياسي دائما الهدف العسكري .(٤١)

ج – تحديد مضمون الحرب الثورية

اصطدمت محاولات تحديد مضمون الحرب الثورية ، والتعرف على جوهرها ، بأكثر من نظرة خاطئة ومشوهة ، سادت ، بالذات في الفكر الأمريكي ، وبدرجة أقل في الفكر الأوربي الغربي ، ولا شك أن التخلص من تلك النظرات يمثل شرطا أوليا للتعرف السليم على الحرب الثورية .

– التخلص من النظرة التآمرية : اطلق **إقبال احمد** « النظرية التآمرية » Cospiratorial Theory على تلك النظرية التي سادت الكتابة الغربية والامريكية ، ومؤداها أن الحرب الثورية هي « مشكلة تآمر وتخريب من جانب الشيوعيين ، وينبغي مقاومتها بوسائل القمع والمخابرات » .(٤٢) وهكذا ، فان جزءا رئيسيا من الكتابات الغربية المعالجة للحرب الثورية إنما تعالجها باعتبارها « ذات دور اساسي تلعبه في الاستراتيجية الشيوعية العالمية » ، وانها ليست سوى « أحد الأدوات الأساسية لدى الاتحاد السوفيتي (والصين) الى جانب الجيوش النظامية لتلك الدول وحلفائها ، وتكتيك (الجبهة المتحدة) والتجارة والمساعدات »(٤٣) وطبقا لهذا المعيار يقسم أحد المؤلفات الحرب الثورية الى ثلاثة انواع ، اولها . تلك الحروب التي تشن تحت قيادة الحزب الشيوعي ، متلما هو الأمر في الحربين الفيتناميتين الأولى والثانية ؛ وثانيهما . تلك الحروب التي انتهت بعد انتصارها الى استيلاء الحزب الشيوعي على السلطة مثل كوبا ؛ ثم الحروب التي ينكر اي انغماس شيوعي فيها ، أو حتى يعترض عليه ، ولكنها قد تقرب ، في النهاية ، من القضية الشيوعية ، كما في حرب الجزائر .(٤٤) ويدلل مؤلف آخر على وجهة النظر تلك بـ « انعدام الحروب الثورية في فترة انشغال الاتحاد السوفيتي ببناء (الاشتراكية في بلد واحد) : حيث لم تقم حرب ثورية ناجحة إلا في الصين ، بسبب تخلصها من التوجيهات السوفيتية الاستراتيجية » .(٤٥)

ويعرف أحد الكتاب الحرب الثورية (أو الحرب غير التقليدية) بأنها . « الحرب التي (تجري) في لاوس

Digitized by Birzeit University Library

فيتنام وكمبوديا ، والحرب التي خاضها الفرنسيون في الهند الصينية (ويخوضونها) في الجزائر . وهي شكل من الحرب تعلم الشيوعيون أن يستعملوه ، بكفاية عالية ، وسوف يستمرون في استخدامها الى الحد الاقصى لتحقيق اهدافهم بعيدة المدى » . ويعزو ــ طبقا لتلك النظرة ــ نجاح الشيوعيين الى أسباب أربعة . انهم تعلموا ، بدقة ، أساليب السيطرة على السكان : بالربط الفعال بين حوافز المذهب السياسي وضغوط الأرهاب ضد المعارضين ؛ وانهم اتقنوا مبادىء وأساليب حرب العصابات ؛ وانهم وجهوا هم هجماتهم ضد البلدان المتاخمة للبلاد الشيوعية ؛ وانهم ــ أخيرا ــ استغلوا ، بفعالية ، الكراهية الكامنة ضد القوى الاستعمارية السابقة والاحباطات الناتجة عن تعثر النمو الاقتصادي .(٤٦)

وتعبيرا عن تلك النظرة ، ايضا ، يرى مؤلف آخر أن ظهور وانتشار الحرب الثورية جاء نتيجة لبحث الشيوعيين عن شكل جديد للتدخل والسيطرة : « حيث لم تعد تجارب اوربا الشرقية وكوريا قابلة للتكرار ، وأن ذلك الشكل الجديد يتلاءم مع ظروف البلاد النامية في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية الجاهزة للتدخل الشيوعي ، والتي تتلاءم ظروفها الطبوغرافية والمناخية مع حرب العصابات » .(٤٧)

وهكذا تدور كل فروض تلك النظرية حول إثبات أن الحرب الثورية « لا تنشب استجابة لظروف اقتصادية وسياسية » ، وإنما « هي سلسلة من المحاولات الشيوعية للاستيلاء على السلطة »(٤٨) ، بل لقد ذهب البعض الى حد أن يعزو فشل المحللين الغربيين في فهم طبيعة الحروب الثورية الى أن هناك « مؤامرة » : للتضليل في تفسير الوقائع ، حيث أن الشيوعيين وأشياعهم قد تسللوا الى الميادين الأكاديمية » .(٤٩)

على ان ذلك الحديث عن اعتبار الحرب الثورية مجرد أداة « للتآمر » الشيوعي لا يعكس مجرد عجز عن فهم تلك الظاهرة ، بل هو يقدم ايضا كتبرير لعمليات التدخل الخارجي غير المشروع على اتساع العالم كله ، « فالربط بين حرب العصابات والقومية الراديكالية والشيوعية ، ساعد على تبرير تدخل الولايات المتحدة على نطاق واسع في العمليات المضادة للثورة في كافة انحاء العالم ، مثلما اصر الفرنسيون يوما على أن قمعهم للحركة الثورية في الجزائر يعود الى انها كانت « العوبة » في أيدى موسكو وبكين والقاهرة » !

ــ التخلص من النظرة التكتيكية للحرب الثورية : الحرب الثورية ، وفقا للنظرة التكنيكية ، مشكلة فنية . شاعت تلك النظرة ، بالذات ، لدى كبار المسئولين الأمريكيين . وينقل عن **روجرز هيلزمان** ــ أحد معاوني الرئيس كينيدي السابقين ، . « لقد اعتقد كينيدي ــ منذ بداية توليه للرئاسة ــ أن تكنيك الحرب الثورية يمثل تهديدا من نوع خاص » .(٥٠) أما فيتنام فكانت هي الأرض التي يتم عليها اختبار ذلك التكنيك ، وكما قال **رستون** « لا يجروء إنسان في واشنطن على افتراض أن نفس التكنيك (يقصد تكنيك الحرب الثورية في فيتنام) لن يستعمل في جميع مناطق التهديد الشيوعية ، من كوريا الى ايران » .(٥١) هذه النظرة الى الحرب الثورية باعتبارها نوعا من التكنيك الذي يهدد المصالح الأمريكية جذبت كل الاهتمام الى « كيفية القضاء عليها » ، أكثر من الاهتمام بتفهم أسباب وسمات تلك الحرب .

ومن هنا ، شاعت تعبيرات مثل (حرب الأدغال) Jungle Warhare ، مع أن مثل ذلك التعبير محصور بحدود جغرافية ، لا علاقة لها بجوهر الحرب الثورية ، وبالمثل فان اطلاق تعبير « حرب العصابات » ، على نطاق واسع ، لوصف الحرب الثورية ، يعبر ، في النهاية ، عن ذلك الاتجاه . فحرب العصابات تشير الى بعض السمات العامة لمثل ذلك الصراع ، ولكنها لا تركز على أوجه التفرد لشكلها الثوري المعاصر .(٥٢)

ولذا ، ليس غريبا إن تساءل بعض الكتاب الامريكيين ، أبان الحرب الفيتنامية ، عن عدم الاستفادة من خبرتهم السابقة في الحرب غير النظامية ضد الهنود الحمر ، أو إن شاعت في الصحافة الأمريكية نغمة الحديث عن فيتنام باعتبارها « معملا » لتجريب وسائل المقاومة ضد « تكنيك » الحرب الثورية ، أو أن يدعو البعض هناك للاستفادة من الخبرة اليابانية في قتال الأدغال ، أثناء الحرب العالمية الثانية(٥٣) . ومن هنا ، وصف أحد الدارسين موقف الامريكيين في محاولتهم تصوير الحرب الثورية وكأنها مسألة تكنيك ، وفي عجزهم من تفهم حقيقتها ولدوافعها الكامنة بأنهم « مثل من يتفرج على الراقصين في أحد الحلبات من خلال زجاج سميك . فهو يرى الرقص والحركة ، ولكنه لا يسمع الصوت » .(٥٤)

ــ التخلص من النظرة الجزئية للحرب الثورية : يقصد بالنظرة الجزئية هنا ، تجزئة الحقائق المرتبطة بالحرب الثورية ومعالجتها بشكل انتقائي . والصور التي تعبر عن ذلك القصور عديدة . فالحرب الثورية تعالج من زاوية واحدة ، ويترك ما عداها ، مثل معالجتها باعتبارها « حرب أدغال » أو « حرب حقول الأرز » أو تعالج باعتبارها « حرب فلاحية » ... ، وهكذا . أيضا ، فان التراث الفكري للحرب الثورية يعالج بنفس الطريقة ، وعلى سبيل المثال « فان كتابات ماوتسي تونغ العسكرية تقتطع من سياقها السياسي ، بشكل يتجاهل سماتها الخاصة والمحلية »(٥٥) وتنقل استشهادات مبتورة ، لا تعبر عن مجمل الأفكار التي يعبر عنها .

Digitized by Birzeit University Library

د ـ اطار تحليل الحرب الثورية

يختلف إطار التحليل الذي تدرس من خلاله الحرب الثورية ، تبعاً لرؤية طبيعة تلك الظاهرة ، والمنهاجية المستخدمة في علاجها . فالمعالجة السياسية للحرب الثورية تعني التركيز على مجموعة الظروف السياسية الاجتماعية التي تؤدي الى نشوبها أكثر من معالجتها في سياق تطور ظاهرة الحرب ، بصفة عامة .

أيضا ، فان معالجة ظاهرة الحرب الثورية « كنظام » مثلا تفرض إطاراً للتحليل ، تنقسم بمقتضاه المشكلة موضع البحث الى عدة أجزاء ، تتعلق بمكونات تلك النظام ، كما تطرحه نظرية النظم مثل . موارد المدخلات (وهي البشر والطعام والامدادات والمعلومات) ، والشروط أو التكاليف التي يمكن بها الحصول على المدخلات من الموارد الداخلية أو الخارجية ، ثم ميكانيكية تحويل المدخلات (من خلال التلقين والتدريب والدعم اللوجستيكي والعمليات) الى أنشطة أو مخرجات ، ثم توجيه هذه الأنشطة ضد النظام الاجتماعي والسياسي والقائم .

أما ممثلو المدرسة الفرنسية ، السابق الأشارة اليها ، فأن الأطارات التي قدموها للتحليل سادها نوع من التتبع التاريخي ، وعدم الفصل ـ على نحو واضح ـ بين المقومات والأساليب .

وفرق **الجنرال بوفر** بين ما أسماه « وسائل » الحرب الثورية ، و « روح » الحرب الثورية : فوسائلها ـ كما يقول ـ « معروفة جيداً . الفتنة والدعاية والتنظيم والتحريض والارهاب وحرب العصابات والاشراف على المواطنين ، والدعاية الدولية ، والدعاية وسط العدو ، وتشكيل حكومة مؤقتة ، والمفاوضات الطويلة ... الخ » . اما « روحها » فهي . « وجود فكرة سياسية قادرة على إثارة الطاقات الكامنة ، وتحريكها ، وبعث الولاءات » . ثم يشير ، بعد ذلك ، الى أهمية وجود « تنظيم » ، « يتولى التحضير للثورة ، وتنفيذها ، ووجود خط عمل سياسي واستراتيجي جيد التحديد » .(٥٦)

وعلى خلاف ظاهر مع هذا كله ، وانطلاقا من موقع الممارسة قبل كل شيء ، فان الكتابات الماركسية في الحرب الثورية ، خاصة على أيدي أولئك الذين وضعوا كثيراً من نظرياتها وأصولها ، لا تتصف بالسمة المدرسية أو الاكاديمية ، وانما يتم الحديث من « داخل » الظاهرة نفسها ، لا من خارجها .

واذا اخذنا كنموذج للكتابات الماركسية هنا ، ما كتبه **الجنرال جياب** حول الحرب الثورية في فيتنام ، فسوف نلاحظ ، مثلا ، أن تفسيره لقيام تلك الحرب يدور حول تحليل الأوضاع « الطبقية » (الاقتصادية الاجتماعية) في جنوب فيتنام ، كما أن حديثه عن مقوماتها وخصائصها يدور حول أهمية التنظيم الحزبي ، والروح المعنوية ، والمساعدة الخارجية ، وصفقها كحرب من أجل الاستقلال ، واعتمادها على تكوين « الجبهة الوطنية » العريضة .. وهكذا .

وعلى أي حال ، فأن التأثر بالمنهاج الماركسي في هذا المجال لا يعني مجرد التخلص من النظرات التآمرية أو التكنيكية أو الجزئية للحرب الثورية ، السابق الاشارة اليها ، وإنما يعني ، أيضاً ـ وذلك هو الأهم ـ بحثاً عن أصول الحرب الثورية وأسبابها في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في المجتمع ، وتحديداً لخصائصها ومقوماتها بشكل يحدث التوازن بين المقومات الأيديولوجية والتنظيمية في الحرب الثورية ، وبين الدعم السياسي أولا وأخيراً .

واستفادة من مجمل تلك المنهاجيات ، وبناء على نظرة نقدية تتجنب أوجه القصور المشار إليها في التحليلات الغربية ، فان إطار التحليل الذي نقترحه يقوم على التمييز بين عناصر ثلاثة في تحليل الحرب الثورية ، وهي أسباب نشوء الحرب الثورية ؛ ومقومات الحرب الثورية ؛ ثم أشكال وتطورات تلك الحرب . هذه العناصر تجمع ـ في الواقع ـ الجوانب الرئيسية في معالجة الحرب الثورية ، كما تناولها أغلب المحللين ، وإن ركز معظمهم على بعض منها دون أخرى .

ويقصد بأسباب نشوء الحرب الثورية ، تلك الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تسود مجتمعاً ما ، وتشكل « البيئة » التي تنمو فيها الحركة الثورية ، وتتطور الى الحرب الثورية . وهذا يعني ، بالطبع ، إنحيازاً لرؤية الحرب الثورية باعتبارها (في الأساس) نتاجاً من (داخل) المجتمع ، وليست شيئاً دخيلا عليه (من الخارج) .

أما مقومات الحرب الثورية فتعني العناصر الأساسية التي أبرزتها الخبرة التاريخية ، واجمعت عليها أغلب الدراسات ؛ كمقومات يصعب أن تنشب بدونها الحرب الثورية ، بالمفهوم الذي سبقت الأشارة اليه ، وهي التنظيم ، والايديولوجية ، والدعم الخارجي .

أما أشكال وتطورات الحرب الثورية ، وإن كانت قد تباينت وتعددت على أيدي مختلف الدارسين الذين تناولوا تلك الموضوع ، إلا أنها تتحدد ـ طبقا للأطار المقترح ـ داخل موضوعات رئيسية ثلاثة ، وهي . النضال السياسي ، والأرهاب الثوري وحرب العصابات . وذلك الترتيب لا يعني أنها مراحل متتالية ، بقدر ما يعني انها مراحل قد تكون متزامنة ، ولكن شكلا منها قد يفوق غيره في مرحلة من مراحل الحرب الثورية .

Digitized by Birzeit University Library

الحواشي

(1)A Dictionary of American English on Historical Principales (London: Oxferd Uni. Press, 1960) p. 1941

(٢) تيوشكيفيتش ، **الماركسية اللينينية وقضايا الحرب والجيش** ، ترجمة دار التقدم (موسكو : دار التقدم ، ١٩٧٤) ، ص ١٢٩ .

(٣) لينين ، **المختارات** ، ترجمة دار التقدم (موسكو ، دار التقدم ، بدون تاريخ اصدار) الجزء الثالث ص ١٩ .

(٤) ماوتسي تونغ **مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة** ، باللغة العربية (بكين : دار النشر باللغات الاجنبية ١٩٦٨) المجلد الاول ، ص ٢٦٥ .

(5) Bernard Fall, **The TwoVietnams: A Political and Military Analysis** (New York: Frederick and Praeger, 1964) p. 348

(٦) اوتوهيلبرون ، **حرب الانصار** ، تعريب : المقدم الهيثم الايوبي (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧١) ص ٢١٩

(7) Eqbal Ahmed, Revolutionary War and Counterinsurgency, in: **Journal of International Affairs** , Vol. XXV, No1, 1971, p. 16.

(8) Raymond L. Garthaff, Unconventional Warfare in Communist Strategy, in: **Foreign Affairs,** N°4, July 1967, p 567.

(9) James E. Cross, **Conflict in The Shadows: The Nature and Politics of Guerrella War** (London: Constable and Company Ltd., 1954) p.2.

(١٠) الجنرال اندريه بوفر ، **الحرب الثورية : الاشكال الجديدة للحرب** ، تعريب : اكرم ديري والهيثم الايوبي (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، اكتوبر ١٩٧٣) ص ١٥ .

(11) Geoffrey Fairbairn, **Revolutionary Warfare and Communist Strategy** (London: Faber and Faber, 1968) p.15

(12) Brian Crozier, The Strategic Uses of Revolutionary War, in: Alastair Buchan (ed): **Problems of Modern Strategy** (London: Chatte and Windus, 1970) p. 198.

(13) Robert Thompson: **Revolutionary War in World Strategy 1945- 1969** (London: Secker and Warburg, 1970) p.15

(14) Websters Third New Internationd Dictionary of the English Dictionary Unabridged (Massa: G. and C. Merrian Company, 1964) Vo1, 11, p. 1892. Ahmed, **op. cit.**p. 16

(15) Ahmed, **op. cit.**, p. 16

(16) K.J. Holsti, International Politics: Aframe Work for Analysis (New Jersy: Printice Hall, Ine, 1972) p. 284

(17) Nathan Leites and Charles Walf, Jr. **Rebellion andAuthority**(Chicago: Merkham publishing Company, 1970), p. 4,

(18) Thompson, **op. cit., p. 16**

(19) Websters Dictionary, **op, cit.**, p. 1892.

(20) General Carl Von Clausewitz, **On War** Translated by C. J. J. Graham (London:

Digitized by Birzeit University Library

Routledge and Kegan Paul, 1966) Vol. 11, p. 341

(١٢) د. محمود اسماعيل محمد ، استخدام القوة المسلحة في العصر النووي ، في **السياسة الدولية** (القاهرة : دار الاهرام ، ابريل ١٩٧١) المجلد السابع العدد ٢٤ ص ٨١ .

(٢٢) بوفر ، **مرجع سابق** ، ص ١٥

(٢٣) **المرجع السابق** ، ص ٢٣٩ .

(24) Fall, **op. cid.,** p. 349

(25) Thompson, **op. cit,** p. 4

(٢٦) ماوتسي تونغ ، **المرجع السابق** ، المجلد الثاني ، ص ٣٠٧

(٢٧) فوفجوين جياب ، الخط السياسي والعسكري لحزبنا ، في فونجوين جياب ، **من الذي سينتصر في فيتنام** ، ترجمة : منير شفيق والعفيف الاخضر وناجي علوش (بيروت : دار الطليعة ، فبراير ١٩٧١) ص ٥١ .

(٢٨) لي ذوان ، **الثورة الفيتنامية : المشاكل الاساسية والمهمات الرئيسية** ، ترجمة : طاهر عبد الحكيم (بيروت : دار الطليعة ، ديسمبر ١٩٧١) ص ٥٢ .

(٢٩) د. حامد ربيع ، **محاضرات في منهاجية علم السياسة** ، محاضرات منسوخة لطلاب كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٧/ ١٩٦٨) ص ٥

(٣٠) بوفر ، **مرجع سابق** ، ص ١٨

(٣١) **المرجع السابق** ، ص ٢٠ ـ ٢٢

(٣٢) تيوشكيفيتش ، **مرجع سابق** ، ص ١٠٢

(٣٣) **المرجع السابق** . ص ١٠٣

(٣٤) **المرجع السابق** ، ص ٢٠

(٣٥) ماوتسي تونغ ، **مرجع سابق** المجلد الثاني ، ص ١٠٨

(36) Andrew C. James, Authority and Violence: The Political Framework of Internal War, in: H.E ckrtein (ed.) **Internal War** (London: The Free Press, 1964) p. 141.

(37) Peter Paret and John Shy, **Guerrillas in The 1960's** (New york: Praeger, 1964) p. 31.

(٣٨) ماوتسي تونغ ، **مرجع سابق** ، المجلد الاول ، ص ١٥

(39) Malcolm Browne, **The New Face of War** (London: Cassel and Company ltd, 1965) p. 274.

(40) Thompson, op. cit., p. 5

(41) Jean paechler, Revoutionary and Counter Revolutionary War, in: **Journal of International Affairs,** N°1. 1970, p. 71

(42) Ahmed, **op. cit,** p. 28.

(43) Thmed, **op. cit,** p. 37

(44) **Ibid,** p. 2.

(45) Garthaff, **op. cit,** p. 567.

(46) Franklin A. Lindsay, Unconventional Warfare, in: **Foreign Affairs,** Vol. 40, No.2, Jan. 1962, p. 264.

(47) Cross, **op. cit.,** p. 10

(48) Fairbairn, **op. cit,** p. 121

Digitized by Birzeit University Library

(49) Thompson, **op. cit** , p. 24

(50) Ahmed, **op. cit,** p. 26.

(51) **Ibid** p. 27

(52) **Ibid**, p. 27.

(53) Fall, **op. cit,** p. 338.

(54) I. F. Stone, **In Time of Torement** (New york: Vintage, 1968) pp. 173- 174.

(55) Ahmed, op. cit, p. 41.

(٥٦) بوفر ، **مرجع سابق** ، ص ٣٣٩

Digitized by Birzeit University Library

بماذا يعنينا الربيع الافغاني الملتهب ؟ !

داود تلحمي

في صحف واذاعات وتلفزيون كابول ، تردد اسم فلسطين والحديث عن تحركات السادات وحلف كامب ديفيد ، بمقدار ما يتردد في اجهزة إعلام الدول الوطنية العربية .وربما لا نبالغ ان قلنا انه يتردد ، احيانا ، اكثر مما يتردد في بعض الاجهزة العربية .

ففي ٢٦ شباط الماضي ، يوم تبادل السفراء بين نظام السادات ونظام العدو الصهيوني ، كانت نشرات الاخبار المذاعة من كابول بلغة « الداري » - وهي احدى اللغتين الرسميتين في افغانستان ، وتقترب كثيرا من الفارسية ، وتتضمن عددا هائلا من الكلمات والتعابير العربية او ذات الجذور العربية الواضحة - كانت هذه النشرات تتحدث باستفاضة عن خطوة السادات الاستسلامية ، وعن التحركات الوطنية العربية ضد هذه الخطوة ، وعن الموقف الفلسطيني ، وعن حقوق شعب فلسطين . كل ذلك وافغانستان نفسها تعيش « حالة حرب غير معلنة عليها » كما يقول رئيسها ، وكابول نفسها كانت تخرج ، لتوها ، من محاولة لاحداث حالة عدم استقرار فيها .

وليس الاهتمام الافغاني بالقضية الفلسطينية وبأخطار حلف كامب ديفيد مفتعلا ، بل هو في صلب المنظور الاستراتيجي للوضع الافغاني ، حاضرا ومستقبلا ؛ فواضح كالشمس ، بالنسبة لقيادات افغانستان الديمقراطية ، ان احدى مهمات حلف كامب ديفيد الاساسية تقوم على محاولة محاصرة وضرب القوى التقدمية والثورية ، ليس في العالم العربي فحسب ، وانما في الحزام المحيط به وفي عمق افريقيا السوداء . وماثل امام انظارهم ومسامعهم تصريحات وزير الحرب الاسرائيلي ، في مطلع العام الحالي ، التي دعت الولايات المتحدة للتدخل العسكري واعلنت استعداد اسرائيل للمساهمة في هذا التدخل ، ووضع خبرتها الغنية في هذا المجال تحت تصرف كل القوى المعادية للثورتين الافغانية والايرانية . وماثل امام انظارهم ومسامعهم ، ايضا ، دعوات السادات المسعورة « لمحاربة الشيوعية » ، وتركيزه على انتقال التناقض الرئيسي في المنطقة من التناقض مع الصهيونية (الذي تحول عنده الى تحالف) الى تناقض حاد وتناحري مع الاتحاد السوفياتي ، ومع الشيوعية ، ومع كل القوى التقدمية والثورية في المنطقة والعالم . وفوق كل شيء ، بارز للعيان بالنسبة للقيادات الافغانية الدور المباشر لثلاثي كامب

Digitized by Birzeit University Library

ديفيد (الولايات المتحدة ـ اسرائيل ـ نظام السادات) في تدريب وتمويل ودعم عمليات التخريب على اقتصاد افغانستان وعلى امنها ووحدتها الاقليمية وسيادتها .

وما من شك بأن وقوع الحكم في افغانستان في يد القوى الرجعية والموالية للولايات المتحدة ، وهو ما كانت تراهن عليه اطراف كامب ديفيد ، على ما يبدو قبل دخول القوات السوفياتية لدعم الثورة الافغانية ، لا شك بأن مثل هذا الحدث اذا تحقق كان سيشكل اول انتصار ذي شأن لحلف كامب ديفيد الجديد . وهو انتصار كان سيقود ، بالضرورة ، الى استشراس حلف كامب ديفيد (ومعه الرجعيات الاخرى في المنطقة) ضد سائر الانظمة التقدمية والوطنية في العالم العربي والحزام المحيط به ، تمهيدا لتحقيق هدف **بريجنسكي** القديم باقامة حلف استراتيجي ، يشمل مناطق النفط الاساسية وممراتها ، ويمتد من باكستان الى المغرب ، وتسرح وتمرح على امتداد رقعته الجغرافية ومياهه الاقليمية اساطيل الولايات المتحدة الجوية والبحرية وقواتها البرية المحمولة .

ومن هذه الزاوية ، فان النظرة الى ما جرى ويجري في افغانستان يجب ان تكون ، بالضرورة ، مزدوجة وشاملة . من الزاوية الافغانية الداخلية اولا ، ثم من زاوية الصدام الواسع الذي تشهده منطقتنا ـ منطقة النفط وممراته ـ بين الامبريالية والصهيونية وحلفائهما الرجعيين المحليين (عربا واعاجم) من جهة وبين قوى الثورة والتحرر والتقدم والعدالة الاجتماعية من جهة اخرى .

ومن الزاوية الافغانية الداخلية ، يمكن تلخيص ما حدث بخطوطه العامة بما يلي ، بناء على شهادات ومعلومات مباشرة : عندما اطاحت حركة ٢٧ نيسان ١٩٧٨ بنظام **محمد داود** ، وتسليم السلطة الى **الحزب الديمقراطي لشعب افغانستان** ، استقبلت العملية بارتياح واسع على صعيد الغالبية الساحقة لفئات وقوميات الشعب الافغاني ، نظرا للفساد الذي اتسمت به السنوات الاخيرة من النظام السابق ، ولتدهور الاوضاع المعيشية للجماهير الواسعة من جراء ذلك . وهذا الترحيب الشعبي توكده حتى مقالات المراقبين والمحللين الغربيين (البورجوازيين) ، بشكل اجماعي .

وجانب آخر توكده كافة المصادر ـ بما فيها المصادر الغربية ـ هو كون المبادرة بالاطاحة بنظام **محمد داود** مبادرة بعيدة عن اي دور سوفياتي فيها . فالاتحاد السوفياتي لم يكن على علاقة سيئة بالانظمة المتعاقبه على الحكم في افغانستان ، منذ عشرات السنوات ، بما في ذلك نظام **محمد داود** ، والتي كانت تعتمد ، الى حد بعيد ، على المساعدات التقنية والتعليمية والاقتصادية السوفياتية لاحداث التطويرات المحدودة التي تمت في اوضاع افغانستان الاقتصادية والثقافية .

واثر حركة نيسان ١٩٧٨ ، بادرت قيادات **الحزب الديمقراطي** ، الحاكم الى وضع برنامج تحولات وطنية ديمقراطية ، كان على راسها مشروع اصلاح زراعي واسع النطاق وبالغ التاثير ، نظرا لوزن الزراعة في الاقتصاد الافغاني الضعيف التطور صناعيا . وشهدت السنة الاولى بدء تطبيق عدد من هذه الاجراءات . لكن مشكلتين كبيرتين برزتا :

Digitized by Birzeit University Library

اولا ـ وحدة **الحزب الديمقراطي** ، التي استعيدت قبل ثمانية اشهر من حركة نيسان ١٩٧٨ ، بعد عشرة اعوام من الانقسام بين جناحين ، عرفا باسم صحيفتين اصدرهما الحزب (**خلق وبارشام**) ، هذه الوحدة تعرضت لتصدع واسع مع استبعاد مجموعة **بارشام** بشكل كامل ، بعد اقل من اربعة اشهر من الحكم ، بالاضافة الى استبعاد عدد كبير من العناصر العسكرية الوطنية الديمقراطية ، وفي مقدمتها **العميد (الجنرال) عبد القادر** . ولا شك بأن هذا الشرخ الكبير احدث خللا واسعا ، واضعف القاعدة السياسية ، وبالتالي الاجتماعية ، للحكم الذي كان يحتاج ، اكثر ما يحتاج ، الى توسيع لهاتين القاعدتين بعد النصر .

ثانيا ـ تطبيق الاصلاح الزراعي ميدانيا ، اصطدم بالواقع المتخلف جدا للمجتمع الريفي الافغاني ، وبنمط العلاقات العشائري السائد ، والذي كان يصعب القفز فوقه ، بسرعة . ولا شك **بأن أفضل برنامج اصلاحي، اذا ما طبق دون الكثير من المرونة والتروي وطول النفس وفهم** خصائص المجتمع الريفي (وبط ء حركته) ، كان سيتحول الى مصدر تنفير واستفزاز واسعين على صعيد الريف وهذا ما حصل ، فعلا .

يضاف الى ذلك عنصران آخران ، الاول خارجي والثاني داخلي :

١ ـ سلبيات تطبيق الاصلاح الزراعي ، اوجدت قاعدة اجتماعية للمعارضة الاقطاعية العشائرية للنظام داخل افغانستان وخارجها ، هذه المعارضة ، التي التقت مع النظام الرجعي الباكستاني ونسجت الخيوط مع الولايات المتحدة وغيرها من القوى المضادة للثورة لتشكيل

قواعد انطلاق مسلحة ضد النظام الافغاني والتجربة الثورية الوليدة .

٢ ـ تنامي نفوذ **حفيظ الله امين** داخل الحزب الديمقراطي الحاكم ، بعد ازاحة جناح **بارشام** ، الذي كان يتزعمه **ببراك كارمال** (نائب الرئيس ونائب الامين العام ابان حركة ٢٧ نيسان ١٩٧٨) من الحكم ، هذا التنامي ، طوال عام ١٩٧٨ وخاصة بعد آذار ١٩٧٩ ، حيث استلم امين رئاسة الوزارة ، ثم في ايلول ١٩٧٩ ، حيث قام بتصفية **نور محمد طرقي** ، والاستئثار بالسلطة ، قاد الى كوارث حقيقية نظرا للنهج القمعي الاستفزازي المتطرف الذي يتسم به امين ، والذي قاد الى مزيد من عزلة النظام ككل وتسهيل مهمة القوى المضادة للثورة في الخارج والداخل لترتيب وراثته .

وهكذا وجدت القوى الثورية والتقدمية الافغانية داخل **الحزب الديمقراطي لشعب افغانستان** خاصة ـ في البلد او في المنفى ـ ان الاحتمال بات قائما لاول مرة منذ فترة طويلة بأن تتحول افغانستان الى قاعدة للثورة المضادة وللامبريالية الاميركية ، او على الاقل ان يواصل **حفيظ الله امين** لفترة من الزمن سياسته القمعية الدموية التي اودت بحياة عشرات الالاف من المناضلين الوطنيين ومن المواطنين ، والتي كانت ستقود بالضرورة عاجلا او آجلا الى نفس النتيجة .

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينيـــون
في دول الســـوق الاوروبية المشتركة

محمد نصر مهنا

إقامة الفلسطينيين في أوروبا وماهيتها ؟

قدرت الكثافة السكانية على ارض فلسطين في نهاية الانتداب البريطاني (سنة ١٩٤٤) بحوالي ٦٧,١ شخصا في الكيلو متر المربع ، وبمقارنة ذلك مع الدول الأوروبية الأخرى ، فاننا نجدها تقترب من الدول الاوروبية ، والتي أصبحت فيما بعد تشترك في السوق الاوروبية . فعلى سبيل المثال بلغت الكثافة السكانية في فرنسا عام (١٩٤٥) ٧٥ نسمة في الكيلو متر المربع [١] . غير انه بعد نكبة عام ١٩٤٨ وتردي الاوضاع في فلسطين ، انعكست هذه الاثار على طرد نحو نصف السكان العرب من اراضيهم وحولتهم الى لاجئين في الاقطار المجاورة لفلسطين ، وكانت هجرة الفلسطينيين الى اوروبا هامشية بمقارنتها بالاقطار العربية . وقد اختلفت تقديرات اعداد اللاجئين في عام ١٩٤٩ ، فعلى حين قدرت وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين (الاونروا) ـ عدد [٢] اللاجئين الفلسطينيين آنئذ بـ ٩٦ الفا نجدان جامعة الدول العربية قد قدرت اعدادهم ما بين ٨٤٠ الف نسمة الى ٩٤٠ الف نسمة ٣[٣] ، اما بعثة الامم المتحدة [٥] ، فقد قدرت اعدادهم بحوالي ٧١٣ الف نسمة ، وتعتبر هذه التقديرات متضاربة ، لكن الامر لم يتوقف عند هذا الحد ، بل تبع ذلك هجرة مستمرة للفلسطينيين طلبا للعمل وبحثا عنه ، كذلك ادت حرب ١٩٦٧ الى هجرة قوية اخرى لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، حتى اصبح تواجد الفلسطينيين ملحوظا في الاقطار العربية وفي عديد من الدول الاوروبية ، ومن ثم فقد اصبح عدد الفلسطينيين في خارج فلسطين اكثر من عددهم في داخل فلسطين حيث اقترنت كارثة ١٩٦٧ بهجرة جديدة للسكان تمثلت في ٢٦٠ الفا من الفلسطينيين . وقد تشتتت اعداد ضئيلة منهم في دول اوروبا الغربية وبلغ عددهم نحو ١٦ الف فلسطيني منهم نحو ١٥ الفا في المانيا الغربية وحدها ، وهذا الرقم تقديري [٦] .

والفلسطينيون في دول السوق الاوروبية المشتركة لم يشكلوا بعد طليعة او نخبة [٧] ، بل انهم يمثلون مجرد تجمعات تهدف الى تكوين نخبة ، غير ان هذا الشتات للشعب الفلسطيني الذي هو في نفس الوقت سلسلة من الهجرات المتعاقبة ، جعلت الفلسطينيين يتعرضون في دول اوروبا الغربية عموما ، ودول السوق الاوروبية المشتركة على وجه الخصوص ـ لانواع شتى من القيود ، مما ادى الى هجرة مستمرة لهؤلاء بحثا عن العمل ، وعاد الكثير منهم الى الاقطار العربية الغنية بالنفط .

وبالرغم من ان الفلسطينيين في دول السوق الاوروبية المشتركة يشكلون مجرد تجمعات طلابية او تجمعات تبحث عن العمل ، الا انه من الملاحظ ان النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين وخاصة في الثلاثينات [٨] ، والاربعينات تعرضت لتاثيرات تحديثية نتيجة لتلقي تعليمها العالي في الجامعات الفرنسية والبريطانية والامريكية ، كما يتضح من الجداول التالية وكان بوسع هذه النخبة في فلسطين ان تقيم اتصالات سريعة مع الشعوب الناطقة بالانجليزية والفرنسية لالمامها بهذه اللغات ، ولقد نقلت هذه النخبة وجهة نظرها الى هذه الشعوب . هذه النخبة كانت عبر الانجليزية والفرنسية ـ معرضة للقيم الغربية والثقافة الغربية كما كانت مطلعة على التطورات السياسية في اوروبا .

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (١) تصنيف معاهد بلاد الدراسة الاوروبية والامريكية للتنمية السياسية الفلسطينية في الاربعينات

فرنسا	بريطانيا	الولايات المتحدة
٣ ـ ١٥,٨ ٪	٢ ـ ١٠,٥ ٪	٢ ـ ١٠,٥ ٪
١ ـ جامعة ليون	١ ـ جامعة كمبردج	٢ ـ جامعة سنسناتي
٢ ـ جامعة باريس	٢ ـ جامعة لندن	

جدول رقم (٢) تصنيف للنخبة السياسية الفلسطينية في الاربعينات على ضوء عدد اللغات التي يتقنونها بما في ذلك اللغة العربية

اللغات المعروفة	عدد الذين يعرفونها من النخبة السياسية	النسبة المئوية
لغة واحدة	١٢	٣٧,٥
لغتان	٢١٣	٤٠,٦
ثلاث لغات	٦	١٨,٧
اربع لغات	١	٣,١
المجموع	٣٢	١٠٠٪

جدول رقم (٣) اللغات الاجنبية التي تعرفها النخبة العربية السياسية الفلسطينية في الاربعينات .

اللغة	عدد الذين يجيدونها من النخبة السياسية الفلسطينية	النسبة المئوية
الانجليزية	١٤	٤٣,٧
التركية	٩	٢٨,١
الفرنسية	٥	١٥,٦

على ان الذي يهمنا في مجال هذه الدراسة هو الزيارات التي كان يقوم بها افراد من هذه النخبة الى الدول الاوروبية بهدف نقل الموقف السياسي للقيادة العربية السياسية لعرب فلسطين حول الانتداب البريطاني والمستقبل السياسي لفلسطين بأمل احداث تغيير في السياسة البريطانية تجاه فلسطين . وكان افراد هذه النخبة يحضرون اجتماعات سياسية ، رسمية وغير رسمية ، عامة وخاصة ، وتجدر الاشارة الى ان الرحلات السياسية الى اوروبا زاد عددها على الرحلات غير السياسية ، بل ان هذه النخبة السياسية حين كان يقوم افراد منها في رحلات غير سياسية ، فانهم كانوا يقومون بنشاط سياسي [٩] ويوضح الجدول رقم (٤) الدول الاوروبية التي زارها معظم افراد النخبة العربية السياسية في فلسطين في هذه الفترة .

جدول رقم (٤)

البلد	عدد الاعضاء	النسبة المئوية من اجمالي عدد الاعضاء
بريطانيا	١٧	٥٢,١
فرنسا	٦	١٨,٨

وقد اكتسبت القيادة السياسية العربية خلال رحلاتها الى الخارج تعدادا كبيرا من الخبرة السياسية وسعت افاقهم السياسية والاجتماعية ، ولا بد انهم تعرضوا لتأثير افكار سياسية اجتماعية في دول اوروبا التي زاروها ، وانه لامر ذو دلالة ان ١٢ دولة اوروبية قد زارها افراد من النخبة العربية السياسية في فلسطين في فترة الثلاثينات والاربعينات وقد تمت هذه الزيارات الى بريطانيا وفرنسا بصفة خاصة ، حيث ان بريطانيا كانت الجهة التي عهدت اليها عصبة الامم بغرض انتدابها على فلسطين ، فان الوفود الفلسطينية كثيرا ما قامت بزيارتها ، وان هذه الزيارات اتاحت لهم اجراء مفاوضات مع الحكومة البريطانية حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية ومكنتهم من اجراء مباحثات مع مختلف القوى السياسية في بريطانيا كما كانت عدة بلدان ارثونكسية في البلقان بين الدول الاوروبية التي زارها اعضاء الهيئة ، وقامت عدة وفود ارثونكسية او تحتوي على عناصر ارثونكسية من المسيحيين العرب في فلسطين بزيارة هذه البلدان لاغراض الاعلام السياسي للقضية الفلسطينية [١٠] .

ومنذ ان حلت بالشعب الفلسطيني النكبة في

Digitized by Birzeit University Library

وطنه ، عام ١٩٤٨ ، مرت عليه مرحلتان كانت اولاهما تشبه الشلل الكامل ، فترتب على الهزيمة واعلان قيام اسرائيل تشتيت غالبية ابناء الشعب الفلسطيني خارج ارضه وانصرافه الى تأمين لقمة عيشه فتفرق في ارجاء الارض ، خاصة في مختلف الاقطار العربية حيث نجحوا في ايجاد عمل فيها وشكلوا بذلك نواة تميزت بسلوك نخبة تمثل الاقلية (١١) ، اما من هاجروا الى الدول الاوروبية فان الوضع يختلف ، فعلى الرغم من قلة المعلومات المتوفرة عن اعداد ونسبة المهاجرين من الطلاب العرب والفلسطينيين على وجه الخصوص الى دول السوق الاوروبية المشتركة ، فان ما يتوفر من معلومات قليلة ومبعثرة قد تساعد على تحديد الاتجاه العام لهجرة الكفايات العلمية والفنية الفلسطينية ، عن طريق الدراسة في الخارج .

وفيما يتعلق بالشعب الفلسطيني ، تقرر احدى الدراسات (١٢) ، ان ٨٠٪ من الطلاب الاردنيين الذين يدرسون في دول اوروبا الغربية لا يعودون ابدا ، بينما تشير دراسة اخرى (١٣) في هذا المجال الى ان حوالي ٧٠٪ من العلماء العرب الذين يتدربون في اوروبا والولايات المتحدة يعودون الى اوطانهم ، وان نسبة من يهاجرون من الطلاب العرب الذين يدرسون في مختلف البلاد الاوروبية المتقدمة تعتبر نسبة عالية جدا ، حيث يتخذ نسبة كبيرة من الطلاب الفلسطينيين الذين يدرسون في اوروبا — يتخذون من الدول التي يدرسون فيها ، ومن العلوم التي يتخصصون في دراساتها نقطة ارتكاز وتأهيل مهمة ينطلقون منها فيما بعد الى الاستقرار النهائي في الدول التي درسوا فيها ، ولما كان عدد الطلاب العرب الدراسين في الخارج يقدر بحوالي ٤٠٠٠ طالب ، فان عدد الدراسين منهم في دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة يقدر بحوالي ٣٢٠٠٠ طالب ، وبالنسبة للشعب الفلسطيني فان الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تشكل اهم قوى الدفع والجذب في تحديد اتجاه ومعدل الهجرة ، وبالطبع فان قرار الطلاب الفلسطينيين بعدم العودة هو اتجاههم الى البحث عن افضل واسهل السبل التي تمكنهم من البقاء والاستقرار ، ولما كان الزواج من فتاة اوروبية يعتبر اقصر الطرق الموصلة الى الهدف ، فانه لا غرابة في ان نرى بعض الشباب الفلسطيني يعمد على الزواج ، وذلك قبل ان يكون قد مضى على وصولهم الى اوروبا بضعة اشهر ، وهكذا تعتبر الدراسة في اوروبا ليست الا وسيلة من وسائل تلك الهجرة حيث يتعذر على اغلب الراغبين في الهجرة من غير اصحاب المؤهلات العلمية والفنية ، الوصول الى تحقيق هدفهم .

ونسبة كبيرة من المهاجرين الفلسطينيين عن طريق الدراسة في الخارج ، يلعب فيها العامل المادي الدور الاكبر في حمل الكثيرين على البحث عن مختلف الوسائل التي تمكنهم بين العمل والدراسة ، ونسبة كبيرة من الطلاب الفلسطينيين في دول السوق الاوروبية المشتركة وخاصة في المانيا الغربية يعتمدون اعتمادا كليا على انفسهم في كسب عيشهم ودفع نفقات دراستهم الجامعية ، لكنهم غالبا ما يتركون دراساتهم في الجامعة وينقطعون عنها بسبب العمل فضلا عن ان اتجاه الطلاب الى العمل يقلل من اهتمامهم بالدراسة مما يؤدي الى الطرد من الجامعة والترحيل من البلاد ، ويتجه الكثيرون الى البحث عن الوسائل التي تمكنهم من العمل دون التعرض الى عمليات الطرد والترحيل ، ولهذا يلجأ الكثيرون منهم الى الزواج من المانيات ، وهكذا يستقر الحال بهؤلاء الى العيش في المانيا الغربية .

ان المعلومات القليلة والمبعثرة عن اعداد المهاجرين الفلسطينيين هجرة دائمة او مؤقتة لدول السوق الاوروبية المشتركة لا تصور الحقيقة كاملة ، والجدول الاتي يوضح نسبة المهاجرين من الكفايات العلمية والفنية ، والعربية ، الى مجموع الخريجين بين سنتي ١٩٦٢ — ١٩٦٦ الى كل من فرنسا والولايات المتحدة وكندا .

البلد	علوم طبية	علوم مهندسين	اطباء اجتماعية	ممرضات
العراق	٪٠,١	٪٩,٣	٪٤,٩	-
الاردن	هجرة عالية بدون انتاج وبلامط ان الجزء الاكبر (حوالي ٨٠٪) من المهاجرين الاردنيين من الفلسطينيين			٪٢١,٨
لبنان	٪١٠,٥	٪٣٥,٥	٪٢٤,٩	-
مصر	٪٤,٦	٪٠,٦	٪١,٩	٪٣,٧ ٪٥,١
سوريا	٪١١,٧	٪٠,٨	٪٥٦,٥	٪٩,٣ -

المصدر Henderson, Gregory: Emigration of Highly-Skelled Manpower from the Developing Countries, (New York: UNITA, No. 3, 1970) pp. 190-L 91

والاحصائية السابقة لا تشتمل على اعداد المهاجرين الى انجلترا والمانيا الغربية وهي من دول السوق الاوروبية المشتركة ، ومن ثم فانه من اجل الوصول الى نسب اكثر واقعية ، فانه يمكن اعتبار النسب السابقة تساوي ٧٠ — ٨٠ ٪ من الفاقد الحقيقي والذي يمثل ما تفقده البلد العربية من الكفايات العلمية والفنية عن طريق الهجرة الى الخارج .

Digitized by Birzeit University Library

وفيما يتعلق بالشعب الفلسطيني فان الاردن يقوم بتصدير العلماء والمهندسين والاطباء دون ان يستطيع تكوين اي عدد منهم في داخل البلاد حيث تتم الدراسة في الخارج . ومع انها تتم باعداد متواضعه نسبيا ، فان الاقتصاد الاردني يظهر عجزا واضحا عن استيعابهم واذا اضفنا الى الفلسطينيين المقيمين في الاردن ، الكفايات الفلسطينية التي تهاجر من الارض المحتلة في فلسطين ، فاننا نجد ان الكفايات الفلسطينية التي هاجرت الى انجلترا والمانيا الغربية وغيرها من دول السوق الاوروبية المشتركة بلغت اعدادا كبيرة ، وعملية الهجرة هذه تتم دون اشراف اي من الحكومات العربية ودون تنظيم من قبل مؤسسات متخصصة ، مما يجعل المهاجرين الفلسطينيين يتجهون الى كل مكان من العالم يشعرون بقدرته على توفير فرص افضل للعيش والعمل (١٥) ، كذلك فان من دوافع هذه الهجرة عدم وجود المناخ الملائم لهم في ظل الاحتلال الاسرائيلي، حيث لا طمأنينه ولا استقرار ولا حرية شخصية تجعلهم يقيمون في الاراضي المحتلة ،

اضف الى ذلك ان معظم الفلسطينيين الذين يقيمون الخارج هو نتيجة لعدم الاستقرار السياسي في الوطن العربي وجود القلق السياسي في المنطقة العربية حيث على الفلسطينيين ان ينضووا تحت لواء الاحزاب السياسية المختلفة في الوطن العربي بما يحويه ذلك بالطبع من تسرب خلافات هذه الاحزاب وانعكاساتها على الفلسطينيين انفسهم ، مما يجعلهم كبش الفداء للحكومات العربية ، خاصة وان كارثة يونيو ١٩٦٧ وما اعقبها ـ على الصعيد الفلسطيني ـ من تصفية المقاومة الفلسطينية في الاردن ، هذه الانعكاسات والمضاعفات دفعت الدارسين والاخصائيين الفلسطينيين الى اليأس والانحدار في المعنويات وخيبة الامل بمستقبل المنطقة العربية واستقرارها السياسي ، فالكفاح الذي طال امده ضد اسرائيل كان له ابعد الاثر في نفوس العلماء والطلاب الفلسطينيين ، الذين بالرغم من ذلك ـ لم يفقدوا ـ حتى وهم في الدول الاوروبية وخاصة المانيا الاتحادية ـ روح الهوية الفلسطينية ، غير ان معظم النبن غادروا الاردن والاراضي المحتلة من الفلسطينيين فضلوا البقاء في الخارج .

وهكذا نجد ان اسباب هجرة الشعب الفلسطيني عديدة ومتشابكة منها ما تعود على عوامل خارجية « ضاغطة » يقابلها عوامل خارجية « جاذبة » حيث تشريعات الهجرة في الدول الاوروبية والولايات المتحدة تجتذب ـ فقط ـ الكفاءات العربية ، انن فليس العمل او المال هو سبب الهجرة ولكن هناك ايضا الابداع والحرية وايجاد مناخات علمية مناسبة للعمل المثمر الخلاق ، وهي الحقيقة المؤكدة بالنسبة لمئات الفلسطينيين الذين لهم مكانتهم ومنزلتهم العلمية المرموقة في الادارة والاقتصاد والعلوم السياسية في اوروبا والولايات المتحدة الامريكية (١٦) .

مجالات عمل الفلسطينيين في المانيا الغربية

سبقت الاشارة الى ان عدد الفلسطينيين في اوروبا الغربية برمتها يبلغ حوالي ١٦٠٠٠ منهم نحو ١٥ الفا في المانيا الغربية وحدها ويتوزع الباقي على دول اوروبا الغربية الاخرى بما فيها دول السوق الاوروبية المشتركة فضلا عن ان هذا الرقم تقديري ، وعلى هذا فسيقتصر عرضنا عن الاوضاع الاجتماعية للفلسطينيين في دول السوق الاوروبية المشتركة على المانيا الغربية . ومعظم المقيمين من الفلسطينيين بالمانيا الغربية من الشباب ويدخلون المانيا الغربية عن طريق برلين الشرقية بدون تأشيرات دخول مستغلين ظروف مدينة برلين بعد الحرب العالمية الثانية ، وانها مدينة مفتوحة ، ولا يلزم لدخولها الحصول على تأشيرة دخول من حكومة المانيا الغربية . وهذا الوضع لا يخول للفلسطينيين الاقامة القانونية في المانيا الغربية ، وبالتالي لا تتاح لهم فرص العمل القانونية السليمة ، وانما ـ شانهم شأن العرب الذين يدخلون المانيا بهذا الاسلوب وهم يضطرون الى قبول ما يسمى بالعمل الاسود الذي ساد في العواصم الاوروبية ، او في احسن الظروف عن العمل الاسود المطبق بالشرعية بعد تدخل الدولة لضبطه ومراقبته . فمنذ حوالي ثماني سنوات كانت مدينة برلين كغيرها من العواصم الاوروبية تحوي مكاتب « العمل الاسود » التي تقوم بتأمين الايدي العاملة الرخيصة ، واستغلالها بابشع الصور ، حيث قلصت اجرة العامل الى ادنى حد ممكن حتى بلغت في معظم الحالات نسبة ٤٠ ـ ٥٠ ٪ من الحد الادنى الرسمي للاجور (٢٥ ماركا بدلا من ٦٥ ماركا) . خالية من كافة الضمانات العائلية او التعويض على اساس تعاقد يومي و في اصعب مجالات العمل واقذرها ، والتي لا يقبل الاوروبيون القيام بها مثل العمل الشاق في التعمير والبناء خاصة في فصل الشتاء والثلوج تغطي الارض او في عمليات كنس ونظافة الشوارع او في المطاعم في عمليات غسل الاطباق وتنظيف دورات المياه والفنادق .

وتوجد مكاتب عمل لتشغيل الفلسطينيين والعرب عموما واصحاب هذه المكاتب معظمهم من اليهود والالمان الذين يستغلون المسائل السياسية مثل تشجيع الفلسطينيين على الهجرة بهدف اجهاض او اضعاف الثورة الفلسطينية ، واصحاب هذه المكاتب يتلقون الفلسطينيين بصفة خاصة لانهم لم يحصلوا على اقامات شرعية وخاصة بعد حرب ١٩٦٧ ، وقبل ذلك حصلت مجموعات من الفلسطينيين على اقامات سياحية لم تخولهم الحق في العمل . وقد تكاثر على هذه المكاتب المئات من الفلسطينيين طالبي العمل الذين لا يحصلون على تراخيص عمل ، وتقوم هذه

Digitized by Birzeit University Library

المكاتب بتشغيل بعضهم في بعض الشركات والمصانع والفنادق التي تحتاج الى بعض العمال وترفض الاخرين الذين لا يوجد عمل لهم ، وفي مقابل قيام المكاتب بهذه العملية ، تحصل مكاتب العمل على نصف الاجر .

هناك اعمال اخرى شاقة يزاولها العرب والفلسطينيون مثل بيع الصحف ، ويستلزم هذا الامر الاستيقاظ حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل وتسلم الصحف ثم توزيعها على المنازل والابواز العليا بها وهي عملية شاقة ، هناك ايضا اضطرار الفلسطينيين للعمل في المناجم وداخل الورش والمصانع وغيرها . تحت اقسى الشروط والظروف بدءا من طبيعة التعاقد وحجم الاجور ، الى الضمانات وكيفية الحصول على العمل او كمية المساعدة الاجتماعية اثناء البطالة وكيف تسترد منهم بابشع انواع الاستغلال وعمل السخرة . ونظرا لان التعاقد يقوم على اساس يومي مع الاجانب ، ويلجأ اصحاب العمال الى تقليص اسبوع العمل الى ثلاثة ايام في اوقات الازمات الاقتصادية ، والعمال الفلسطينيون هم من اوائل الذين ينطبق عليهم هذا النظام مما يؤدي بهم الى الوقوع في ازمات معيشية حادة دون ادنى حد من التعويض ، وبذلك يشكل الفلسطينيون قسما من قوة العمل الاحتياطي التي تستخدم ويستغنى عنها تبعا لتقلبات ازمات العمل . ويجري تمييز العامل الالماني عن العامل الفلسطيني في كافة المجالات من حيث حجم الاجور واجازات المرض حيث يسمح للالماني بتمديد اجازته المرضية حسب حاجته ولا يسمح للعامل الفلسطيني بتمديد اجازته اكثر من ثلاثة اسابيع يفصل بعدها اوتوماتيكيا من عمله .

اما ضريبة العمل فتتميز طريقة تحصيلها من الفلسطيني بالاشكال الاتية .

اولا – يدفع العامل الفلسطيني الضريبة نفسها التي يدفعها العامل الالماني ، بالرغم من ان اجرته القصوى لا تعادل الحد الادنى للاجرة الرسمية .

ثانيا – يعود للمواطن الالماني جزء من الضريبة بطريقة غير مباشرة عن طريق الخدمات الاجتماعية المختلفة (طب وتعليم ..الخ) . اما الفلسطيني فلا يعود اليه اي شيء من هذه الخدمات الاساسية .

ثالثا – يظل جزء من الضريبة من حق العامل الالماني وتعود اليه كمدفوعات مباشرة كلما حان وقت استردادها – كضمان للشيخوخة او في حالة تغير مكان العمل او الهجرة الى الخارج ، بينما يحصل الفلسطيني على جزء ضئيل للغاية من الضريبة التي يدفعها .

وعموما فان تعداد ما توفره اجهزة الدولة في برلين من اصل الضرائب الواجب اعادته للعمال الاجانب ومن بينهم الفلسطينيين يبلغ حوالي عشرة ملايين مارك سنويا . ويعجب العامل الفلسطيني حين يحصل من الدولة على بطاقات سفر مجانيه ومساعدة اجتماعية فيظن ان الدولة تتكرم عليه ، خاصة ان العامل الفلسطيني ينظر الى الموضوع من منظار فردي ، ولا يرى خلفيته في استغلال جموع العمال الاخرين .

السوق الاوروبية المشتركة وعمل غير مواطني دولتها (١٨)

اما عن العمل السليم داخل دول السوق الاوروبية المشتركة ، فاللاحظ ان حرية مرور الاشخاص تقتضي الغاء كل تمييز قائم على الجنسية فيما يتعلق بالاستخدام والاجر والشروط الاخرى للعمل (مادة ٤٨ فقرة ١ من اتفاقية السوق الاوروبية) ، اي ان كل عمال دول المجموعة الاوروبية يعتبرون مجموعة واحدة ، بحيث يمكن ان يفضل العمال من بلاد اخرى عن العمال الوطنيين طبقا لمعايير القدرة والكفاءة ، ونظام حرية مرور العمال للعمل قد استتبع ان تشتد المنافسة بينهم على اساس الكفاءة وليس على اساس الجنسية ، ويعني هذا ان مواطني الدول الاعضاء في السوق الاوروبية المشتركة ينطبق عليهم حرية المرور ، وليس على هؤلاء الذين يقيمون اقامة مؤقتة قانونية مثل الفلسطينيين والعرب ، فقول السوق تتيح لابنائها ان يتمتعوا بفرص متكافئة للعمل ، اما في حالة الخبرة النادرة فيمكن توظيف مواطنين من خارج دول السوق ، غير ان نادرا ما يحدث بالنسبة للفلسطينيين والعرب عموما الذين يتحايلون بالزواج من المانيات من السنات وارامل الحرب وهو ما يتيح لهم الحصول على الاقامة القانونية ، وعادة ما تكون لمدة خمس سنوات وتجدد تلقائيا طالما ظل الزواج قائما .

اي ان المساواة في المعاملة بين العمال من مواطني دولة اخرى في الجماعة الاوروبية والعمال الوطنيين قاصرة على دول الجماعة الاوروبية فقط ، فيما يختص بشروط الاستخدام والعمل وخاصة في الاجر والعزل من الوظيفة ، وقد انشئت لجنة استشارية مكونة من ممثلين عن حكومات دول السوق والمنظمات النقابية للعمال واصحاب الاعمال لكل دولة عضو . ولجنة فنية مكونة من واحد من ممثل حكومة كل دولة عضو يمثلونها في اللجنة الاستشارية . واعتبارا من نوفمبر تشرين الثاني ١٩٦٨ تم وضع لائحة تتضمن حرية المرور وكذا الاحكام المتعلقة باستخدام وحقوق العمال في نظام حرية المرور من حيث انه يحق لكل مواطن لدولة من الدول الاعضاء ايا كانت محل

Digitized by Birzeit University Library

اقامته ان يلتحق بعمل ذو اجر وان يحتفظ به ، ويتساوى العامل هنا تماما مع العامل الوطني ، ولا يكون في حاجة لتصريح بالعمل ، ويوجد فقط شرط يمكن فرضه ، وهو شرط المعرفة للغة اذا كانت طبيعة العمل تتطلب ذلك . هناك ايضا المساواة في المعاملة وخاصة فيما يتعلق بالاجر والعزل واعادة الاستخدام في حالة اصابة العامل بالبطالة .

اما حق الاقامة في اقليم الجماعة الاوروبية ، فانها مكفولة لكل رعايا الدول الاعضاء ، وتشمل حرية الاقامة الالتحاق باوجه النشاط بدون اجر وكذا ممارستها، كذلك فقد حدد مجلس الجماعة الاوروبية ان المستفيدين من الاقامة هم رعايا الدول الاعضاء والبلاد والاقاليم فيما وراء البحار .

وواضح من العرض السابق ان حرية مرور الاشخاص او حرية الاقامة لا تنطبق على الفلسطينيين الذين يتعرضون لظروف اخرى غير مشابهة على الاطلاق لظروف واوضاع مواطني دول الجماعة الاوروبية ، غير انه يمكن القول ان الفلسطينيين المقيمين اقامة دائمة في المانيا سواء عن طريق الزواج من المانيات او عن طريق عملية اللجوء السياسي ـ كما سيأتي تفصيل ذلك في موضوع لاحق من هذه الدراسة ـ ينالون حقوقا كبيرة مساوية تقريبا حقوق المواطن الاصلي في دول السوق المشتركة ، وذلك بعكس المقيمين اقامة مؤقته .

وعموما فان الفلسطينيين في المانيا الغربية ـ وهي من دول السوق المشتركة ـ يتركزون في برلين الغربية بصفة خاصة وليس في عواصم اوروبية اخرى للاسباب الاتية (١٩) .

١ ـ قدرة برلين الغربية على استيعاب الايدي العاملة الاجنبية التي تختارها برلين وخاصة في قطاع البناء حيث ان معظم العاملين في هذا القطاع هم من بين العمال الاجانب ومنهم الفلسطينيين .

٢ ـ مشاكل الحدود بين برلين الغربية والقسم الشرقي منها .فالفلسطينيون لا يستطيعون الحصول بسهولة على تأشيرة مرور الى العواصم الغربية ، بل يحصلون على تأشيرات مرور في اراضي المانيا الديمقراطية . ويتسللون الى برلين الغربية عبر المداخل التي يسيطر عليها البوليس الالماني الشرقي الذي لا يشترط وجود تأشيرات دخول الى اراضي المانيا الغربية ، اذ تعتبر برلين منطقة « ترانزيت » دولية .

٣ ـ انخفاض سعر التذكرة بواسطة الطيران الشرقي التي تصل الى حوالي نصف سعر التذكرة بواسطة الطيران الغربي حتى بعد مضاعفتها .

التجمعات الفلسطينية في دول السوق الاوروبية وكيفية الحصول على الاقامة في المانيا الغربية .

تعتبر حجوم الفلسطينيين في دول **السوق الاوروبية المشتركة** غير معروفة على وجه الدقة ، إذ ان اعدادهم هناك ـ وعلى ضالتها ـ تتغير من سنة لاخرى ، تبعا لمدى احتياج هذه الدول لليد العاملة الفلسطينية ، وبقدر وجود نحو ٢٨ الف فلسطيني في الدول الاجنبية ، منهم سبعة الاف في الولايات المتحدة الامريكية وخمسة الاف في امريكا اللاتينية ، وحوالي ١٥ الفا في المانيا الغربية ، وحوالي الف في بقية دول الاوروبية بما فيها دول السوق الاوروبية المشتركة .

ويرتبط التطور العددي للفلسطينيين في دول **السوق الاوروبية المشتركة** والدول الاجنبية عموما ، برتبط ذلك بأوضاع الفلسطينيين . فمنذ عام ١٩٤٨ ، ومن حرب الى حرب ، يشتت الفلسطينيون ، وعندما حلت كارثة ١٩٦٧ ، وجد الفلسطينيون انفسهم مبعثرين في تجمعات في الدول العربية والاوروبية ، وواجهت هذه التجمعات ظروفا سياسية واقتصادية واجتماعية متباينة ، كان لا بد وان تترك انعكاساتها واثارها على حياة الفلسطينيين وعلى عملية تكيفهم مع الاوضاع الجديدة ، وزادت هذه الاوضاع ، مضافة الى العامل الجغرافي ، من تباعد التجمعات الفلسطينية وانفصالها عن بعضها ، بالتوزيع الجغرافي للشعب الفلسطيني أصبح من التوزيعات العامة في دراستهم ، لان تواجد الفلسطينيين في اوروبا يبقى محدودا في الدول التي لجأوا اليها ، وانما لدوافع عديدة ومختلفة ، اهمها الواقع الاقتصادي ، واخذ هؤلاء بالهجرة الى دول **السوق الاوروبية المشتركة** والعالم الغربي عموما .

وحتى الوقت الحالي ـ ليس هناك اتفاق على حجم الشعب الفلسطيني بشكل دقيق ، واقرب التقديرات الى الدقة (عام ١٩٧٣) ان تعداد الشعب الفلسطيني يبلغ حوالي ٣,٣ ملايين نسمة ، وتبلغ نسبة الفلسطينيين في الوطن العربي ، طبقا لاحدى الدراسات (٢٠) ، ١,١ ٪ من توزيع الشعب الفلسطيني عام ١٩٧٣ على فلسطين والدول العربية .

وسبق إيضاح ان القيود التي تفرض على تأشيرات الدخول الى دول السوق الاوروبية عموما ، جعلت حوالي ١٥ الف فلسطيني يقيمون في برلين الغربية ، كما يوجد ايضا ، مجموعات فلسطينية في ميناء هامبورج وفي مدينة بون ، وفي ايطاليا يتركز الفلسطينيون ـ بالرغم من قلتهم ـ في روما ونابولي

Digitized by Birzeit University Library

حيث فرص العمل متاحه اكثر عنهما في المدن الايطالية الاخرى ، كما توجد مجموعات اخرى ضئيلة في اليونان والنمسا .

وهكذا نجد ان مدينة برلين الغربية ، وليس غيرها من مدن اوروبا الغربية ، هي المركز الاول لاستقطاب العمال الفلسطينيين ، ومن المعروف ان مدينة برلين الغربية هي اكبر واخطر وكر للصهيونية ، من بين باقي عواصم اوروبا الغربية ، لكن الفلسطينيين بالرغم من ذلك ، يواجهون صعوبات وعقبات في الحصول على الاقامة .

فالفلسطينيون من العمال والشباب يدخلون برلين بصورة غير شرعية ، ولا يستطيعون مواجهة بوليس الاجانب الا عن طريق محامي يوكل في قضية طلب الاقامة ، على اساس « اللجوء السياسي » ، وهم يقتصرون باعمالهم على هذه العملية لتثبيت مورد رزقهم الوحيد ، علما بان المركز لا يدفع اكثر من ٢٥ ـ ٥٠ ماركا ، لقاء كامل اتعابهم ، ويحصلون بالاضافة الى ذلك على مكافات خاصة من قبل الدوائر الرسمية ، وذلك بخلاف الرعاية والدعم من قبل المخابرات الصهيونية ، ولتسهيل مهامهم ، فانهم يوظفون لديهم عناصر فلسطينية او عربية يدفعون لها معاشات مغرية ، شرط ان تكون لهذه العناصر الفلسطينية المتواطئة مع المخابرات الصهيونية الاقامة المؤقتة للفلسطينيين ، بناء على رسالة من الحامين يعلنون فيها تبنيهم لقضية لجوئهم السياسي .

واللجوء السياسي للفلسطينيين الى المانيا الغربية وبرلين الغربية بصفة خاصة ، هو عملية منظمة تشترك فيها المخابرات الالمانية بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية والامريكية ، وهدفها ابعاد الشباب الفلسطيني عن بؤرة الصراع العربي الاسرائيلي ، وامتصاصهم ومنحهم اقامة وفرص عمل داخل المانيا ودول اوروبا الغربية والسوق المشتركة ، بحيث يستقر الشباب الفلسطيني ويبتعد عن منطقة الشرق الاوسط . ويتم ترحيل هؤلاء الى احد المعسكرات في المانيا الغربية ، حيث يتم استجواب هؤلاء الافراد والتقاط صور شخصية لهم ، ثم منحهم اقامة مؤقتة ، لمنحهم حق اللجوء والعمل ، وفي هذه الحالة تسحب منهم جوازات سفرهم ويمنحون جوازات سفر دولية ، تتيح لهم التحرك داخل دول العالم المختلفة عدا وطنهم ومعظم الفلسطينيين يلجأون الى نرائع ، منها رفضهم الاشتراك في الحرب ضد اسرائيل ، حتى انه يمكن اطلاق اسم اللجوء الاقتصادي على هذه التجمعات ، بدلا من اللجوء السياسي الذي يعني مباشرة انشطة سياسية ، والفلسطينيون هنا لا يباشرون هذا النشاط (٢١) .

وهكذا ، فان الحديث عن كيفية حصول الفلسطينيين على الاقامة في المانيا الغربية يتطلب ضرورة استعراض ثلاث نقاط هامة .

١ ـ اللجوء السياسي وسماته الرئيسية .

ط ـ معسكرات اللجوء السياسي .

٣ ـ محاكم معسكرات اللجوء السياسي .

١ ـ اللجوء السياسي وسماته الرئيسية

تكتسب هذه العملية ، ظاهريا ، طابع الاهمية والخطورة . اما من الناحية الفعلية فلا يتعدى كونها المخرج الوحيد المتاح للفلسطيني الذي لا خيار له . والملاحظ ان طلبات اللجوء السياسي لم تتعد اصابع اليد الواحدة ، وذلك قبل اغلاق مكاتب العمل الاسود Schwarts Ardiet أما بعد ذلك فقد انتشرت ظاهرة اللجوء السياسي في صفوف الفلسطينيين ، غير ان الامر الخطير هنا يمكن في استقطاب عدد اكبر من الفلسطينيين ، وخاصة الشباب في محاولة تمنيع الحياة الاجتماعية للتجمعات الفلسطينية لقاء وعود واحلام خادعة لا يحقق منها شيء .

ومن السمات الرئيسية لعملية اللجوء السياسي عدم وجود حالة واحدة من حالات اللجوء قريبة من الواقع ، وتحوي ملفات طالبي اللجوء السياسي امثله تثير السخرية ، ولكنها ورطة يقع فيها بعض الفلسطينيين ، مما يسيء الى القضية الفلسطينية . من هذه الامثلة المثيرة للسخرية من يدعي انه كان ضابطا ثم فر من الخدمة . وهناك من يدعي انه مناضل مطلوب للاعدام ، وهكذا . وفي احيان كثيرة لا يعرف احد هؤلاء ماذا يختلق من روايات ، فيتولى المحامي مساعدته في اختلاق قصة اكثر « اثارة » وإساءة الى القضية الفلسطينية . حتى اصبحت ملفات اللجوء مادة غنية للدعاية الصهيونية والمنظمات النازية ، في المانيا وغيرها ، وبشكل خاص عندما تتطور القضية الى مهزلة حضور محاكم اللجوء السياسي الرسمية في معسكرات خاصة في غرب المانيا .

٣ ـ معسكرات اللجوء السياسي وعلاقة الفلسطينيين بفصائل المقاومة

يرسل الفلسطينيون الى غرب المانيا لحضور محكمة « اللجوء السياسي » التي تقام في معسكرات خاصة معظمها تحت اشراف القوات المسلحة

Digitized by Birzeit University Library

للولايات المتحدة . وتحت اسماء جمعيات دولية مختلفة ، كرعاية حقوق الانسان وغيرها من العناوين المضللة ، وتجمع هذه المعسكرات اناسا من قوميات مختلفة وخاصة الاوروبيين الشرقيين . ويقيم معظم الفلسطينيين في معسكر مدينة ـ التيرندورفا ـ وهم يتعرضون الى شتى انواع التحقير والاذلال ، حيث يكلفون باعمال السخرة ، وتنظيف الشوارع والحدائق ، ومسح غرف الموظفين ومكاتبهم ، مقابل الطعام والنوم فقط . وهذا مما يؤدي ، دائما الى تخلي بعض الشباب عن طلبات لجوئهم السياسي قبل حضور المحكمة ويغرون عائدين الى برلين ، حيث يبدأون المحاولة من جديد للحصول على عمل ، وذلك لتأجيل الذهاب الى المحاكمة .

ويختلف الشبان الفلسطينيون عن غيرهم من مجموع اللاجئين ، إذ يتسم الفلسطينيون بالتمرد . مثال ذلك ان حريقا شب في المعسكر واحرق الغرف والاثاث ، وسبب خسائر اخرى ، خلال الشهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٣ ، والصقت بالشباب الفلسطينيين مسؤولية الحادث ، الذي جاء رد فعله على الصعيد الصهيوني ، حيث وصف الفلسطينيون بانهم مخربون وارهابيون ، خاصة وان معظم الشباب الفلسطيني هناك ما زال على علاقة تنظيمية مع فصائل المقاومة الفلسطينية **ومنظمة التحرير الفلسطينية** ، وقبلها حركة **فتح** منذ اواسط الخمسينات ، حيث كانت تجمعات فلسطينيه طلابية قد رحلت الى اوروبا لتكملة دراستهم ، وذهب السواد الاعظم منهم الى المانيا والنمسا ، والتحق عدد كبير منهم بجامعة شتوتغارت ، التي قدر لها ان تصبح مركزا للنشاط القومي الفلسطيني في اوروبا ، هذه التجمعات الفلسطينيه في اوروبا كونت ، ايضا ، خميرة لمنظمات سياسية وجمعيات سرية .

واقام الطلاب الفلسطينيون في القاهرة اتحاداً باسمهم وخضع هذا الاتحاد ـ على حد قول البعض ـ (٢٣) للنفوذ المصري ، وبقي في المانيا الجزء الاكبر من اعضاء هذا الاتحاد ، وكان يتبع اتحاد المانيا فرع اخرله في النمسا ، وبدأ طلبة **فتح** يسيطرون على فرع المنظمة ، ونجحوا في الحصول على المراكز القيادية فيها . وفي عام ١٩٦٤ اصبح لهم السيطرة الكاملة على **اتحاد الطلبة الفلسطينيين** في المانيا والنمسا ، واستقلوا به ، تماما ، عن المنظمة الام في القاهرة ، وعندئذ اجتنبوا عدة مئات من الطلبة في منظمة **فتح** ، **وكونوا خلايا تابعة لها في كل الجامعات الكبيرة في المانيا والنمسا وايطاليا واسبانيا ويوغوسلافيا ، غير ان السواد الاعظم من هؤلاء الطلبة اخذوا ينشرون مبادئهم بين الطلبة العرب هناك .**

وافتقرت الاعمال الايجابية الفدائية على ذوي الخبرة والتي كانت تتركز في ستتوتغارت ، واعقب هذه العمليات الفدائية في عام ١٩٦٥ ، مما اضطر قادة فتح الى احكام الامن والاحتفاظ بسرية حركتهم ، وأصبحوا يعملون تحت أسماء مستعارة ، واتخذ ياسر عرفات اسما مستعارا هو « ابو عمار » وان اشتهر باسم « الدكتور » .

وهذا التحول الذي طرأ على حركة **فتح** من فلسطينيين مقيمين في المانيا والجزائر والكويت ، وتحولهم الى النشاط بين اللاجئين المقيمين في الاردن ولبنان وسوريا ، أجبر ذلك حركة **فتح** على تغيير اساليبها في القتال .

٣ ـ محاكم « اللجوء السياسي » والاقامة المؤقتة للفلسطينيين

من مهام هذه المحاكم مطالبة اللاجيء السياسي باثبات ماورد لديه من ادعاء عن دواعي لجوئه ، وقد أثبتت الوقائع السابقة انه من النادر ان تجد فلسطينيا اثبت اضطراره للجوء ، وكان من النتائج التي اسفرت عنها المحاكمات أمام محاكم اللجوء السياسي ان رفضت طلبات معظم الفلسطينيين ، ولكن مع بقاء فرصة الاستئناف التي تعطي الفلسطينيين مبررا للاقامة مدة اطول وتجد السلطات الالمانية ان مصلحتها تقتضي عدم الرفض القطعي لهذه الطلبات ، فهي ، بشكل أساسي ، تحافظ على وجودهم على أساس إقامات مؤقتة تعفيهم من تحمل المسؤولية تجاه عملهم او تحسين ظروف معيشتهم ، فالمسألة واضحة تماما . إن القائمين على رأس هذه العملية يدركون عدم جدية اللجوء السياسي للفلسطينيين ، ولكنهم يحاولون كل جهدهم لاعطائها الصفة القانونية ، كما يستفيدون بالخداع والتزوير من انتزاع « اعترافات وتوقيعات » على استمارات وبيانات ووثائق تحتوي على عدم حق الفلسطيني بالطالبة بفلسطين او بأي أملاك له فيها أو الايمان بان فلسطين هي موطنه الأصلي والشرعي .

ويحصل العمال الفلسطينيون على إقامتهم ، ويحددونها من خلال العملية الانفة الذكر ، غير أن العامل الاساسي الذي يحدد مصير هذه الاقامة هو حاجة الدولة الى الأيدي العاملة ، خاصة الرخيصة منها ، وليس نتيجة لطلب اللجوء السياسي . وتتعرض الاقامة لعدة تبدلات وتمر بالمراحل الآتية :

١ ـ تعطى الاقامة ، في الفترة الاولى ، لمدة اقصاها ٣ اشهر تسميها الدوائر الرسمية مرحلة

Digitized by Birzeit University Library

انتظار « المحاكمة » والنظر في القضية ، ولكنها ، بالفعل ، مرحلة اختبار للمقيم ، من اجل معرفة ان كان سيعمل ام لا .

ب ـ اذا لم يعمل المقيم في هذه الفترة ، فانه يحصل على مساعدة اجتماعية من مركز بلدية الحي الذي يعيش فيه ، حيث يقدم هذا المركز تقريره عن المقيم الى دائرة البوليس يشرح فيه حالته وعدم امكانية توفير العمل له ، وهنا يصبح المقيم مرشحا لان يرسل الى غرب المانيا ليقيم في معسكرات اللجوء السياسي ، او تحدد له الاقامة في برلين ، للانتظار .

ج ـ احيانا يرفض بعض الشباب امر السفر الى غرب المانيا ، ويضطرون للخروج عن القانون ، بمختلف الوسائل ومن يحصل على العمل لا يستدعي الى المحاكمة ، خلال سنة او سنتين ، وإن دعي وفشلت دعوته ، يسنأنفها وتجدد اقامته مد اطول ، ما دام يحافظ على مركزه في العمل .

د ـ هناك من يكتسب دعوى اللجوء السياسي ، ويحصل على بطاقة سفر جديدة ، بدلا من البطاقة الفلسطينيه ، غير ان هؤلاء يعتبرون قلة ، تعد على الاصابع ، ونوع هذه البطاقة تعطى ، عادة ، في المانيا للفجر الذين لا وطن لهم ، ولا يحق للذين يحصلون عليها مغادرة البلاد قبل مرور خمس سنوات على الحصول عليها .

ه ـ من شروط طلبات اللجوء السياسي انه يحظر مغادرة البلاد خلال فترة الاقامة ، غير ان العمال والشباب الفلسطينيين كثيرا ما يتنقلون بين برلين واماكن اقامتهم الدائمة في الدول العربية ، ولا تعلم السلطات بهذا الامر لانهم يغادرون عبر اراضي برلين الشرقية ، وهذه الظاهرة واضحة ومعروفة من جانب السلطات الالمانية ، ومع ذلك فان الفلسطينيين الذين يغادرون برلين لاسباب مختلفة يعودون اليها ، ويحصلون من جديد على الاقامة دون التعرض للمشاكل بسبب طلبهم « اللجوء السياسي » (٢٣)

الاوضاع الاجتماعية والتعليمية للفلسطينيين في دول السوق

١ ـ الاوضاع الاجتماعية :

بالرغم من ان الفلسطينيين يكونون في بعض الدول العربية جماعات ضغط ، يمكن ان تلعب دورا اساسيا في رسم خريطة الشرق الاوسط السياسية في السنوات القادمة ، لانهم بمثابة نخبة سياسية ، الا لا يمثلون سوى تجمعات قائمة من مخيمات الفلسطينيين في لبنان وقسم من الضفة الغربية والاردن .

فقد اضطرت فئات العمال الى السفر بحثا عن الرزق ، نظرا لقلة فرص العمل والتضييق على مجالات عملهم ، خاصة في لبنان والاردن ، وتبين ان جميع هؤلاء يفضلون البقاء في اماكن اقامتهم الاصلية ، لو اتيحت لهم ادنى فرص للعمل ، فالاجيال الفلسطينية الصاعدة تعتبر اكثر تمسكا بفلسطينيتها واكثر اعتزازا بكبريائها ، وربما كانت اكثر سماتهم هو تعويلهم على الاشباع النفسي الذي يتحقق بانتمائهم لمنظمات المقاومة اكثر من ركونهم للرفاهية المادية . (٢٤) .

وتجربة هؤلاء في برلين خير دليل على ذلك ، حيث لمسوا ان بقاءهم هناك ليس فيه اي امتياز . فالسفر الى ليبيا او السعودية او الكويت يقدم فرصا اكبر لهم في اشباع حاجاتهم وحاجات ذويهم المسؤولين عنهم ، بينما في برلين لا يستطيع العامل ان يرسل الى اهله وعائلته اكثر من ١٥٠ ـ ٢٠٠ مارك شهريا ، اذا كان يعمل بشكل دائم ، ونادرا ما يحدث ذلك ، الامر الذي يضطرهم لسلوك حياة التقشف الشديد ، حيث يحرمون انفسهم من الاجازة الاسبوعية ، ولا ينالون اية فرصة للترفيه ، اللهم الا تبادل الزيارات فيما بينهم ، والتحدث عن الوطن ، والاكتفاء بشرب الشاي ، والتقاط موجات احدى الاذاعات العربية . وبالرغم من انهم يمكثون في برلين سنة او سنتين ، فهم لا يجيدون اللغة الالمانية ، ولا يختلطون بالعمال الالمان ، ولا يدركون ما يجري حولهم ، وتمنعهم السلطات الالمانية من مباشرة اي نشاط سياسي .

وقسم ضئيل من الشباب الفلسطيني يتحمل مسؤولياة عائلية ، اما الاغلبية فقد اندفعت للسفر الى برلين ، ليس بسبب البحث عن عمل ، بل كنزوة شباب وحب استطلاع والوقوع في أوهام الوعود والاغراءات بأن الوضع في برلين سيحقق لهم احلامهم ، غير انهم يلمسون ، بالفعل ، مرارة المعيشة هناك ، ويبدو انهم وقعوا في تلك الحلقة المفرغة ، فهم يعودون الى وطنهم ، ولكنهم لا يجدون عملا سوى في المطاعم والورش ، فضلا عن تركهم لدراستهم الثانوية او الجامعية ، املا في تكملة تعليمهم في برلين ، حيث يتعرضون ، بالطبع ، للفشل الذريع ، ولا يمكن فصل ذلك الواقع المؤلم عن مجمل اوضاع الثورة الفلسطينية ، وحتى لفظ لاجيء ، الذي يلتصق بهم ، لم ينجح في محو هويتهم الوطنية وعزلهم ، نفسيا وسياسيا ، عن تجمعات الفلسطينيين في اوروبا ، لكن المؤامرات التي تواجهها الثورة الفلسطينية والتهديد اليومي ، عدا الهجمات الاسرائيلية على المخيمات في لبنان ، كل

Digitized by Birzeit University Library

هذه الضغوط النفسية جعلت فئة من الشباب الفلسطيني

تختلط بالبيئة الاجتماعية وتتكيف معها ، الى حد كبير ، بحيث اذا عادوا الى المخيمات شعروا « بغربة » . غير ان قسما من الذين عادوا واستقروا في المخيمات استطاعوا ان يتخلصوا من وهم برلين ، ولكن بعد كثير من المشقة والمعاناة ، ويرجع ذلك الى الروابط الايجابية التي يحرص الشعب الفلسطيني على التمسك بها ، فهناك حب فلسطين والتعلق بها ، وقد عمقت حياتهم في برلين هذا الارتباط الذي جعل فلسطين الاطار المرخص لابنائها [٢٥]

مشكلة السكن

تعتبر مشكلة السكن من اهم مشكلات العمال والشبان الفلسطينيين ، حيث يسكن معظمهم في بيوت جماعية ، أو بالاحرى « حجرات » جماعية ، فيشارك أربعة افراد ، أو يزيد ، غرفة صغيرة غير مزودة بالماء او المراحيض ، ويشاركون جميعهم مع الاخرين في حمام واحد ومطبخ واحد لكل طابق ، ويدفعون الاجر ، تبعا لعدد الاشخاص ، والسمة الرئيسية لهذه الحجرات ان معظمها بدون طلاء ، ودائما معرضة للرطوبة وخالية من اجهزة التدفئة الضرورية ، بالاضافة لضيق مجال الزيارات ، إذ يعترض اصحاب هذه الغرف على دخول الزائرين .

والبعض الاخر يحصل على شقق مفروشة غير صحية ، ومنافية لقوانين مدينة برلين ، فيما يتعلق بالمساكن ، ونظرا لارتفاع ايجارها (٣٠٠ مارك بخلاف مصاريف الكهرباء والغاز) فان المستأجر يضطر الى ان يشاركه اشخاص اخرون ، هذا اذا سمح صاحب المنزل ، ويتم الحصول على هذه الشقق عن طريق مؤسسات مريبة تدير عددا من الشقق المفروشة وتمارس شتى انواع الغش ، ويدفع الفلسطيني لهذه المؤسسات عمولة اضافية ، تبلغ ١٥٠ ماركا ، لقاء السكن ، ثم يدفع تأمينا قدره ٢٠٠ مارك ، وهذه المبالغ تدفع بدون اي تعاقد بين الطرفين ، مما يسمح لهذه المؤسسات بطرد العمال من هذه المساكن بدون دفع مبلغ التأمين ، تحت مبررات وحجج شتى ، كالادعاء بان النوافذ قد كسرت او ان فرن الغاز تعطل ، ويستغل اصحاب هذه المنازل - عادة - جهل العمال الفلسطينيين باللغة الالمانية ، ويحصلون على امضاءات منهم تتعهد بالتنازل عن التأمين او دفع تعويض لاضرار لا وجود لها ، تجرهم الى المحاكم وتحمل العقوبات ، ولا يحصل الفلسطيني على شقق يستطيع التصرف بها ، وبعقد يحدد شروط علاقته بالملاك ، وبمطالبة الصحف التي تعلن عن وجود شقق للايجار في برلين ، فان معظمها يشترط عدم قبول الاجانب ، فضلا عن ان معظم الشقق الخالية (١٥ الف شقة غير مسكونة) تحجب عن المواطنين المحليين والاجانب ، بهدف رفع ايجارها .

فضلا عن ان معظم الشقق الخالية (١٥ الف شقة غير مسكونة) تحجب عن المواطنين المحليين والاجانب ، بهدف رفع ايجارها .

٢ - الاوضاع التعليمية ودور وكالة غوث اللاجئين : دوافع الفلسطينيين لتحصيل التعليم في اوروبا .

ترك حرمان الشعب الفلسطيني من الارض والوطن مجالا وحيدا للاستثمار ، وهو استثمار موارده البشرية ، بالتركيز على التعليم ، واحرز الفلسطينيون نجاحا ساعد ، في النهاية ، على تحقيق قدر من التماسك ، بفضل ما حققه من تحصيل في التعليم ، وقد ساعد على ذلك ، أيضا ، ما قامت به السلطات الاسرائيلية من اساليب شرسة لتهجير السكان العرب من اراضيهم ، فقد قامت السلطات الاسرائيلية بتأسيس الشركات من اجل تشجيع الشباب الفلسطيني على الهجرة الى اوروبا ، باعطائهم تذاكر السفر (الذهاب فقط) ، كما تمهد لهم الاقامة عدة ايام لحين الالتحاق بعمل وإعطائهم إجازة عمل بشرط عدم العودة ، ومن هذه الوسائل الترغيبية الخبيثة ، ايضا ، الافراج عن ٧٠ ٪ من المعتقلين وتخييرهم بين الاعتقال او الهجرة مع عدم العودة . [٢٦] .

وقد انصب التهجير ، أساسا ، على الفئات المنتجة والشباب والذكور في سن بين ٢٠ - ٤٤ ، حيث خرج ، في اطار هذه السن ، من ١٩٦٧ - ١٩٧٣ ، ما يقرب من ٧٠ الفا من الشباب الفلسطيني ، كما انصب التهجير على الفئات المثقفة بمعدل سنوي ١١ الف نسمة . [٢٧]

ومن خلال الدور الذي قامت به **منظمة التحرير الفلسطينية** ، فقد ادت هذه الهجرة الى عكس ما توقعته اسرائيل ، فما سعت اليه اسرائيل من تمشيط

Digitized by Birzeit University Library

البناء الاجتماعي في الارض المحتلة بهدف عزل العناصر القلقة – اتى هذا بنتيجة عكسية فلم تختف العناصر القلقة ، بل زادت بروزا ، وخاصة من الهوية الفلسطينيه ، لدى الفلسطينيين المقيمين في أوروبا ، بسبب خلال الاتحادات السياسية والاجتماعية والتنظيمات التي انضوى الفلسطينيون تحت لوائها . (٢٨)

والفلسطينيون في أوروبا ، شأنهم شأن فلسطيني الاراضي المحتلة ، يعتبرون **منظمة التحرير الفلسطينية** هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، واهدافها أهدافهم ، وقيادة منظمة التحرير هي قيادة الشعب الفلسطيني ، وهذه قضية قد حسمت (٢٩) ، خاصة ونحن على أبواب تصفية نهائية للقضية الفلسطينية ، أو على الاقل تصفية تهدف الى خلق حقائق اساسية وجديدة سوف تحكم على مسار الاحداث في المستقبل (٣٠) ، وعموما ، فأن محاولات اسرائيل القضاء على الانتماء القومي الفلسطيني لتحل مكانه انتماء فلسطينيا بلا ملامح ، هذه المحاولات قد فشلت ايا كان مستواها ، سواء كان المستوى الضيق أو المستوى الشامل Macro ، بهدف تهجير الفلسطينيين من داخل الاراضي الفلسطينية . (٣١)

التعليم الجامعي وتدريب الفلسطينيين في اوروبا ودول السوق

تستأثر مشكلة التعليم الجامعي للفلسطينيين باهتمام الرأي العام الفلسطيني على مختلف فئاته ، بدءا بالافراد والعائلات ، ومرورا بالمؤسسات العامة والبلديات ، وانتهاء بالاجهزة السياسية **منظمة التحرير الفلسطينية وجامعة الدول العربية** ، وقد انصب اهتمام الفلسطينيين على التعليم الجامعي في السنوات التي اعقبت نكبة ١٩٤٨ ، بسبب حرمان الفلسطينيين من وسائل الانتاج ، التي كانوا يعتاشون منها ، ولما لم يكن بالامكان ، بأية طريقة من الطرق ، عودة الفلسطينيين الى الارتباط بدورة حياة اقتصادية طبيعية، بما كانوا يملكون من خبرات ومعارف انتاجية ، فقد اصبح التعليم – عموما – والتعليم الجامعي – على وجه الخصوص – حجر الزاوية بالنسبة للاغلبية الساحقة من الشباب الفلسطيني .

ورغم عدم توافر احصاءات دقيقة ووافية عن اعداد الطلبة الجامعيين الفلسطينيين المنتشرين في معظم جامعات الدول العالم المختلفة ، فانه يمكن تقدير عدد هؤلاء الطلبة ما بين ٤٠ – ٥٠ الف طالب جامعي ، يدرسون مختلف انواع العلوم . وهذا يعني ان نسبة الطلبة الجامعيين تتراوح بين ١٢,٣ في الالف – ١٦,٦ في الالف من مجموع السكان وهي نسبة تفوق كثيرا مثيلاتها من النسب السائدة في الاقطار العربية وبعض البلدان الاوروبية .

والملاحظة ان اكثر من ٨٥٪ من الطلبة الاردنيين في الخارج هم فلسطينيون ، ذلك لان التركيب الديموغرافي والسكاني لسكان الاردن تتراوح نسبة الفلسطينيين منهم ٦٥ – ٧٠ ٪ ، ومن ناحية اخرى – وهذا هو الاهم – فان قوة الحوافز التي تدفع الفلسطيني الى طلب العلم بالاضافة الى عامل تاريخي ذي تأثير كبير ، وهو ان فلسطين قد سبقت بقية اقطار الوطن العربي في انتشار المؤسسات التعليمية . والجدول الاتي يوضح اعداد الطلاب الاردنيين في الجامعات والمعاهد العالية الاوروبية ودول السوق حسب البلدان والجنس للسنة الدراسية ١٩٧١/٧٠ .

البلد	عدد الطلاب	عدد الطالبات	المجموع
فرنسا	١٠٥	–	١٠٥
المانيا الغربية	٣٩٦	–	٣٩٦
بلجيكا	١٢	.	١٢
اسبانيا	١٧٦٣	١٠	١٧٧٣
النمسا	١١٥	.	١١٥
تركيا	٣٠٢	–	٣٠٢

المصدر : وزارة التربية والتعليم – عمان ، قسم الطلاب في الخارج ومكاتب خدمات الجامعيين .

والملاحظ على الجدول السابق خلوه من اعداد الطلاب الاردنيين في عدد اخر من دول السوق ، مثل بريطانيا وايطاليا ، وذلك لعدم توافر الاحصائيات . اما عن التخصصات ، فأن عدد الذين يتخصصون في الدراسات العلمية من حملة وثائق السفر الفلسطينيين فتبلغ نسبتهم ٢٢,٥٪ من مجموع الطلاب

Digitized by Birzeit University Library

ومن ناحية اخرى هناك النسبة المنخفضة للاناث الجامعيات ، بالمقارنة مع الذكور ، فقد بلغ المجموع العام للجامعيات من حملة الجوازات الاردنية عام ٧٠ / ٧١ ، ٢٩٠٤ فقط ٢٧٠٣٢ هم مجموع الطلبة الجامعيين ، أي ان نسبة الطالبات الى المجموع العام تبلغ ١٢,٦ ٪ (١) ، غير ان مسألتي انخفاض نسبة المتخصصين في الدراسات العلمية ونسبة الفتيات المنخفضة الى المجموع ليستا اهم المشاكل التي يعاني منها التعليم الجامعي الفلسطيني في الدول الاوروبية ، أما المشكلة الاهم بالنسبة للفلسطينيين فهي عدم قدرة الشعب الفلسطيني وتجمعاته الاساسية على الاستفادة من هذا العدد من ذوي الكفاءات العمالية . والجدول التالي يوضح حجم الطلاب الاردنيين والمرجح ان اغلبهم فلسطينيين) والذين كانوا يدرسون في فرنسا عام ١٩٦٧ : حقوق ٢ ـ علوم ٣ ـ اداب ٦ ـ طب ٤ ـ صيدلة •

غير أن الارقام الوارده بالجداول السابقة ، برمتها ، عن اعداد الطلاب الفلسطينيين في الدول الاوروبية ـ هذه الارقام تقل كثيرا عن الارقام الحقيقية ، وقد قام ممثل منظمة التحرير لدى جامعة الدول العربية بتحديد تقريبي لعدد طلاب الضفة الغربية وقطاع غزة في الدول الاوروبية فوجد ان الرقم يقارب ٥٤٦٠ طالبا ، موزعين على الشكل الاتي .

فرنسا	١٦٦٠
المانيا	١٠٠٠
بريطانيا	٢٥٠
اسبانيا	١٣٠٠
ايطاليا	٤٥٠
تركيا	١٠٠٠
يوغوسلافيا	٨٥٠
المجموع	٥٤٦٠

وتجدر الاشارة الى ان الجزء الاكبر من الطلبة الفلسطينيين في الجامعات الاوروبية يتخصصون في مجالي الطب والهندسة والعلوم الاخرى . والقسم الاعظم من هؤلاء الطلاب الذين يدرسون في الجامعات الغربية لا يعودون الى بلادهم .

وفقد قدرت احدى الدراسات ان ٨٠٪ من الطلاب الاردنيين الذين يدرسون في الغرب لا يعودون ابدا ، ان هذه الظاهرة ليست ظاهرة خاصة الفلسطينيين ، ولكنها تتخذ حجما مثيرا بالخطر عندما يتعلق الامر بالفلسطينيين فالنقائص الموجوده في التعليم العربي بوجه عام ، وهي نقائص خطيرة يعترف بها كثير من المسؤولين والباحثين التربويين ، تنعكس بشكل مضاعف على الفلسطينيين ، فالانتقادات التي توجه الى الانظمة التربوية ، عادت تركز على عدم مواءمة هذه الانظمة التربوية لحاجات التطور ويشير الباحث الياس زين الى ان « ... التعليم العربي عامة هو وسيلة للهجرة الى الخارج وطريق لاعداد المواطنين العرب اعدادا علميا يشكل يتواءم وقطاعات الانتاج المختلفة » الياس زين ، ص ١٢٨) وعموما ، فان الطلاب الفلسطينيين من ذوي الكفاءات العلمية بصفة خاصة لا يجدون لانفسهم مجالا للعمل بعد التخرج ، ويضطرون بالتالي الى الهجرة ، كما ان حرمان الشعب الفلسطيني من الارض والوطن ترك للشعب الفلسطيني مجالا وحيدا لاستثمار مدخراته وهو مجال الاستثمار في موارده البشرية ـ كما سبق واوضحنا ـ وقدرت احدى الدراسات ان نسبة ما ينفقه الفلسطينيون على تعليم ابنائهم الى الدخل الاجمالي للشعب الفلسطيني ، تعتبر من اعلى النسب في العالم . ان الشعب الفلسطيني ينفق على التعليم الجامعي ، فقط ، لابنائه مبلغا سنويا يتراوح بين ١٢ ـ ١٨ مليون دينار ، وذلك على اعتبار ان عدد الجامعيين الفلسطينيين يتراوح بين ٤٠ ـ ٥٠ الفا ، وان الحد الادنى لانفاق الطالب الجامعي لا يقل عن ٣٠ دينارا شهريا .

واقامة مؤسسات التعليم في الدول التي يعمل فيها الفلسطينيون جعلت الفرص امام الفلسطينيين تضيق اكثر واكثر ، وقلما كان من الممكن في الماضي ان يجد الفلسطيني عملا بشهادة تقل عن الثانوية على ان الشهادة الثانوية ، اليوم ، لا تكفي وحدها لضمان العمل ، ومن هنا كان تدفق الطلاب الفلسطينيين على الجامعات العربية والاوروبية للتدريب وللحصول على الشهادات الجامعية والدرجات العلمية . وهناك ايضا ، البعثات التدريبية ، التي يعثت بها وكالة غوث اللاجئين الى المانيا الاتحادية ، كما يتضح من الجدول التالي .

البعثات الى المانيا الاتحادية من بين خريجي مراكز التدريب المهني والصناعي التابعة للانورا (١٩٦٩) الوضع الاستخدامي

Digitized by Birzeit University Library

المركز المحلي	مجمـــوع الخريجين	
مركز سيلين	١٦٣	٢٨
مركز دمشق	١٨١	١٠٣
مركز وادي السير	١٢٣	—
مركز رام ا (الفتيات)	١٥٠	١٠٠
مركز غزة	١٩٥	٤٧
مركز قلنديه	١٨٢	١٢٣
الاستخدام في الخارج	٩٤٤ مجموع المستخدمين	٤٠١ بعثات الى المانيا
٢٨	٦٦	٢٥
٢٣	١٢٦	٣١
٠	—	٣١
٣٠	١٣٠	—
٤	٥١	١
١٦	١٣٩	٢٩
١١١	٥١٢	١١٧

المصدر UNRWA

Report of the Commissiones General of UNRWA 1969-1970

ان من بين المهام التي وضعتها **وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين** على عاتقها مهمة ايجاد وظائف لخريجي مراكز التدريب المهني والصناعي ، وتقوم الوكالة ، الى حد ما ، بمتابعة ما يؤول اليه امر خريجي هذه المراكز ، وقد بلغ عدد الخريجين ٩٩٤ خريجا ، وكان وضعهم على النحو الموضح في الجدول ، وتجدر الاشارة الى ان الوكالة اوفدت ١١٧ خريجا في بعثات تدريبية من بين عدد الخريجين البالغ ٩٩٤ خريجا .

وكانت الوكالة قد بدأت بتنظيم بعثات لخريجي مراكز التدريب المهني الى مصر والدول الاوروبية الاجنبية ، منذ عام ١٩٦٢ / ١٩٦٣ ، وقد بدأت بأرسال ٣٢٧ طالبا عام ٦٢ /٦٣ الى مصر والسودان [١] ، وقد بلغ عدد المبعوثين عام ١٩٦٧ ـ ٢٧٢ مبعوثا انخفض في السنة التالية الى ٣٧ مبعوثا بسبب الحرب وتابعت الوكالة ارسال المبعوثين حتى عام ١٩٧٠ حيث اوقفت هذا البرنامج . وكان عددهم في سنة ١٩٧٠ ، ١١٥ مبعوثا ، وتجدر الاشارة انه في اخر سنتين من هذا البرنامج كان المبعوثون يرسلون فقط الى المانيا الغربية ، وهو ما اتاح للطلاب الفلسطينيين الاطلاع والعمل في مصانع ذات تكنيك صناعي متقدم جدا غير ان المشكلة تكمن في خلق ظروف عمل تتيح الافادة من هذه الخبره ، ورغم وجود احصائيات ، فانه يمكن القول ان عدد الذين عادوا للعمل في مناطق اقامتهم هو عدد ضئيل . هناك اكثر من ١٠ الاف طالب فلسطيني يلتحقون بالجامعات العربية والاوروبية ونوافع التحاق هذا العدد الكبير من خريجي المدارس الثانوية بالجامعات ، تتحصر في محاولة تأجيل مواجهة البطالة ، كما ان الفرص المتاحة للخريجين الفلسطينيين من الجامعات المختلفة يتجاوز الخمسة الاف خريج جامعي ، وهـذا العـدد يتزايـد باستمرار ، ويرى بعض الباحثين الفلسطينيين ضرورة تجميع المواهب الفلسطينية الموزعة في ارجاء العالم من اجل خدمة المجتمع الفلسطيني فكريا وسياسيا[٣٥] .

ولكن هذا الرأي يظهر ، لاول وهلة ، ان تجميع المواهب الفلسطينية على النحو السابق يعني ان هذا التجميع سيخرج كوادر للعمل في وزارة خارجية دولة اشتراكية عظمى ، فضلا عن الروح الثوريـة المثاليـة لواضـع المشروع ، فالقدرة على التخيل شيء والقدرة على فهـم خصائص الواقع الفلسطيني الموضوعي ، وقوانين هذا الواقع مسألة اخرى . فالكلمات لا تصلح للاستعمال عندما يتعلق الامر بشعب كامل يتألف من ثلاثة ملايين نسمة ، جرى تمزيق علاقات الانتاج التي كانت تحكم وجودهم . ان مشكلة الشعب الفلسطيني الاقتصادية تتلخص في اعادة الدورة الاقتصادية لحيـاة الشعـب الفلسطيني وتمكينه من بناء علاقات انتاجية خاصة به ، لخدمة الجماهير الفلسطينية .

وعموما ، فقد اتبعت **وكالة الغوث** ، منذ تأسيسها ، سياسة اعطاء عدد محدود من الطلبة الفلسطينيين المتفوقين منحا دراسية جامعية . وقد بلغ عدد الذين تلقوا مساعدة مالية للدراسة الجامعية سنة ١٩٥١/٥٠ ما مجموعه ١٤٣ طالبا ، وقد تزايد هذا الرقم ببطء ، حتى بلغ عام ٦٦/ ٦٧ فقط ٥٩٢ طالبا ، وقفز في عام ٦٨/٦٩ الى ٦٨٧ طالبا والرقم الاخير تقل نسبتـه عن ٢٪ من عدد الطـلاب الفلسطينيين الجامعيين . اما مجمـوع طلبـة الطـب

Digitized by Birzeit University Library

والهندسة في عام ٧٢/٧١ فبلغ ٤١٣ طالبا من مجموع ٦٨٧ طالبا ، اي بنسبة ٦٠٪ من المجموع ، اما مجموع طلاب العلوم ، بما في ذلك الطب والهندسة فبلغ ٥٧٠ طالبا ، اي بنسبة ٨٣٪ من المجموع . وقد بلغ مجموع المتخرجين ، بين سنتي ١٩٥٥ ـ ١٩٧٢ ما مجموعه ٢١٢١ خريجا تخصص اكثر من نصفهم ، اي ١١٥٨ خريجا، في فروع الهندسة والطب والزراعة والصيدلة، والجدير بالذكر ان اكبر عدد منهم (٤٩٢ خريجا) كان متخصصا في الطب (٣٦) .

ومساهمة الوكالة في التعليم الجامعي للفلسطينيين كانت مساهمة محدودة ، بالقياس مع الاعداد الهائلة للجامعيين الفلسطينيين . ومع ذلك فان توجيه الوكالة للبعثات باتجاه علمي يجعل لهذه البعثات اهمية خاصة ولكن التعليم الجامعي الفلسطيني يبقى مشروع استثمار فردي .

تقييم دور وكالة الغوث في تعليم الفلسطينيين :

كانت سياسة تهجير الفلسطينيين من مناطق تجمعهم وتشتيتهم في اقطار نائية بحيث يؤدي هذا التشتيت الى ابطال فعاليتهم السياسية ، كانت احدى الاعمدة الاساسية التي قامت عليها سياسة **وكالة الغوث** ، وقد ورد في تقرير المدير العام للوكالة ، عن العام ٥٩ / ١٩٦٠ ، شرح لاهداف هذه الخدمات من وراء تقديم الخدمات التي تقدمها بالصورة التالية . « بتقديم هذه الخدمات للاجئين ، تقوم الوكالة بتخفيف الالام البشرية ، وتسليم اللاجئين الشباب بما يمكنهم من متابعة حياة مفيدة ومنتجة ، بغض النظر عن المكان الذي يمكن ان يعيشوا فيه .. » ، ولكن الاماكن التي يمكن ان يعيش فيها الفلسطينيون تبقى محدودة خارج وطنهم ، وهي تزداد ضيقا ومحدوبية مع مرور الايام ، وفي وقت يتزايد فيه الفلسطينيون تزايدا يفوق المعدلات المعروفة في المنطقة ، وتصبح مجالات العمل خارج مناطق تجمع الفلسطينيين اقل حاجة لخدماتهم ، ويزداد حجم الاستثناءات عن الخدمات الهامشية في معظمها ، التي يستطيع المثقفون الفلسطينيون تقديمها مع ازدياد عدد الخريجين في المناطق التي يعمل فيها الفلسطينيون ، وهكذا ، فانه ليس من المبالغة القول ان **وكالة الغوث** « كاداة » لتشغيل الفلسطينيين ، قد استنفدت اغراضها ، لانه لا يمكن ، بحال ، ان تكفي ثلاثة دولارات في الشهر تنفق على تعليم وتطبب وغذاء الفرد الفلسطيني ، اذن فليس غريبا ان تجد **وكالة الغوث** نفسها ـ بعد اكثر من ربع قرن ـ امام طريق مسدود (٣١)

حواشي

(1) United Nations: **Statistical Yearbook** 1962 pp. 20-22
(2) United Nations: **Report of the Commissioner-General of the UNRWA from 1 July 1973 to 30 June 1974.** Supplement No 13 (A-9613) New York 1974.

(٣) جامعة الدول العربية ، الامانة العامة ، اللاجئون الفلسطينيون ، بيانات واحصاءات ص ١٤ - ١٧

(4) Thichnesse, S. G. **Arab Refuguees,** Royal Institute of International Affairs, London 1949 p. 7
(5) Untited Nations: **Report of the Economic Survey Mission of the Middle East.** New York 1949 p 22 Table 2.

(٦) راجع : « ملف النهار » (بيروت) ـ **الشعب الفلسطيني من ١٩٧٣ وراس السنة ١٩٧٤** ، ص ٧٩ .

(٧) النخبة الرائدة هي اقلية بطبيعتها ، وهي تمثل طلبة المسيرة وتتحرك وفق استراتيجية مرسومة ومعلنة

Digitized by Birzeit University Library

عن فكر واضح وعقيدة محددة ، وواضح ان هذا لا ينطبق على الفلسطينيين في دول السوق الاوروبية المشتركة كما سيأتي تقسيم ذلك في المتن .

راجع : ـ احمد عطية الله في « **القاموس السياسي** » ، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٦٨ .

ـ دكتور حسن صعب . **علم السياسة** . بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٦٦ ص ٣٩ ـ ٦٢

Fein, Lonard, **Politics in Israel,** Boston, Little-Brown, 1967

(٨) راجع : ـ المعهد الملكي للشؤون الدولية ، **بريطانيا العظمى وفلسطين ١٩١٥ ـ ١٩٣٩** .

ـ دون بيرتز ، « **الشرق الاوسط في الوقت الحاضر** » ترجمة خاصة ، نيويورك ١٩٦٣ .

(٩) راجع : احمد فراج طابع ، **صفحات مطوية عن فلسطين** ، القاهرة ، دار ومطابع الشعب . ١٩٦٦ .

(١٠) راجع : دكتور تيسير الناشف : النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين في : **شؤون فلسطينية** ، العدد ٤٨ ، اغسطس ١٩٧٥ ، ص ١٣١ ـ ١٦٧ .

(11) Safran, Nadav, **From war to war: The Arab-Israeli confrontation 1967** (New York, Western Publishing Company 1969 p 44.

(12) **Brain Drain. Middle East-** January- February 1969, Washington D. C

(13) Zahlan, A B. **Migration of Scientists and the development of Scientific Communities in the Arab World.**

(١٤) دكتور محمد ربيع . **هجرة الكفاءات الفنية** جامعة الكويت ١٩٧٢ ، ص ٧٤ ـ ٧٩ .

(15) Baldwin, Georgo B. Brain Drain or overflow in: **Foreign Affairs** Vol 48. No 2, January 1970.

(١٦) راجع : -UNESCO, Scientific Brain from developing Countries, Sc-Ws- 54, 29 February 1968.

- Thomas, Brinley, **International Migration and Economic Development** 5 Paris: UNESCO 1916

ـ دكتور الياس زين ، **هجرة الادمغة العربية** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١١٠ ـ ١١٥ .

(١٧) يعتمد التحليل في هذا الجزء من البحث على دراسة قام بها الباحث من اجل التعرف على الاسباب الكامنة وراء استمرار التجمعات الفلسطينية في العيش في المانيا الاتحادية ، ومن المرجح ان الاسباب برمتها قد ترجع الى استمرار قضية الشعب الفلسطيني بدون حل على الصعيد السياسي وهو ما يجعلهم يفضلون المعيشة ـ مع صعوبتها ـ في المانيا الغربية حيث الحياة ـ بالرغم من ذلك ـ اكثر ملائمة للعمل والانتاج واكثر هدوءا .

(١٨) راجع : ج ، وارين بتستروم ، بيترمالون : **السوق الاوروبية المشتركة** ، ترجمة وتقديم الدكتور صلاح الدين نامق ، القاهرة ١٩٦٥ .

- Kitziger, A. **The Callenge of the Common Market,** Oxford 1962.
- Emile Bevait,**Europe at Sixes and Sevens,** New York, Columbia Univ- press 1966.

(١٩) عدنان الغول : اوضاع العمال الفلسطينيين في برلين الغربية ـ تقرير ـ في : **شؤون فلسطينية** العدد ٤٧ ، يوليو ١٩٧٥ ص ٢٢٦ ـ ٢٣٢ .

(20) Shaath, Nabael, **High Level Palestinian Manpower. P. L. O** New York 1972. p, 4.

(٢١) هذا التحليل توصل اليه الباحث في دراسة اجراها من اجل التعرف على اسباب استمرار التجمعات الفلسطينية في العيش في المانيا الاتحادية .

(22) Kimche David and Bowly Dan: **The Sand Storm, The Arab Israeli War of**

Digitized by Birzeit University Library

1967. Prelude and Aften

(٢٣) عدنان الغول : **مرجع سابق** ، ص ٣٢٩ .

(24) Kuroda, Yasumasa, Young Palestinian Commandos in Political Spcialization Perspective, **The Middle East Journal,** Vol 26, No 3, Summer 1972, pp. 255-260.

(25) Hourani, Albert: **Palestine and Israel In:** La Guer, Walter (ed), The Israeli Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict, London: The Citadel press1967. pp. 373-380.

(٢٦) عبد المنعم المشاط ، **وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين في الشرق الادنى** ، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ .

(27) Dodd, Peter and Halim Barakat. **River with out Bridges a Study of the Exodus of the 1967,** Palestinian Arab Refugees. Beirut, The Institute for Palestine Studies, 1965, p. 51.

(٢٨) راجع جميل هلال ، **الضفة الغربية التركيب الاجتماعي الاقتصادي ١٩٤٨ ـ ١٩٧٤ ، بيروت** ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ١٩٧٤ (كتب فلسطينية ـ ٦٠)

(٢٩) حديث مع عمدة نابلس حمدي كنعان في **الاهرام** ، ١/٣/١٩٧٤ .

(٣٠) على محمود للاله : الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة (دراسة اجتماعية) في : **الفلسطينيون في الوطن العربي** ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ص ٣٠٠٠ ـ ١٢٠ .

(31) Gershann Carl **The Future of the Fedayeen,** in: Irving Howe and Gershmann- Israel, the Arabs and the Middle Eadt, edited 1972. Quel- rangle Book, New york Times Company pp. 224- 265.

(٣٢) مجلة **الصياد** : بيروت . نيسان ١٩٧٢ .

*المصدر :

Gregory Hederson, **Emigration of Hight Skilled Manpower from the Developing Countries,** (New York: Unitar No. 3 1970 pp. 175-176.

** المصدر : د . الياس زين ، **هجرة الادمغة العربية** . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ ص ٤٩ .

(٣٣) نزيه قوره . **تعليم الفلسطينيين (الواقع والمشكلات)** ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ابريل ١٩٧٥ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

(34) UNRWA- UNESCO Department of Education, **Statistical Year Book 1971-1972,** p. 124

(٣٥) ابراهيم ابو لغد : اورده قورة **مرجع سابق** ، ص ١٦ ـ ١٦٦ .

Digitized by Birzeit University Library

صحيفة « العرب »

شكل دخول الطباعة الى فلسطين ، منذ منتصف القرن التاسع عشر ، عاملا حاسما في إصدار الصحف ، وكانت « مطبعة دير الروم » بالقدس اول مطبعة دخلت فلسطين ، وذلك في عام ١٨٥٢[١] . وقد ظهرت أول صحيفة في العام ١٨٧٦ ، حين أصدرت السلطات التركية في القدس صحيفتي « القدس الشريف » و « الغزال » ، الأولى باللغتين العربية والتركية ، والثانية بالعربية فقط ، وكانت تنشر الفرمانات ، والأوامر الرسمية[٢] ، وفي العام ١٩٠٩ صدرت صحيفة « باكورة جبل صهيون » الشهرية ، عن مدرسة صهيون ، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى ، ١٩١٤ ، كان في فلسطين ٣١ صحيفة[٣] ، وبعد هبة البراق تنبه الجميع لدور الصحيفة ، وأهمية الرأي العام ، مما نفع الصحافة خطوات ملحوظة الى الأمام ، إلا انها لم تكن « السلطة الرابعة » أو « صاحبة الجلالة » ، وذلك لفقدان الحرية في العهدين العثماني والانتدابي ، حيث جعل الأخير القوانين العثمانية نافذة المفعول في عهده ، وقد ظل أمر تنظيم الصحف مناطا ، حتى العام ١٩٢٧ ،

بقسم التحقيق مع المجرمين التابع للبوليس الفلسطيني ، الذي كان يتابع ما ينشر . وفي العام ١٩٢٨ أنشىء مكتب مؤقت في السكرتارية العامة لحكومة الانتداب البريطاني في فلسطين تراسه موظفان من نفس السكرتارية لمتابعة الشؤون الصحفية ، ولم تستحدث وظيفة « مدير المطبوعات » الا في العام ١٩٣١[٥] . وفي عام ١٩٣٣ صدر قانون المطبوعات رقم ٣ ، وهو يقضي بتعديل ، وتوحيد القوانين المتعلقة بطبع ونشر الجرائد ، وغيرها من المطبوعات ، وتنظيم تسجيل الكتب ، واقتناء الطابع ، وقد أصدره المندوب السامي لفلسطين ، وقد تضمن ٣١ مادة ، تهدف الى تكبيل حركة الطباعة ، وتكبل سير الصحافة[٦] ، وأجازت المادة التاسعة عشر منه « للمندوب السامي أن يأمر بانذار صاحب ، أو محرر جريدة ، أو كليهما ، لنشر اية مواد في تلك الجريدة من شأنها ، في رأيه ، ان تجعل الطمأنينة العامة في خطر ، وبأخطاره اذا استمر على نشر مثل هذه المواد ، فانه ينظر في المجلس التنفيذي في أمر تعطيل الجريدة ، بمقتضى أحكام هذا القانون[٧] » . وبالرغم من ذلك ، فقد ظهرت الصحف الفلسطينية اليومية ، والأسبوعية ، بمظاهر وطنية قادرة على التعبير ، والانتشار بين الجماهير ، وشكل الصحفيون الفلسطينيون شريحة وطنية متقدمة مناهضة للصهيونية والانتداب ، ولعل صحيفة « العرب » من تلك الصحف الفلسطينية التي تمكنت ، خلال فترة نشاطها ، من تكوين مدرسة فكرية سياسية ، ساهمت في إرساء قواعد ثابتة في مناهضة الانتداب والصهيونية ، في آن معا ، ولئن اعتبرها بعض الدارسين (لسان حال حزب الاستقلال العربي في فلسطين) لاعتبارات ابرزها ، أن صاحبها عجاج نويهض ، وهو أحد مؤسسي حزب الاستقلال العربي ، ومعظم اقلامها كانت من هيئة الحزب المركزية ، أو انصارها ، الا انها ، في الحقيقة ، كانت صحيفة مستقلة ، لعبت دور المنبر لحزب الاستقلال العربي ، الا انها لم تكن لسان حاله[٨] ، أو أحد مؤسساته . وكانت تطبع ١٥٠٠ نسخة من العدد الواحد[٩] ، وتوزع في معظم البلدان العربية . وخصصت « العرب » صفحتها الأولى لعرض المستجدات السياسية أسبوعيا ، وحملت هذه الافتتاحية عنوان (حصاد الأسبوع) . وكانت الأولوية ، دوما ، لبيانات الحزب ، ولنشاطاته عند وقوعها[١٠] . ولمعالجة المشكلات القومية العربية[١١] . والوطنية عن الخط القومي العربي العام ، وقد كان للعرب مساجلة معروفة مع (الخديوي) عباس حلمي[١٢] ، بهذا الشأن .

العرب ، والخديوي عباس حلمي

نشرت « العرب » ، في عددها الخامس عشر ، مقالا مطولا حمل عنوان (اللعب الفاشل على مسرح

Digitized by Birzeit University Library

السياسة العليا . الخديوي عباس حلمي البارحة واليوم ، افضحت فيه موقف الخديوي عباس من القضية العربية ، وكشفت الحقائق عن تدخله في المسألة الفلسطينية ، وقد كانت « العرب » السباقة في هذا المجال ، حيث تعرضت لتاريخ الخديوي عباس السياسي منذ البدء ، وموقفه المعادي للقضية العربية ، عند نشوب الحرب الطرابلسية سنة ١٩١٢ ، ومناصرته لايطاليا ضد العرب ، وموقفه من السودان ، ودعوته المصريين الى ترك السودان لانكلترا ، ومعاداته للجامعة الاسلامية . وقالت « العرب » في مقالها « امتاز عباس حلمي باشا في كل أدوار حياته ، بأنه طماع كبير ، الغاية عنده تبرر الواسطة ، ولو كان المهدور في سبيل غايته بلادا بأسرها ، أو أمة عن بكرة أبيها ، أو مصلحة اسلامية مقدسة »(١١) . وقبيل وصول عباس حلمي الى فلسطين ، في كانون الثاني ١٩٣٣ ، تعرضت « العرب » لمغامرات عباس حلمي في الشرق العربي(١٢) ، وعزت سبب مجيئه الى فلسطين لسببين ، استنادا لمعلومات وصفتها بأنها (موثوقة المصدر) ، وهما . سبب مالي يقوم على فتح بنك فلسطيني ـ حجازي ، برأس مال قدره مليون جنيه ، يدفع الخديوي نصفها ، وتشترك حكومة الحجاز بمايتي الف جنيه ، وتشترك كل من فرنسا ، وايطاليا ، وانكلترا بماية الف جنيه ، وتكون مدينة القدس مركزا لهذا البنك ، وله فروع في فلسطين ، وشرق الأردن ، والحجاز . وهنالك سبب آخر وهو سياسي ، وينحصر في محاولة عباس حلمي ، الوصول الى عرش احد الاقطار العربية . ولئلك اما أن يكون عرشا سياسيا في فلسطين ، أو سوريا ، واما أن يكون عرشا دينيا باسم الخلافة في الحجاز ، بعد استمالة ابن سعود ، عن طريق المساعدات المالية ، وقد اطلع عباس حلمي على ما كتبته « العرب » ، ولم يفهم منه سوى أنه تجريح لشخصه ، وامتهان لكرامته ، مما استدعى « العرب » الى ان تخصص مقالها الافتتاحي في عددها العشرين(١٣) لهذا الغرض ، وكتبت . تحت عنوان (كلمات لا ليس فيها ولا إبهام) تقول . (ان « العرب » لم تخلق لمس كرامات الناس ، وليس من غاياتها التعرض للأشخاص من حيث أفكارهم ، وأفعالهم الخاصة ، وانما خلقت من أجل الدفاع عن حرية البلاد العربية ، واستقلالها ، ووحدتها)(١٤) ، وحثت « العرب » الخديوي على ان يكف عن تصرفاته المنافية للمصلحة القومية ، والتوقف عن التصريح (المشحون بالزلفى الى الانكليز تارة ، والى اليهود طورا)(١٥) . وعندما فقط سيتغير موقف « العرب » منه . الا ان الخديوي استمر في غيه ، وأوصل الأمور بينه وبين « العرب » لدرجة الأزمة القانونية ، والقضائية ، وترافع ضدها أمام المحاكم الانكليزية وقد تحدد يومي ١٤ و١٥ آذار ١٩٣٣ موعدا للنظر في دعوى الخديوي على « العرب » ، امام القاضي البريطاني(١٦) ، ثم تأجلت الدعوى ، وتم النظر فيها يومي ٣ و٤ نيسان ١٩٣٣ عبر جلستين(١٧) ، وغصت قاعة المحكمة بجمهور غفير من الوطنيين من مختلف انحاء فلسطين ، اضافة لمراسلي الصحف العربية ، والعبرية ، وقد قرر القاضي البريطاني ، وفقا للأصول القانونية ، مثول المشتكي في المحكمة للادلاء بشهادته ، ولعدم مثول عباس حلمي في المحكمة ، أجلت الدعوى ، وكان المحاميان عوني عبد الهادي ، وعمر الصالح البرغوتي يتوليان الدفاع عن صاحب « العرب » ، وحدد يوم ١ نيسان ١٩٣٣ موعدا للنظر في الدعوى ، حيث بذل محامي عباس حلمي ، فايز حداد ، جهودا مضنية لادانة « العرب » ، الا أنها انتهت الى الفشل الذريع ، وترك هذا الفشل ، اثرا عميقا في نفس عباس حلمي لم ينسه ، وحاول بحث القضية من جديد ، بعد مضي عشرة أشهر ، على رد دعواه امام القضاء البريطاني ، فقام باستئناف دعواه في المحكمة المركزية ، بصفتها محكمة الاستئناف ، فقررت فسخ الحكم ، وطلبت في قرارها من حاكم الصلح الأعلى كراسل ، أن يعيد المحاكمة من جديد ، أو اتخاذ الاجراء الذي يراه مناسبا ، وهكذا ، أجريت جلسة للمحاكمة الجديدة ، يوم ٥ آذار ١٩٣٣ ، وحضر محامينا الدفاع عن « العرب » عوني عبد الهادي ، وعمر الصالح البرغوتي ، ووكيل المشتكي فايز حداد ، وشهود من مختلف انحاء فلسطين ، ومراسلي الصحف ، وبعد أن قرأ القاضي كراسل قرار فسخ الحكم الصادر عن المحكمة المركزية ، وبين ملحوظاته عليه ، وقف عوني عبد الهادي ، وجعل يجول جولات شائقة حكيمة ، بقة وحنق باللغة الانكليزية ، وقال يجب رد الدعوى لأن المحكمة المركزية الموقرة ، كما يستفاد من قرارها ، وافقت على نظرة القاضي من حيث عدم انطباق الدعوى على المادة ٢١٤ من قانون الجرائد »(١٨) ، وحسما للمسألة ، اقترح القاضي على الفريقين بأن يقدم كل منهما لائحة يضمنها نظرته ، ثم يدرس هو وجهتي النظر . وقد استمرت الجلسة ، زهاء ساعتين ، واختتمت بنكتة لطيفة من القاضي والابتسامة على شفتيه ، فقال . على سمو الأمير المشتكي أن يدعونا جميعا بعد أن شغلنا الوقت الطويل الى وليمة فاخرة »(١٩) . وهكذا ، انتهت محاولة عباس حلمي إرهاب « العرب » ، عن طريق القضاء البريطاني في فلسطين ، الى قوة معنوية « للعرب » ، وسببا في شيوعها .

وبذلك غدت « العرب » صحيفة قومية العمق ، وطنية المظهر ، حملت لواء الوطنية ضمن الاطار القومي العربي ، وحرصت على وحدة الشخصية العربية الواحدة ، مدينة التجزئة التي وصل اليها

Digitized by Birzeit University Library

العرب ، حيث أصبح « العراقي غير السوري الداخلي ، وهذا غير الساحلي ، وهذان غير القلسطيني ، وصارت المعاهدات تعقد بين قطر حجازي نجدي ، وقطر أردني ، على يد الأجانب ، وظاهر هذه المعاهدات الخير والصداقة ، وحسن الجوار ، وباطنها التكبيل بالقيود ، والعذاب »[٢٠] . وهذا ما حاولت « العرب » ازالته ، فبالاضافة لاقلام[٢١] الهيئة المركزية لحزب الاستقلال العربي في تحرير مجلة العرب ، فقد شاركت بعض الأقلام العربية المعروفة بولائها القومي ، مما اعطى المجلة شيوعا عربيا واسعا ، وانفتاحا كبيرا على مشاكل الوطن العربي ككل ، وقد كان ابرز هذه الاقلام : عزت الأعظمي ، نجيب الحكيم ، سعيد ثابت ، شكيب ارسلان ، كامل القصاب ، عبد الرحمن عزام ، توفيق دياب ، محمد صبحي ابو غنيمة ، محمد الحسيني ، محمد الشريعي ، مصطفى الرشيد ، احمد سواح ، هاشم الاتاسي ، فؤاد الخطيب ، محي الدين القليبي ، امين ناصر الدين ، عبد المسيح وزير ، مسعود عالم الندوي ، فالأس المصري ، محب الدين الخطيب ، احمد حسن الزيات ، اسعد داغر ، خليل الخالدي ، اللواء بكر صدقي ، وعبد المحسن الكاظمي .

الأساليب الصحفية في مجلة العرب

جاءت الأساليب الصحفية « للعرب »متنوعة ، متحركة ، وتتحلى بالصفة النقدية الساخرة ، ولعل اكثرها استحداثا وطرافة هو (برلمان بورتاتيف) ، وهو أسلوب صحفي يشبه في بعض نقاطه أسلوب عبد الرحمن الكواكبي في كتابه ام القرى ، وقد تم افتتاح هذا البرلمان الوهمي في الخامس عشر من تشرين الأول ١٩٣٢[٢٣] ، وشارك في حفل الافتتاح نواب عن جميع أنحاء فلسطين ، وأوضح نائب القدس مهمة البرلمان ، وطبيعته ، في حفل الافتتاح فقال : « أيها السادة ان برلماننا هذا ليس كبرلمان صدقي باشا المزيف في مصر ، ولا كالمجلس النيابي في دمشق المعجون من (النخالة) و(التعاون النزيه) ، ولا كالمجلس النيابي في الجمهورية اللبنانية المحال على المعاش والتقاعد . ان برلماننا هذا هو من الشعب ، وللشعب مباشرة ، نوابه لا عن طريق (المنتخب الثانوي) ولا عن طريق (اللجان الانتخابية) ولا عن طريق (الصناديق) والشمع الأحمر ، والأسود ، وجداول أسماء المنتخبين ، ان برلماننا هذا شعبي محض . من الأمة وللأمة ، هو من صلب الشعب ، وقلب البلاد ، وضمير الوطن . هو برلمان بلا وسيط ولا (سمسار) ولا (كمسيونجي) على الاطلاق »[٢٣] . واما عن مفهوم بورتاتيف فقال : « اننا نحن نواب الأمة ، نعقد هذا البرلمان في أي مكان كان ، في تشرين أو نيسان ، لا ننتظر حلول الثورة البرلمانية ، ولا صدور المرسوم الملكي ، أو الجمهوري ، أو أمر المنتوب ، أو المفوضية ، لأن ليس على الأمة مسيطر غير ارادتها »[٢٤] . وعقد هذا البرلمان بعد افتتاحه ، سبع عشرة جلسة منتظمة[٢٥] ، ثم أخذ البرلمان يعقد جلسات متفرقة لمعالجة الموضوعات السياسية الملحة آنذاك . وكانت أبرز موضوعات البرلمان في جلساته المنتظمة التالية .

- هل المحامين العرب خوارج ؟ ! ناقش فيه موضوع المحامين العرب ، وميل بعضهم للتعامل مع الانتداب :
- ضرورة وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين :
- موضوع الأمن ، والمطالبة بالغاء مهمة الجواسيس :
- طلب الغاء « الأعشار » :
- المطالبة بالحريات الديمقراطية :
- الخديوي عباس حلمي ، وتواطؤه مع الانتداب والصهيونية :
- الأوضاع السياسية في الأقطار العربية :
- اللاتعاون .

أما الجلسات الخارجة عن إطار الجلسات المنتظمة ، فقد خصصت لموضوعات سياسية ذات مساس مباشر بالأوضاع التي كانت قائمة في البلاد ، ماتذاك ، وكان أبرزها :

- دراسة الأوضاع الصحفية في فلسطين عن طريق : - استحضار ارواح الصحف[٢٦] في فلسطين ، حيث تم استحضار روح جريدة الكرمل[٢٧] ، وروح جريدة الجامعة الاسلامية[٢٨] :
- معالجة مسألة شرقي الأردن ، والأطماع الصهيونية بها ، وتواطؤ بعض الشاتيج معها :
- معالجة مسألة وادي الحوادث[٢٩] .
- وحدة سوريا الشمالية ، والجنوبية[٣٠] .

وتمت معالجة هذه المواضيع من خلال الحوار الساخر ، وباسلوب شيق ، وباللهجة العامية غالبا : مما أعطى هذه الزاوية بعدا شعبيا ، وانتشارا بين جماهيريا ، التي وجدت بها النكتة السياسية اللاذعة ، والنقد عن طريق الحوار الساخر ، والخيال الممتع ، والذي من خلاله ، تمت تهيئة الأوضاع الفكرية ، والسياسية ، والنفسية للثورة على الانتداب والصهيونية ، والتنبه للثغرات القائمة في تلك الأيام ، وكشف النقاب عن المحاولات الانتدابية ، والصهيونية وتواطؤ بعض العرب معها .

ولعل أطرف ما تخيله أحد اعضاء (برلمان بورتاتيف) هو وقوف أحرار الانكليز في لندن أمام حاكم الصلح العربي الأعلى سنة ١٩٩٩[٣١] ، في

Digitized by Birzeit University Library

وقت كانت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، فقد حلم أحد النواب أن العالم قد تغير ، فالشرق حاكم والغرب محكوم بواسطة الانتداب العربي ، المسيطر على أسواق العالم التجارية ، والجيش العربي ، يحتل بلاد الانكليز كلها ، وعندما يقاطع (النائب الحالم) من قبل نائب ماخر ، يعترض النواب الاخرون قائلين « يجب أن لا يقاطع الحلمان ابدا »(٣٢) ، كناية عن شروعية الحلم الاستقلالي العربي .

اما الأسلوب الثاني في مجلة **العرب** ، فكان حديث **ابو الفتح المقدسي** ، وكان (هذا الحديث يساق كل اسبوع من أبي الفتح المقدسي ، الكاتب الملثم)(٣٣) ، يتناول فيه مواضيع شتى ، تختلف باختلاف المستجدات السياسية في البلاد . فقد يكون الحديث « اضمامة من الورد تارة ، ومن الأشواك طورا ، لأن الحوادث هي التي تملي ، وهي متنوعة مختلفة ، فلون كل ملحوظة مأخوذ من واقعها او معناها»(٣٤) . وغالبا ما لجأ الحديث الى عرض حقائق ، ووقائع ترمز الى معاني ، ووقائع فلسطينية ، وعربية مشابهة لما هو قائم انذاك ، مما يسهل اكتشاف المعنى الرمزي الذي يرمي اليه الكاتب ، واحيانا يلجأ الحديث الى التصريح المبسط الواضح ومثاله (لجنتا التنفيذية ـ لمحة تاريخية) ، فقد قال أبو الفتح معرفا بها « ان شئت فهي اللجنة التنفيذية العربية للمؤتمر الفلسطيني او العربي الفلسطيني السابع ، مرمقه المؤتمرات على الاطلاق ، ولدت خرساء ، عمياء ، بيد شلاء ، واحسن ما أنكر من الوصف لها قول إحدى صحفنا الوطنية ، انها . قطيع من الماشية البشرية »(٣٥) ، واحيانا أخرى يلجأ الحديث للرمز مثال ما ساقه ابو الفتح قائلا « لما كان العرب في الصدر الأول اهل قوة ، وبأس ، وفتح ، وسلطان وملك وجيوش كان العربي يخاطب أمير المؤمنين على ملأ من الناس بيا ابا بكر ، ويا عمر ، فلما فقد العرب استقلالهم ، ضعفت نفوسهم ، وقلت الانفة ، وصار الناس يقتادون الالقاب »(٣٦) ، وكان أبو الفتح المقدسي يختار العنوان الجذاب ، والخبر الناقد لزاويته ، فقد أورد عنوانا مثيرا لحديثه في العدد الخامس(٣٧) من مجلة **العرب** ، وكان (طيار اردني لا جو له !) ، عن خبر مفاده (علمت ان احد شبان شرقي الأردن عاد من أوروبا حاملا شهادة عالية في الطيران من اسبانيا وفرنسا ، وقد عرض هذا الشاب خدمته على سمو الأمير **عبد الله** ، فوعده سموه بمكاتبة العراق لعدم وجود مراكز للطيران تابعة لحكومة شرقي الأردن ! ... التعليق يشوه محاسن هذا الخبر »(٣٨) .

نظرات سائح في الصحف(٣٩)

وهي زاوية نقد صحفي ، لما تورده بعض الصحف العربية ، والفلسطينية ، وتصحيح اخطائها والتعليق عليها ، فعندما نشرت الصحف الدمشقية خبرا مفاده بأن نادي معاويه الرياضي ينوي القيام برحلة الى فلسطين ، ليتبارى مع فرقتين صهيونيتين هما (الهاعوبيل) و(الحمشوناي) ، أوردت « **العرب** »(٤٠) هذا الخبر ، وعلقت عليه بقولها : « انتم يا شباب العرب ؟ ! الذين أخرجتم **بلفور** من دمشق ، بوزارها ، فحميت انوفكم ، وضاقت جهوتكم ، وأبيتم الا إخراجه من العاصمة فأخرجتموه ، والسلطة تحميه بالحراب » . وبعد نشر التعليق ، عدل فريق معاوية عن المباراة ، يوم ١٤ ايلول ، وقام باخبار **العرب** بذلك ، بريديا . كما تناولت هذه الزاوية ، ما تكنه الصحف الفلسطينية حول **حزب الاستقلال العربي** في فلسطين ، إلا انها لم تنزلق الى المهاترات الاعلامية ، وظهر ذلك عندما أوردت الصحف الفلسطينية « ما كتبته الصحف الصهيونية ، والأجنبية حول **حزب الاستقلال** ، ويظهر أن بعض الصحف يريد ان يجعل بين ظهور الحزب ، وبين سياحة **الملك فيصل** ، وحركة الاتحاد السوري ـ العراقي ، والمؤتمر العربي رابطة قوية(٤١) ، فاكتفت « **العرب** » بالتوضيح ، كرد على ما ورد في بعض الصحف ، وبينت في توضيحها حقيقة أسباب ظهور الحزب وقالت « ان تكوين الحزب ، وظهوره في فلسطين ، انما هو وليد حاجة ماسة في فلسطين نفسها ، مع العلم ، بأن قضية الاستقلال العربي قضية عامة مشتركة في جميع الأقطار العربية ، ومع العلم ، ايضا ، بأن الذين عملوا على تكوين الحزب كانوا ينتوون ان يخطوا خطوتهم هذه منذ اربع سنوات على الاقل ، اي قبل المؤتمر الاسلامي ، والمؤتمر العربي ، ودعوة الاتحاد السوري ـ العراقي »(٤٢) .

ومن الزوايا الثابتة ، والمتسقة مع سياسة **حزب الاستقلال العربي** ، هي زاوية (بلاد العرب) ، والتي داب على كتابتها مجموعة مراسلين « للعرب » ، من مختلف الاقطار العربية ، دون استثناء ، وقد عالجت هذه الزاوية القضايا العربية من منظور قومي ، وكشفت عن الحقائق في الاقطار العربية . وكانت ميدانا مفتوحا للاراء الاستقلالية ، وتمكنت من تحقيق الهدف العربي الذي رمت اليه المجلة(٤٣) .

فتح باب الاكتتاب الوطني : وقد فتح هذا الباب لاعانة مجاهدي سوريا في الصحراء ، وكانت

Digitized by Birzeit University Library

مجلة **العرب** تقوم بنشر قوائم بأسماء المتبرعين ، ومبالغ تبرعاتهم ، والحض على التبرع ، وشرح ظروف ابناء الصحراء في وادي السرحان بسورية ، وما وصلوا اليه من حالة اقتصادية منهارة ، بعد كفاحهم الطويل مع الانتداب الافرنسي ، وفي سياق حض « **العرب** » على ضرورة التبرع لابناء الصحراء قالت : « اذا كنت ايها العربي بارا بعروبتك ، مخلص للعقيدة في وطنيتك ، فاذكر ان في وادي السرحان رجالا كانوا البارحة يسكنون المدافع المتلعلعة الأصوات »(٤٤) أما اليوم « فاذا اصطف المجاهدون صفا واحدا في وادي السرحان ، وأمامهم طفل يصرخ من الجوع ، لعجزوا كلهم عن اسكاته ، لأن الجوع اشد عليهم من عليهم ذاك بالأمس »(٤٥) . وقد قامت هذه الحملة بتأجيج المشاعر القومية العربية ، وساهمت في حل ازمة اطفال الصحراء السورية ، ومجاهديها ، مما حدى بهم لارسال رسالة « **للعرب** » عن طريق معتمد اللجنة العليا في البنك لاعانة أطفال الصحراء ، **قاسم ابو خير** » ، تضمنت الشكر والتحية الخالصة « **للعرب** » ، ولكل من أسهم في هذه الحملة الوطنية الانسانية(٤٦) .

الزوايا النقدية المتحركة : وهي مجموعة زوايا غير ثابتة في « **العرب** » ، وقد امتازت بتشويقها ، وقصرها ايضا ، وتنوعها واختلاف مواضيعها . وقد كان أبرزها : (١) « صور وقائع بلا رتوش على المكشوف ، على المكشوف »(٤٧) وقد خصصت لتعرية ثور بعض الناس من المخربين ، والجواسيس الذين يعملون لمصلحة الانتداب البريطاني ، عن طريق تسريبهم الى الأحزاب الوطنية ، **وقد وصفت هذه الزوايا السمات العامة** لهذه الشخصيات وأساليبهم في التزلف ، والتقرب من المسؤولين الوطنيين بشكل دقيق (٢) « يعجبني ولا يعجبني » ، وكانت توقع باسم (ناقد الناس) ، وخصصت لاظهار المفارقات العجيبة في المجتمع ، وبين الناس ، وشدة اختلاف مواقفهم بشكل مزلٍ :(٤٨) ٣) « **صور بشرية** » ، وهي مجموعة أحاديث من الحياة ، تريك الناس عراة مجردين ، يبدون لك بحقائقهم التي يسترونها تحت ثياب الكذب والرياء(٤٩) : ٤) « **ومضات** » ، وهي عبارة عن اضاءات سريعة على بعض الثغرات في الحياة السياسية الفلسطينية ، والعربية ، تكشف العيوب ، ولعل ومضة (بصفته الشخصية !)(٥٠) ، كانت من أبرز الومضات التي عرضتها « **العرب** » ، وهي تصور حالة الفصام بين الفكر والعمل عند بعض القادة ، والمسؤولين ، تقول هذه الومضة ان « ما يستدعي السخرية ، قول عضو في هيئة وطنية ، او رئيس للجنة قومية ، حين يأتم في حق بلاده ، او يجترح جريحته ، انه انما فعل تلك باسمه الشخصي ، لا بصفته عضوا في تلك الهيئة ، او رئيسا لهذه اللجنة »(٥١) : « انه لم يبر انه المسؤول عن كل حركة من حركاته ، وانه ليس للانسان الا صفة واحدة ، هي صفة الوطنية(٥٢) » : ٥) « **بالمخرز الرفيع** » ؛ وكانت تتعرض لبعض الظواهر الشاذة في المجتمع ، وتنتقدها نقدا لاذعا ، تحت عناوين متناقضة جذابة مثل (العادات الاسلامية ، والسياسة البريطانية(٥٣)) ، وكانت هذه الزاوية توقع باسم (سروجي) : ٦) « **دكتاتور** » ؛ وهي زاوية نقدية ، أيضا ، يكتبها (درويش) ، ويتعرض من خلالها ، للممارسات الشاذة في المجتمع ، ويطالب بمعاقبتها من قبل الشعب(٥٤) .

ومن الأساليب الصحفيه « **للعرب** » ، اللجوء الى اسلوب المسابقة السياسية الملتزمة ، حيث كانت « **العرب** » تطرح اسئلة محددة حول مسألة سياسية معينة ، وكانت جائزة الفائز ، هي الاشتراك المجاني في مجلة « **العرب** » ، لمدة عام ، فبعد ان أقام المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، في نهاية كانون الأول ١٩٣٢ ، مأدبة عشاء تكريما لريستو روس ، المستشرق الانكليزي في دار الانتداب البريطاني ، طرحت « **العرب** » على قرائها مسابقة تتضمن ثلاثة اسئلة .

أ ـ ما هي اسماء الذين تلقوا دعوة المندوب السامي ؟!

ب ـ ما هي اسماء الذين لبوا هذه الدعوة ؟!

ج ـ ما هي اسماء الذين اعتذروا عن تلبيتها ؟!

واشترطت « **العرب** » وصول اجوبة المتسابقين من القراء ، قبل مساء ١٢ كانون الثاني ١٩٣٣ ، وان تكون ورقة الأجوبة متضمنة التوقيع الصريح ، والا فانها ستهمل(٥٥) .

اسلوب القصة السياسية : وكانت « **العرب** » تقوم بنشر قصة قصيرة ملتزمة في كل اسبوع ، وذلك لمعالجة مسألة من المسائل الوطنية الملحة انذاك ، ويمكن القول بأن هذه الزاوية الأدبية ، قد عالجت معظم القضايا الوطنية بشكل ادبي مناسب ، خاصة مسألة الأراضي ، ولعل اوضح قصة نشرت في هذا الموضوع قصة « السمسار(٥٦) » ؛ وقد اختار الكاتب حميدان الزرعيني بطلا لها ، اذ أن حمدان بدأ حياته انسانا وطنيا طيبا ، تعلم القراءة والكتابة ، وداب على شراء الصحف والمجلات ، وقراءتها ، حتى اصبح مستشارا لأهله ، وعشيرته في الشؤون السياسية ، والاقتصادية ، الى ان داخله الغرور ، وبدأ في اهمال زراعته ، وارضه ، واخذ يسابق في دخول

Digitized by Birzeit University Library

المؤتمرات ، والتنافسات السياسية ، حتى ساءت احواله الاقتصادية وتراكمت الديون عليه ، وخلال أزمته هذه تعرف على (الخواجه خانكيه) وهو السمسار الصهيوني ، فاتنح صديقه الجديد حميدان ، بأن يبيع ارضه ، ويفك ازمته الاقتصادية ، وهذا ما فعله حميدان الذي أخذه الطمع ، فتحول الى سمسار أراضي ، يقوم باقناع الفلاحين ليبيعوا أراضيهم ، وفجأة ، وبعد سماعه بانتحار (ميثاء وابنتها) بعد ان خسرتا ارضهما بعد بيعها لليهود عن طريق حميدان ، ووصول حالتهم الاقتصادية الى درجة العدم ، يصحو ضمير حميدان ، فيؤنبه ، ويشعر بأنه هو السبب في انتحار ميثاء وابنتها ، وهو السبب في ضياع الأراضي ، والمزارع ، فيدخل غرفته ، ويتناول قلمه ، ويكتب . « لقد وهبت جميع ما املك من اموال منقولة ، وغير منقولة الى جمعية انقاذ الأراضي ، وهو اقل ما اقدمه ، تكفيرا عن سيئاتي ، وأوصي كل عربي ان لا يلين في الله ، والوطن ، ويعتقد ان أساس الداء هم الانكليز الذين خلقوا وعد بلفور(٥٧) : ثم يأخذ حميدان مسدسه ، ويطلق منه طلقة على رأسه ، وبالرغم من أن هذه القصة تشابه بقية قصص « **العرب** » **من حيث عدم استيفاء الشروط الفنية للقصة القصيرة ، اذ ان الخطابة تأخذ مجراها داخل القصة ، الا انها في بعض وجوهها ، تعبر عن الواقعية في الأدب كمنهج فني في نقد الواقع ، وتعريته واظهار عيوبه ، ومحاسنه ، ورسم اتجاه التغيير عن طريق الخيال ، وبذلك فان البرغوتي حاول ، من خلال قصصه القصيرة ، في « العرب » ، تصوير الواقع ، والتحريض من اجل تغييره ، باتجاه تحقيق الاستقلال الوطني .**

حواشي

(١) العقاد ، محمد خليل . **الصحافة العربية في فلسطين** . دمشق . دار العروبة للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ص ١٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣) ياسين عبد القادر . (الصحافة العربية في فلسطين والحركة الوطنية) . مجلة **الفكر** (تونسي)، ٧ (نيسان ١٩٧٧) . ١٣٤ ـ ١٥٨ .

(٤) وكان أهمها .

ـ نظام المطبوعات العثماني ، المؤرخ في ١٩٠٩/٧/٢٩ .

ـقانون المطبوعات العثماني ، المؤرخ في ١٩١٢/٣/٢٢ .

وقد اشتملت على قيود النشر ، ومواد العقوبات ، والأحكام الجزائية المتعلقة في القدح والذم ، ومواد اخرى متفرقة خاصة بالصحافة والنشر .

• ـ خوري ، يوسف . **الصحافة العربية في فلسطين** ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨ . بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٦ ، ص ١٥٤ ـ ١٧١

(٥) ياسين ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٤١ .

(٦) خوري ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٧٢ ـ ١٨٣ .

(٧) خوري ، **مرجع سبق ذكره** ، ص ١٨٢ .

(٨) مقابلة مع عزة دروزه ، دمشق ، ٢٦ آذار ١٩٧٩ . ومقابلة مع **عجاج نويهض** ، بيروت ، ٤ حزيران ١٩٧٩ .

(٩) ن . م ، مقابلة عجاج نويهض .

(١٠) يوم صلاح الدين ، وحطين في حيفا ، مجلة **العرب** ، العدد . ٢ : ص ١

ـ حزب الاستقلال العربي ، ويوم احتلال القدس ، مجلة **العرب** ، العدد . ١٦ ص ١

Digitized by Birzeit University Library

ـ نداء من حزب الاستقلال العربي الى ضمير كل عربي في فلسطين مجلة **العرب** ، العدد . ١٩ ص ١

ـ كلمة الحزب في جواب المندوب السامي ، مجلة **العرب** ، العدد . ٢٧ ص ١

ـ قدوم اللنبي ، ومهرجان الحزب ، وقرار المجتمعين ، مجلة **العرب** ، العدد . ٣٣ ص ١ ـ ٢

ـ حزب الاستقلال يستنكر السياسة البريطانية ، والظهير البريطاني ، مجلة **العرب** ، العدد . ٣٧ ص ١

٨ يوم الشهداء في عكار ، ومهرجان الحزب ، مجلة **العرب** ، العدد . ٤١ ص ١

ـ نداء الحزب لاغاثة عائلات الشهداء في العراق ، مجلة **العرب** ، العدد . ٥٠ ص ١ .

(١١) المؤتمر العربي العام ، اللجنة التنفيذية لم تقرر شيئا بعد !. مجلة **العرب** ، العدد . ٢ ص ١

ـ حركة التحول السياسي في البلاد العربية ، مجلة **العرب** ، العدد . ٧ ص ١

ـ الأمة العربية تجزأت اقطارا ولكنها توحدت شعورا . مجلة **العرب** ، **العدد : ٩ ص ١**

ـ القدس . دمشق . بغداد . عسير . مجلة العرب ، العدد ١٨ ص ١

التشكيلات الوطنية في فلسطين ، وخلق حركة عربية عامة في الأقطار العربية . مجلة **العرب** ، العدد . ٢٦ ، ص ١ ـ ٣

ـ كلمة تلغرافية صريحة الى اخواننا في العراق وسوريا ونجد واليمن خاصة والى الناطقين بالضاد في الشارق ، والمغارب عامة . ج ١ مجلة **العرب** ، العدد . ٣٤ ص ١ ـ ٣ . ٣٦ . ج ٢ ، ص ١ . ٣٨ ، ج ٣ . ص ١

ـ العرب الضائعون ، وقضاياهم الضائعة . مجلة **العرب** ، العدد . ٣٩ . ص ١

ـ تراكم الانقلابات العظيمة في العالم العربي اليوم ، مجلة **العرب** ، العدد . ٥٩ ـ ٦٠ . ص ١

ـ حديث مستفيض في الشؤون العربية الحاضرة . مجلة **العرب** ، العدد . ٦١ ـ ٦٢ . ص ١

ـ ماذا يكون مصير العرب لو وقعت حرب عامة ؟! مجلة **العرب** ، العدد . ٦٧ . ص ١

ج ٢ مجلة **العرب** ، العدد . ٦٨ . ص ١

وقد استشرفت « **العرب** » في مقالها الأخير ، (ماذا يكون مصير العرب لو وقعت حرب عامة ؟! آفاق المستقبل وطرحت التساؤلات الجدية ، حول مصير الاقطار العربية في حال وقوع الحرب الكونية الكبرى ، قبل وقوعها بخمس سنوات ، بقولها . (تفكر أيها العربي ماذا يكون مصيرك لوو قعت الحرب غدا ، وانت باق على هذه الحالة ! تفكر لو نشبت هذه الحرب ، وأعلن الحصار البحري على بلادك ، وأعلنت الأحكام العسكرية ، واقفل باب الجهاد الساعي في سبيل نيل حقوقك ، وارتدى هؤلاء الانكليز ، والفرنسيين الذين تراهم صباح مساء بين اظهرك ، ثوابهم العسكرية ذات النجوم ، والشارات ، واعلنوا باب التطوع) .

(١٢) « **العرب** » . ١٥ (٣ كانون الأول ١٩٣٢) ١ ـ ٣

(١١) **العرب** ، ١٥ (٣ كانون الأول ١٩٣٢) .

(١٢) **العرب** ، ١٨ (٤ كانون الأول ١٩٣٢) .

(١٣) **العرب** ، ٢٠ **(٧ كانون الثاني ١٩٣٣) .**

(١٤) **ن . م . ن . ص**

(١٥) **ن . م . ن . ص**

(١٦) **العرب** ، ٢٨ (١١ آذار ١٩٣٣) .

(١٧) **العرب** ، ٣٢ (١٥ نيسان ١٩٣٣) .

(١٨) **العرب** ، ٦٩ (١٠ آذار ١٩٣٤) .

(١٩) **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

(٢٠) **العرب** ، ٣٩ (١٠ حزيران ١٩٣٣) .

Digitized by Birzeit University Library

(٢١) ـ عجاج نويهض ، صاحب العرب ، ومحرر زاوية ، برلمان بورتاتيف ، وحديث ابو الفتح المقدسي

ـ عوني عبد الهادي ، انظر العدد ٢ من « العرب »ص ٢ حول معاهدة سايكس ـ بيكو

ـ سليم سلامة ، « العرب » ، ص ١٥ (العرب بحاجة الى مؤتمر)

ـ عزة دروزة ، محرر زاوية (سائح في الصحف) انظر الأعداد : ٣ ص ٧ ، ٧ ص ١٤ ، ٩ ص ٦ ، ٣٨ ص ٤١ ، ٤١ ص ١٤ ، ٣٦ ص ١٣

ـ حمدي الحسيني : انظر الأعداد : ٣٧ ص ٦ ، ٣٩ ص ٨

(٢٢) مجلة العرب ، ٩ (٢٢ تشرين الأول ١٩٣٢) .

(٢٣) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢٤) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢٥) الجلسة الأولى ، « العرب » العدد . ٩ ص ٣ .

ـ الجلسة الثانية ، « العرب » العدد . ١٠ ص ٢ .

ـ الجلسة الثالثة ، « العرب » العدد . ١٢ ص ٣ .

ـ الجلسة الرابعة ، « العرب » العدد . ١٣ ص ٢ .

ـ الجلسة الخامسة ، « العرب » العدد . ١٤ ص ٤ .

(٢٦) مجلة العرب ٢٩ (١٨ آذار ١٩٣٣) .

(٢٧) مجلة العرب ٣٠ (٢٥ آذار ١٩٣٣) .

(٢٨) مجلة العرب ٣١ (١ نيسان ١٩٣٣) .

ـ الجلسة السادسة « العرب » ، العدد . ١٥ ، ص ٨

ـ الجلسة السابعة « العرب » ، العدد . ١٦ ، ص ١٠

ـ الجلسة الثامنة « العرب » ، العدد . ١٧ ، ص ١٠

ـ الجلسة التاسعة « العرب » ، العدد . ١٨ ، ص ٢

ـ الجلسة العاشرة « العرب » ، العدد . ١٩ ، الغلاف الداخلي

ـ الجلسة الحادية عشر « العرب » العدد . ٢٠ ، الغلاف الداخلي

ـ الجلسة الثانية عشر « العرب » العدد . ٢١ ، الغلاف الداخلي

ـ الجلسة الثالثة عشر « العرب » ،العدد . ٢٢ ، الغلاف الداخلي

ـ الجلسة الرابعة عشر « العرب » العدد . ٢٣ ، الغلاف الداخلي

ـ الجلسة الخامسة عشر « العرب » العدد . ٢٤ ، الغلاف الداخلي

ـ الجلسة السادسة عشر « العرب » العدد . ٢٥ ، ص ١

ـ الجلسة السابعة عشر « العرب » العدد . ٢٦ ، ص ١

(٢٩) مجلة العرب ، ٤١ (٢٤ حزيران ١٩٣٣) ١

(٣٠) مجلة العرب ، ٥٩ ـ ٦٠ (٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٣) ١

(٣١) مجلة « العرب » ، ٦١ ـ ٦٢ (٢ كانون الأول ١٩٣٣) ١

(٣٢) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

Digitized by Birzeit University Library

(٣٣) كان يحررها ، **عجاج نويهض** ، مقابلة معه ، بيروت ، ١٩٧٩/٦/٤ .

(٣٤) مجلة **العرب** ، ٢ (٣ أيلول ١٩٣٢) ٣

(٣٥) مجلة **العرب** ، ٤ (١٧ أيلول ١٩٣٢) ٣

(٣٦) **المصدر نفسه** ، ص ٤ .

(٣٧) ٢٤ أيلول ١٩٣٣

(٣٨) مجلة **العرب** ، ٥ (٢٤ أيلول ١٩٣٢) ١٥

(٣٩) وكان يكتبها ، **محمد عزة دروزة** ، مقابلة معه بدمشق ، ٢٦ آذار ١٩٧٩

(٤٠) مجلة **العرب** ، العدد ٤ ص ٤

) ٤١ **العرب** ، ٨ (١٥ تشرين الأول ١٩٣٢)

(٤١) **مجلة العرب** ، ٨ (١٥ تشرين الأول ١٩٣٢)

(٤٢) **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

(٤٣) أنظر رسائل بلاد العرب ، مجلة **العرب** ، العدد ٥ ، ص ٦ ــ ١٠ .

ــ الوضع السياسي في البحرين .

ــ النهضة العربية ، واليمن

ــ الحالة المعنوية في سوريا

ــ ماذا فهم من أحاديث جلالة الملك فيصل في عمان ؟!

ــ « **العرب** » ، العدد ٨ ، رسالة مراكش . اسبانيا في مراكش غير جمعية البيت الاسلامي في مدريد

« **العرب** » ، العدد ١٢ ص ٥ ، رسالة طرابلس برقه (طرابلس الغرب) . ان ما يكتب عنا لا يؤثر في سياستنا .

« **العرب** » ، العدد ١٥ ص ٣ ، رسالة تونس . الوفد التونسي ، الحالة العامة ، والشرجه . من مشيخات الخليج الفارسي ن . م . ص ٤

« **العرب** » ، العدد ١٦ ص ٩ . رسالة جدة الحجاز . الدسائس المفضوحة في فتنة الادريسي .

« **العرب** » ، العدد ٢٩ ص ٥ ، رسالة بيروت

المصدر نفسه ، الصفحة نفسها ، رسالة مصر

« **العرب** » ، العدد ٥ ص ٢ ، رسالة العراق . الحماية بعد الانتداب .

(٤٤) مجلة **العرب** ، ٢٨ (١١ آذار ١٩٣٣) ١٧

(٤٥) **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها ، أنظر قوائم التبرع لأطفال الصحراء في « **العرب** » «الأعداد ٢٦ ص ١٠ ، ٢٧ ص ٧ ، ٢٨ ص ١١ ، ٣٠ ص ١٢ ، ٣١ ص ٣ ، ٣٢ ص ٢٩ ، ٣٥ ص ١١ ــ ١٤ ، ٣٦ ص ١٤ ، ٣٧ ص ١٧ ، ٣٩ ص ١٣ ، ٤١ ص ١٠ ، ٤٤ ص ٢٣ ، ٤٦ ص ٣ .

(٤٦) مجلة **العرب** ، ٣٥ (٦ أيار ١٩٣٣) ١٦

(٤٧) مجلة **العرب** ، العدد ٥ ص ٢ ، والعدد ٦ ص ١

(٤٨) مجلة **العرب** ، العدد ٤٤ ، ص ٨

(٤٩) مجلة **العرب** ، ٤٢ (١٥ تموز ١٩٣٣) ١٥

(٥٠) مجلة **العرب** ، ٨ (١٥ تشرين الأول ١٩٣٢) ١٢

Digitized by Birzeit University Library

(٥١) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥٢) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٥٣) مجلة العرب ، ٤٢ (١٥ تموز ١٩٣٣) ٣٠

(٥٤) المصدر نفسه ، ص ١١ .

(٥٥) مجلة العرب ، ٣٠ (٧ كانون الثاني ١٩٣٣)

(٥٦) وجميع القصص القصيرة في « العرب » ، كان يكتبها عمر الصالح البرغوتي ، انظر « العرب » ، (السمسار) العدد . ٣٧ ، ص ١٣ ــ ١٤ . (الطريد) العدد . ٣٩ ، ص ١١ ــ ١٣ : (الشحاذ) العدد ٤١ ، ص ٧ . (حسن وحسين ج ١) العدد . ٤٢ ــ ٤٣ ، ص ١٣ . و٤٤ (حسن وحسين ج ٢) ص ٧ . (ابنه الشيخ . وربيبته ج ١) العدد . ٤٥ ، ص ٨ . (ابنة الشيخ . وربيبته ج ٢) العدد . ٤٦ ، ص ٧ . (ابنة الشيخ وربيبته ج ٣) العدد ٤٧ ، ص ٧ . (ابنة الشيخ وربيبته ج ٤) العدد . ٤٨ ، ص ٥ . (القومية الضائعة) العدد . ٤٩ ، ص ١١ . (الأخوات الأربع ج ١) العدد . ٥٠ ، ص ١١ . (الأخوات الأربع ج ٢) العدد . ٥٢ ، ص ٩ . (ابنة شهيد وهو خائن) العدد . ٥٥ ، ص ٧ . (الشيخ مزعل وحامد) العدد . ٥٦ ، ص ٩ . (كنز العجوز) العدد ٥٧ ص ١١ . (أسماء وبهاء الدين ج ١) العدد . ٦١ ــ ٦٢ ، ص ١٥ . (أسماء وبهاء الدين ج ٢) العدد . ٦٣ ص ١٣ . (الوطن الأول ج١) العدد . ٦٤ ، ص ١٠ . (الوطن الأول ج ٢) العدد . ٦٥ ، ص ٧ .

(الوطن الأول ج ٣) العدد . ٦٦ ، ص ١٠ . (فكرة الشيخ عز الدين ج ١) العدد . ٦٧ ، ص ٧ . (فكرة الشيخ عز الدين ج ١) العدد . ٦٨ ، ص ٧ ــ ٨ . (فكرة الشيخ عز الدين ج ٣) العدد . ٦٩ ، ص ٧ . (احسان البتيمة ج ١) العدد . ٧٠ ، ص ٦ . (احسان البتيمة ج ٢) العدد . ٧١ ، ص ٨ . (احسان اليتيمة ، ج ٣) العدد . ٧٢ ، ص ٩ . (محمود الطرابلسي) العدد . ١٣ ، ص ١٤ .

(٥٧) مجلة العرب ، ٣٧ (١٣ أيار ١٩٣٣) ١٥

Digitized by Birzeit University Library

الكرامة

توفيق عبد العال

الخـط ـ اللـــون ـ التصميم

علي حسين خلف

ثلاثون عاما من تجربة الفنان **توفيق عبد العال**، ومئات اللوحات الزيتية والمائية بالاضافة الى النحت والتخطيط، ليس من السهل وضعها في سلة واحدة. إذ اتخذت تجربته، مسارا لولبيا صاعدا في الخط، اللون والتصميم. ورغم عدم التطابق بين نقلاته الفنية، وبين مفهوم « المرحلة » أو « المدرسة » في الفن الاوربي الحديث، فان رحلته الفنية لم تكن سوى عملية بحث عن الذات الفنية، عن الشخص والمنهج، عن مقومات فن **توفيق عبد العال** نفسه.

وفي رحلة الاستكشاف هذه، الطويلة والمضنية، كان الواقع الفني يقدم أزمته بعنوانين رئيسيين. الاول الحداثة الزمنية للفن التشكيلي الفلسطيني، وغياب الربط بين الفنان وتاريخه وتراثه الفنيين، الثاني. ضعف التيارات الاسلوبية السائدة، التي حاولت تحقيق الانسجام بين شروط العمل الفني الابداعية، وبين شروطه الكفاحية منذ نكبة عام ١٩٤٨.

ولذلك كانت التجريبية هي القانون السائد في الفن التشكيلي الفلسطيني، وظلت ذاكرة الفني البيئة الرئيسية في احتضان ادوات العمل، حتى استبدلت في وقت متأخر، بواقع الثورة وأدواتها وهمومها. وفي كل هذا المسار، كانت تجربة **توفيق عبد العال** متميزة حقا، وسنتوقف عند المحطات الرئيسية لهذه التجربة.

ولد **توفيق عبد العال** في مدينة عكا (١٩٣٨/٣/١٠)، من اب يتعاطى تجارة السمانة والحبوب (**زكي توفيق عبد العال**) بالفرق والجملة، ومن أم (**توفيقة محمد المكحل**) هي ابنة تاجر انتكست تجارته في الحرب العالمية الثانية. والبيت الذي عاش فيه يقع في حي المجادلة، ومكون من ثلاث طوابق. بيت قديم،

Digitized by Birzeit University Library

سقفه مزركش ، وبرجه عاجي ، يطل على البحر ، شكل بأنواته وعقوده وشبابيكه خبرة **عبد العال** مع الزخرف الشرقي .

في المدرسة كان دائم الهرب ، باستثناء حصص الرسم والرياضة . وعلاقته بالمدرسة اتسمت بطابع عدائي . كان يهرب الى الشاطىء الغربي من عكا ، وهناك يراقب الصيادين ويحسدهم على تحررهم من مقاعد الدراسة ولوائح المدرسة .

ووراء « الحناطير » كان يركض الطفل **عبد العال** خلسة عن أهله ، ويمضي الى حارة « الخمامير » ليبيع الياسمين الى عشاق السهر . وبالقروش القليلة يرتب لنفسه اغرب نزهة في القطار ما بين عكا وحيفا ، ذهابا وايابا دون أن ينزل من القطار .

وفي مقهى « الدالاين » ، حيث اعتاد والده أن يأخذه معه ، استمع الى سيرة عنترة والزير وأبي زيد . واحتفظ من هذه الخبرة بجو الحكاية والفارس العملاق الذي يشبه الاساطير .

في المدينة ، كان مسموحا للأطفال بمرافقة النساء الى **حمام الباشا** ، الحمام الشرقي المشهور بقبابه المزينة بالزجاج المطعم ، وأباريقه النحاسية ونواشقه وشدورانه الدائري . وفي مرحلة متأخرة من حياته ، استمت عشرات اللوحات موضوعها من هذا الحمام ، وابتعد عنه في التفاصيل .

لقطة واحدة بقيت في ذاكرة توفيق عبد العال فسر بها العلاقة بين الصهيونية والرسم ، كان السياح « اليهود » يحملون لوحات الرسم والحوامل ، عندما مروا في ساحة الفاخورة قرب مدرسته ، وقدموا للأطفال أقلام الحبر والواح الشيكولاته . وبعد قليل توالت الانفجارات المروعة ، واشلاء زميله في مقعد الدراسة الملتصقة بالحائط دفعته الى الهرب المذعور بحثا عن المنزل .

وفي مدرسته بعكا ، أقام له الاستاذ **جورج فاخوري** ، مدرس الرسم ، معرضا طفليا ، وعمره لا يتجاوز تسع سنوات ، كانت رسوماته بالالوان المائية والطباشير الملونة ، ومنها لوحة امرأة زنجية تحمل باقة ياسمين ، فعرف الطلبة أنها المرأة التي تسكن بجوار المدرسة .

كانت العائلة الميسورة معتادة على الاصطياف في لبنان . فأمه تعرف صيدا وصور وحمانا وعاليه وصوفر . وفي اذار ١٩٤٨ ، كانت العائلة ، جميعها في حمانا ، ثم انتقلت الى صيدا هربا من البرد ، وهناك سمعت بسقوط عكا في يد القوات الصهيونية .

الرحيل

الغربة ــ الرومانسية ــ الانطباعية

منذ الرحيل عام ١٩٤٨ وحتى أول معرض زيتي (٢٤ لوحة) في مدينة عالية عام ١٩٦٢ ، عاش **توفيق عبد العال** خبرة مرة واليمة . ففي قرية برجا (من قرى الشوف) ومدينة طرابلس في الشمال وبرج البراجنة في بيروت ، كان يستكمل هوايات عكا ، بواقع جديد وخبرة اكثر عمقا .

في برجا وطرابلس تكررت عملية طرده من المدرسة لكثرة غيابه ، اذ وجد في أحراش وجبال وينابيع برجا وملابسها تعويضا عن قرية عيلوط (حيث تزوجت إبنة عمته) متلما وجد في ميناء طرابلس تلك المتعة والتأمل ، عندما كان يقف على الشاطىء الغربي لمدينة عكا . كما استبدل بيع الياسمين بصناعة وبيع الدواليب ، وواصل تدربه في الرياضة حتى غدا رباعا .

خبرته الفنية صقلها المنفى ، وكون أول ملامحها المنهجية . ففي برجا ، ومن الصخور المتجمدة قرب الينابيع ، تبلورت هوايته للنحت ، وكان يقدم منحوتاته عن رجال التاريخ والفن الى مدرسته . وفي طرابلس قدم معرضا مدرسيا بالفحم والماء والباستيل . وفي برج البراجنة ، منذ عام ١٩٥٤ ، بدأ يتجه نحو قراءة الأدب الرومانسي (**ايليا ابو ماضي ، ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران**) ، وجرب العشق الأول مع (س ، خ) . وفي العدوان الثلاثي ١٩٥٦ ذهب مع **حسن عدلوني وصبحي الطرشا** ، وقدموا الى سفارة مصر رسالة بالدم تطلب القتال (لم يكن أي واحد منهم يتقن استخدام المسدس !) . وعندما تدخل المارينز الأمريكان في بيروت عام ١٩٥٨ ، ذهب مع صديقيه **حسن عدلوني وحسن كردي** الى احدى مكاتب الحركة القومية وسجلوا انفسهم كمقاتلين !

وكان عام ٥٨/ ٥٩ مفترق طرق في حياته المهنية والفنية ، ففي عام ٥٨ ، شارك في معرض الربيع السنوي الذي تقيمه وزارة التربية (شارك به الفنانان الفلسطينيان **اسماعيل شموط وتمام الاكحل**) ، **ويوسف غصوب** (كان رئيس الاتحاد) **ومعزز روضة** (نحاته) ، كما تعرف على الفنانين **عارف الريس وامين الباشا ومنير عبدو ومنير نجم وناظم ايراني** .

وفي العام التالي تخرج من المدرسة وعين مدرسا للرسم ، واخذ يدرس في النهار ، ويرسم في الليل الياقطات والبوسترات واعلانات شركة الترمواي ، بما في تلك تواريخ اليانصيب وتحذيرات وتوجيهات الصعود والنزول وأوامر السياسة !

وبسبب موت أخية الأصغر (**طارق**) ، في حادث سيارة ، عام ١٩٦٠ ، عاش مرحلة الاضطراب والبحث عن الذات في واحد من الاتجاهات . الفنان ، المصلح الاجتماعي ، السياسي !!

أمام الفنان كان ينمو اتجاهان في التعاطي مع النكبة الفلسطينيه عام ٤٨ . ــ اتجاه مثله **اسماعيل شموط** ، وظل ، بلا منازع ، ممثله الأول في رسم وتمثل الرحيل الفلسطيني ، وهو اتجاه يقوم

Digitized by Birzeit University Library

على رفض المنفى ، من خلال تمثله في بؤسه ، حزنه ، مرونته والعراء . وبذلك يتطابق المفهوم مع مقطع شعري للناقد **محمود أمين العالم** في ديوانه « قراءة لجدران زنزانة » .

هذا هو السجن إذن !
نخلته .. داخلني
أصبحت زنزانتي !

ـ اتجاه مثله **بول غيراغوسيان** (القدس) **وجوليان صروفيم** (حيفا) **ومارون طنب** (حيفا) ، ويقوم على رفض المنفى بالاندماج في المنفى الجديد (لبنان) ، والتنكر للوطن ، خيرة وانتماء . وبين الاتجاهين كان يقف **توفيق عبد العال** ، إذ رفض الاندماج في المنفى ورفض تصوير الرحيل .

واذا استثنينا معارض المدارس في عكا ـ برجا ـ طرابلس ، فان معرض عالية (١٩٦٢) هو ، بحق ، اول معرض للفنان ، وفيه قدم تجاربه ، في اواخر الخمسينات ومطلع الستينات ، وضم ٢٤ لوحة زيتية . وكما قال لي فان اللون الترابي والبنفسجي هو اللون الرئيسي في هذا المعرض و « اللون البنفسجي عامله الفنانون وتعاملوا معه بحذر ، ويأخذ اجزاء صغيرة من لوحات **غوغان** في فترة تاهيتي ، أما عندي فيحتل اللون البنفسجي ٦٠٪ من اللوحة بتدرجاته » .(١)

وكانت موضوعات المعرض تدور حول الطبيعة ، والطبيعة الصامتة ، والوجوه ، خاصة في لوحات « فتاة من عيلوط » ، « الطائر الغريب » ، « الشموس الخضراء » ، « اجراس العودة » ، و « انتظار » .

فمن أين جاء اللون البنفسجي ؟

في خبرته الطفلية كان يستهويه انعكاس ظلال القوارب الحمراء على البحر الأزرق ، والمعروف أن البنفسج ينشأ بمزج نقط حمراء وزرقاء ، وكما يقال فان « الالوان التي تمزجها العين فاعليتها أكبر من عجينة اللون نفسها » . ولذلك كان **توفيق عبد العال** يملك خبرة شخصية طويلة باللون البنفسجي ، فمن شباك بيته عند الغروب ، يستطيع أن يلحظ اللون البنفسجي على سطح بحر عكا .

وموضوعيا ، فان دائرة الوان **سوراه** (١٨٥٦ ـ ١٨٩١) أحمر ـ أحمر برتقالي ـ برتقالي ـ برتقالي اصفر ـ اصفر ، كانت تستلزم ان يكون الظل ، دائما ، بنفسجيا . وهذا ما فعله التأثيريون في وجه الكلاسيكية والرومانتيكية . اذ لاحظوا « أن الظلال ليست مظلمة ، حتى تصور بلون رمادي أو لون أسود . فوضع لون من الالوان الصفراء الفاتحة بالقرب من لون رمادي عادي ، فان هذا الرمادي الأخير يبدو كأنه لون بنفسجي » .

« فتاة من عيلوط » ، تبدو وكأنها صورة بورترية ، لفتاة من القرية الفلسطينية « عيلوط » . ولكن الالوان في اللوحة ، وفي لوحات عديدة أخرى ، ليست نقية أو نظيفة . وهذه الالوان ، الداكنة تبدو للوهلة الأولى أنها ميتة لا حياة فيها ، ولكنها مثل الوان **سيزان** « تبدو في بعض الاحيان وكأنها ميتة لكونها هادئة غير منفعلة ومنخفضة . ولكن عندما يعتاد الانسان لوحاته ، ويفهمها جيدا ، يجد أنها جميلة ، يحس بارتياح لهذا اللون الذي لا يختفي ، ان اللون الذي يبدو ، أول الأمر ، ميتا ليس فيه حياة يبدو ، آخر الأمر ، حيا غنيا .(٢)

وفي « فتاة من عيلوط » أيضا ، يبدو واضحا تقصد إهمال النسب والمنظور ، وهي عند **سيزان** ناتجة عن التصميم ، أما عند **توفيق عبد العال** فليس مردها الى التصميم وحده ، وإنما الى تجريبية البحث عن اشكال جديدة ، تحافظ على الأبعاد الثلاثة (العمق ـ الصلابة ـ المسافة) ، ومن خلال العمق كتأثير بعدي ، فيه الظل والنور ، اقترب كثيرا من الانطباعيين عندما أصبحت ظلاله ملونة .

ورغم أن الانطباعية تستبعد الالوان الداكنة (الموجودة في لوحات هذا المعرض) ، وتميل الى الوان قوس قزح الزاهية ، فان لوحات الطبيعة مثلت هذا الجانب ، بألوانها الجميلة ، وبالجمالية العفوية التي يتركها مزج الرسم بالسكين .

لقد كان يرسم مثل **فان كوخ** « بسرعة خارقة وبدون تفاصيل ولا أي روية ، ومثل هنري ماتيس يضع الوانه بدون سابق تفكير ، ولسات الفرشاة المتعددة الألوان التي تعلمها **فان كوخ** من الانطباعيين(٣) وتحولت هنا الى سكين متعدد الالوان ، الى تهشيرات سريعة وخطوط انطباعية كتلك التي ميزت تولوز لوتريك .

واذا كانت الرومانتيكية في أوربا ، بمثابة حرب تحرير ضد الأكاديميات والكنائس والمحاكم والسادة والأسماء المشهورة ، وضد مبدأ التراث وبلاط السلطة ، فان الرومانتيكي ، على الرغم مما يبديه نحو الماضي من تقدير « فانه يحكم على عصره بطريقة غير تاريخية وغير ديالكتيكية ، فهو لا يفهم أن عصره يقف في منتصف الطريق بين الماضي والمستقبل »،(٤)

ورومانسية **توفيق عبد العال** في هذه المرحلة ، سواء في انشدادها الى ماضي عكا ، « فتاة من عيلوط » ، « اجراس العودة » ، « الطائر الغريب » ، او في انشدادها الى الطبيعة (عكا ـ برجا) في « الشموس الخضراء » و « انتظار » ، هي رومانسية الموضوع وانطباعية ورومانسية التشكيل .

الصوفية
مائيات ـ المرحلة الزرقاء ـ سريالية
الطبيعة

في ايلول ١٩٦٣ قدم **توفيق عبد العال** معرضا

Digitized by Birzeit University Library

زبتيا (٢٤ لوحة) في معرض الفنون الجميلة – برمانا ، وفي ١٩٦٦ ، وتحت إشراف **جمعية الفنانين اللبنانيين للرسم والنحت** في بيروت ، قدم اعماله المائية في عشر سنوات ١٩٥٦ –١٩٦٦ ، وضم المعرض ٤٨ عملا من « الأكواريل » . وخارج المعرضين تبلورت لوحات موحدة الطابع ، سميت بالمرحلة الزرقاء (بالزيت) ، بالاضافة الى لوحات عديدة اخرى .

وانجز جميع اعماله في هذه المرحلة تحت هاجسين متناقضين ، عاشهما باشباع كامل . الصوفية وبنات الليل . كان يهرب الى الجبل ويقضي الساعات مع صديقه الأب الفنان ، رئيس الدير ، **صادر** . وكان يملك مرسما في الكنيسة يضم مئات اللوحات . ومع النبيذ المعتق ، يطوفان على الفلسفة والفن والحياة . والوجه الآخر للأب صادر ، كان صديقه في مدرسة برمانا **عصام رافع** ، الذي رسم عشرات اللوحات عن الموت والفجيعة والخراب دون أن يعرض لوحة واحدة . كانت شخوصه عبارة عن مومياء مرعبة وغريبة . وفي هذا الجو ، رسم **توفيق عبد العال** لوحتي « الصليب »و« تشييع عند الفجر » .

وفي معرضه المائي قدم ثماني لوحات عن « بنات الليل » ، « نحيب الموسيقى » ، « عالم الليل » ، « بقايا جسد » ، « موت البجع » ، « الدرب الطويل » ، « لبؤة في الليل » ، « الضوء،النحيل » ، و « انتظار » . ومن معرض برمانا الزيتي احتلت بنات الليل لوحات « بعد الخطيئة » ، « جسد للبيع » ، « ذات الرداء الأحمر » ، « همسة حب » ، « الضحية »و« النغم الحزين » . وفي هذه الفترة اتخذ من « فكتوريا » موديلا له[٥] . وخارج المعرضين قدم « نحيب الكروان » و « اغنية البلبل » ، وعشرات اللوحات الأخرى وكلها عن المراة في ليل الجبل وبيروت وعن هذه المرحلة قال « تأثرت بالفنان الفرنسي العملاق في فنه والقزم في قامته **تولوز لوتريك** ، في لوحاته عن بنات الليل وابو **لوتريك** كان صاحب مطاحن مثل أبي وجدي » .[٦]

المائيات

اقدم لوحة شاركت في معرض عام ١٩٦٦ ، كانت «لبؤة في الليل»، اذ يعود تاريخ رسمها الى عام ١٩٥٧ ، وتتجمع فيها مرة واحدة عناصر واقعية ، ورومانتيكية ، تعبيرية ، وسريالية . امراة مستلقية ، تظهر منها بشكل واقعي اربعة اجزاء الوجه والنهد واليد والساق .

ورغم واقعيتها إلا أنها تبدو وكأنها مفككة ، ولكن بوجه جميل ، هادىء ، وديع ، متعاكس مع التسمية « لبؤة » .

الالوان الداكنة تقطع المراة من المنتصف ، وتمتد خلفها في النصف العلوي من مساحة اللوحة ، وتشكل عالما قائما للطبيعة ، الجبال ، والتلال والسماء . وباختلاط اللون الأحمر مع الرمادي ،

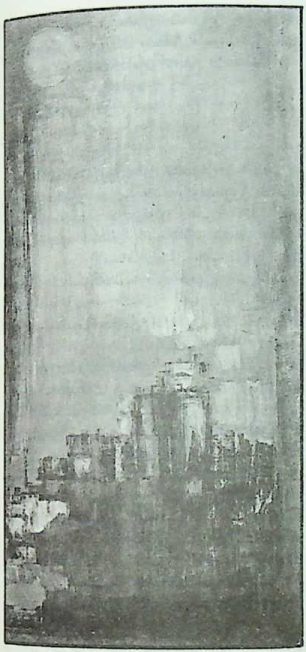

البناء

انتشر اللون الليلكي كبقع من الظلال مضيئة وملونة . وتحت ساق المراة تشكيلات سريالية لعوالم الطبيعة والتكوينات المبهمة .

ورغم وضوح الخط في الجسد ، إلا أنه ضاع في بقية اجزاء اللوحة ، وكادت تغيب الفواصل بين التكوينات .

وهناك لوحتان اخريتان ، شكلتا ، معا ، الميل الواضح في الخط . ففي لوحة « تحت المظلة » المرسومة عام ١٩٦٠ ، كانت الخطوط الطولية المبقعة ، الحمراء والسوداء ، على أرضية زرقاء متدرجة ، هي المقطع الذهبي (البؤرة) في العمل . وهي خطوط قوية ، حادة ، كونت جسد المراة ونصف مظلتها .

أما « امنية بين الأمواج » المرسومة في نفس العام ، فقد تحولت القوارب الى بقعة لونية وخطوط متقاطعة ، تشكل جسم وسارية القوارب الشراعية الصغيرة .

Digitized by Birzeit University Library

وفي هاتين اللوحتين تصدق مقولة **فرانسيسكو غويا** (١٧٤٦ ــ ١٨٢٨) « الأساتذة يتحدثون دائما عن الخطوط ولا يتحدثون البتة عن الكتل » .(٧) التي نسفت مقولة النحات ميكل أنجلو (١٤٧٥ ــ ١٥٦٤) « التصوير يرتفع حين يقترب من النحت » .

المرحلة الزرقاء

ما بين ٦٥ ــ ٦٧ ، وخارج المعرض المائي ، رسم **توفيق عبد العال** حوالي ٢٤ لوحة زيتية ، يغلب عليها اللون البنفسجي ــ النيلي ــ الأزرق ، وسميت بالمرحلة الزرقاء ، ومن خلال أربع لوحات رسمت عام ١٩٦٦ ، وهي « مدينة الأحلام » ، « الجاروفة » ، « النورس العائد » ، و « شاطىء الأماني » ، يمكن تحديد السمات الرئيسية للمرحلة كلها .

في اللوحات الأربع برزت اللغة التعبيرية . الفنان قبل الموضوع ، الأحساس قبل الأشياء » ، « الانفعال قبل الايضاح ، الخلق بدلا من التقليد »(٨) فالخطوط قوية ورقيقة ، والألوان تدرجات موسيقية بصرية . وفي الظل والنور ، حافظ على ثلاثة أشكال من التظليل . ١ ــ اللون من حيث موضوعه : ٢ ــ انعكاس ظلال التكوينات على صفحة الماء بتهشيرات طويلة : ٣ ــ الظل والنور الواقعين في الرجل الذي يركض في لوحة « مدينة الأحلام » . أما الساحة فقد بسط مساحات عريضة مسطحة ، ومساحات طويلة أصغر ، فصل بينها بخطوط لونية حادة . كل ذلك في جو من تجريد الطبيعة ، وسريالية الأشكال الحالة المنفلتة من كل ضابط . هكذا أصبحت المرحلة الزرقاء حقلا وضع فيه إضاءة اللون والمساحات العريضة المسطحة وزخرفة المساحات وتجريد الطبيعة والخطوط القوية .

ففي « مدينة الأحلام » حيث يسيطر اللون النيلي . يستخدم **توفيق عبد العال** اللون كضوء في معظم أجزاء اللوحة ، ثم يعود ويستخدم الظل والنور في صورة الشخص الذي يركض (الأنارة حول جسمه ، وانعكاس ظله) . وتبدو واضحة ألوان التعبيريين الزاهية ، وتدرجاتها . ولأنه يفتح الباب على مصراعيه أمام حلمه ــ وهي الفكرة القائدة للسريالية ــ فقد أخرج « الأشياء من محيطها وذلك بانتزاعها من معناها المبتذل »(٩) ، كما يقول السرياليون .

كما نلمس في « الجارفة » الميل نحو تصوير الأشياء ، أكبر مما هي (أحلام شاجال) ، في تصوير الصياد وشباك الصيد التي غطت منتصف اللوحة . وكذلك في القارب والسمك الفضي والذهبي والبرتقالي في لوحة « النورس العائد » . وفي سلالم « شاطىء الأماني » . انه عالم من الفنتازيا ، والسحر ، في إطار من السريالية والتجريد والواقعية ، مما يجعل المسألة أكثر صعوبة في إطلاق صفة واحدة على المرحلة الزرقاء .

من لوحة « زهور » ــ معرض برمانا ٦٣ ــ حيث تتقاطع ضربات الفرشاة مع التنفيط والكتل اللونية ، الى لوحتي « اغنية الربيع » و « الأشجار تموت واقفة » في عام ٦٣ ، حيث الألوان التعبيرية إلى « اغتيال الربيع » عام ٦٧ ، بتشهيراتها النحتية ، **وتوفيق عبد العال** يؤكد وقوفه في وجه الكلاسيكية ، الاكاديمية ، الرومانسية ، ويبحث عن مقومات شخصيته الفنية في إطار من التجريب الاشمل مع المدارس والاتجاهات الأخرى .

الاسماء ... والليل

نحن أمام مشكلة حقيقية .. الأسماء ، كيف يطلقها الفنان على لوحاته ؟ التجريديون يطلقون الأسماء في موازاة اللوحات ، أي ليس لعناوينهم موضوعات ، فلوحات **كندنسكي** « تحضير رقم ٣٠ » ، تركيب رقم ١ » ، « أحاطة صفراء » ، « شيرزو » تشكل التسمية عالما مستقلا عن الموضوع . وفي الفن الهندسي ، تطلق التسمية على نوع العمل مثل « التأليف » ، **لموندريان** ، و « اثر تذكاري لقاعدة جوية » **لجوبو** و « المتحرك » **لكولدر** . وعند بيكاسو ، في مرحلته التكعيبية ، اطلق التسمية على الموضوع ، مهما بدا انه غير واضح مثل « فتاة واقفة عزف » ، « جيتار صيف ١٩١٢ » ، امرأة جالسة » ، « ثلاثة موسيقيين » ، « صورة كاندلير » . وعند الفنانين الآخرين ، بغض النظر عن اتجاهاتهم الفنية ، كان هناك تطابق بين الموضوع والتسمية مثل « المرأة في الحمام » ، ودرس التشريح » ، « صلب المسيح » عند راه برانت و « الثاني من مايو » عند غويا و « اكلوا البطاطس » عند كوخ . أما عند **توفيق عبد العال** ، فمرجع المشكلة الى انه ، مثل الوانه وخطوطه ومساحاته ، لا يتقيد بمنهج واحد .

ففي بعض اللوحات هناك توجه صارم نحو التطابق بين الموضوع والتسمية ، مثل زهور ــ حمام شرقي ــ برجا ــ الجارفة ــ تحت المظلة ــ زورق الأحبة ــ رقصة غجرية . وهناك أسماء تعكس الحالة التعبيرية مثل : لبؤة في الليل ــ أمنية بين الأمواج ــ الثلوج البنفسجية ــ دموع الكنار ــ موسيقى تحت الماء ــ الضوء النحيل ــ النورس العائد ــ شاطىء الأماني . وفي مرات يتوجه الى تسجيل موقف فكري مثل : وخلق الله الانسان ــ النمرود والخالق ــ لن يسقط العلم ــ لن السلام ــ عيون البنادق ــ الطريق ــ ساقاوم ــ العبور عند الفجر . وفي كل الحالات ، فانه لا يبدي إهتماما بالتسمية ، وربما ، دون سابق إنذار ، مكتفيا

Digitized by Birzeit University Library

عيون البنادق

بحالته التعبيرية ، وعلى « التابلوه » ينضج كل شيء ، اللون الخط ، التصميم ، الموضوع .

فنان الثورة
الكتلة ـ المساحة ـ الادوات

في الفترة ما بين ٦٧ ـ ٧١ قدم **توفيق عبد العال** ٧٨ لوحة زيتية في معرضين ، معرض الكرامة في بيروت عام ٦٨ ، وضم ٤٨ لوحة ، ومعرض بغداد عام ٧١ وضم ٣٠ لوحة اخرى . وفي عموم اللوحات الجديدة ، هناك ميل واضح نحو الكتلة ، ونقلة جديدة في الموضوع ، جاءت من **توفيق عبد العال** فنان الثورة ، في مرحلة تجديد انطلاقتها ، بعد عدوان حزيران عام ٦٧ .

لقد شهدت المنطقة حدثين بارزين اثرا على فن وموقف **عبد العال** تأثيرا كبيرا . فمن هزيمة حزيران عام ٦٧ حيث امسك بالسكين ومزق بعض لوحاته ، الى مذابح الأردن في عامي ٧٠ ـ ٧١ ضد الثورة الفلسطينية ، انتقل موقفه من دائرة الانتظار والمساندة الى موقع المنخرط والمشارك في الثورة . فرد على الهزيمة والمجزرة فنيا وحياتيا .

وشهدت هذه المرحلة زواجه من **باكزة الاكحل**، شقيقة الفنانة المعروفة **تمام الاكحل** (زوجة الفنان **اسماعيل شموط**) وشقيقة النحات والمهندس **اكرم الاكحل** .

Digitized by Birzeit University Library

الكتلة والموضوع الفلسطيني

ونظرا لان لوحات هذه المرحلة قد بيع معظمها ، فان الحديث هنا سيقتصر على اللوحات المتبقية بحوزة الفنان ، او تلك المطبوعة والموزعة جماهيريا ، وهي الكرامة ـ موكب الشهداء ـ لمن السلام ؟ ـ الطريق عند الفجر ـ ذكرى ـ نحو النور ـ عيون البنادق ـ الى فلسطين .

اللوحات ، جميعها ، تحاور الموضوع الفلسطيني حوارا مباشرا ، ولا تسقط في فخ التصوير الفوتوغرافي او البورترية او الشعارية . فالموضوع الواضح ، يتحول في اللوحة الى خطوط متينة والوان داكنة ـ برونزية ـ راقصة ، واجساد كتلوية كالصخر او الرخام . ففي « موكب الشهداء و الكرامة » تتحول الاجساد المنصوبة كأفاريز النحت ، في تظاهرة التشييع او رقصة الحرب ، الى موقف يمجد الشهداء ويسخر من محاولات افناء الثورة . ولذا لم يعد المخيم مكانا آمنا ، وسقطت فلسفة الانتظارية في لوحة « الطريق » . فالخروج من المخيم لا يكون فاعلا الا للفدائيين ، لتلك البنائية الجديدة بين جسد الفدائي ومنازل المخيم . ولذلك سأل ساخرا « لمن السلام ؟ » . انه يرد على دعوات الاستسلام المغلف ، ويضع حدا فاصلا بين الحمامة المزوجة بالمرأة . الوطن ، وبين الحمامة المهدور دمها على الشريط الشائك .

« الى فلسطين » ، هنا تستريح الالوان وتستقر الكتلة . قدما العروسين مثبتان الى قاعدة التمثال ، وفي الافق علم فلسطين يمتزج بالمساحة اللونية . كتلة رخامية ، والوان تعبيرية متدفقة ، تحول اللوحة الى عرس .

وكرر الحقيقة مرة اخرى برسم اولاد الشهداء في لوحة « عيون البنادق » واستطاع ـ كما قالت جريدة **التايمز** ، في ٢٦ كانون الاول ١٩٧٩ ـ أن يهرب البندقية الفلسطينية ، تحت غطاء عيون الاطفال ، الطيبة ، البريئة ، الملوفة .

وفي لوحة « ذكرى » يستعيد عادة مألوفة في الخيمات ، حيث تجلس النساء على بوابات منازلهن ، ويسرحن بعيدا في الماضي ، في المنزل القديم والقرى . بجوار المرأة التي تضع كفها على خدها وتتذكر ، شجرة عارية وشعارات ونوافذ امل على لرحلة الانتظار في الازقة ، والحنين الى الماضي ، واكتسبت بفعل شعارات الحائط دلالة جديدة .

ورغم اظلامية المنفى الفلسطيني ، ففيه انبثقت النور ، فاستكملت بذلك دائرة إنتماء **توفيق عبد العال** للثورة ، وريادته في التعبير عن الموضوع الفلسطيني الجديد .

المساحة والادوات الجديدة

على قاعدة « ان كل تعبير حق ينبغي أن يكون اصيلا » (١٠) ، واصل **توفيق عبد العال** رسوماته عن الثورة ، في الفترة ما بين ٧١ ـ ٧٧ ، وهي المرحلة التي اخذت منها اللوحات التالية .

« صدورنا ملاعب الرماح » عام ١٩٧١ ، « المجزرة » عام ١٩٧٢ ، « سقوط الفارس » عام ١٩٧٢ ، « الصبار الدامي » عام ١٩٧٣ ، « فصل من التاريخ الفلسطيني » عام ١٩٧٣ ، « الجياد تساق الى المقصلة » عام ١٩٧٣ ، « طريق الثورة » عام ١٩٧٣ ، « الانطلاقة » عام ١٩٧٣ ، « السلام ويحر الدم » عام ١٩٧٥ ، « لا تسقطوا » عام ١٩٧٥ ، « العملاق والفجر » عام ١٩٧٥ .

فأصالة الفنان ، بعد امتلاكه الموضوع الواقعي ، كانت تحقق غرضين ، في آن واحد ، ففي ، من جهة ، تؤكد ان « الابتكار والطليعية واجب الواقعيين » ، كما قال **لويس اراغون** ، وهي ، من جهة اخرى ، تعرف ان « صورة عظيمة يمكن ان تميزها الواقعية ، ولكن ليست الواقعية هي التي تجعل الصورة عظيمة » ، كما قال جورج فلاناجان .

وفق هذا الفهم ، انجز **توفيق عبد العال** لوحات هذه المرحلة ، فتمايزت عما سبقها ، وتميز بها ، ويمكن رصد كل ما هو جديد بالنقاط التالية

١ ـ الانتقال من الكتلة الى المساحة اللونية الواسعة وخاصة في لوحات الانطلاقة ، الصبار الدامي ، المجزرة ، طريق الثورة :

٢ . استبدال الفدائي (على الاغلب) برمزه الحصان ، او وضع الاثنين معا ، كما في لوحات الصبار الدامي ، فصل من التاريخ الفلسطيني ، الانطلاقة ، العملاق والفجر ، المجزرة ، الجياد تساق الى المقصلة ، طريق الثورة ، لا تسقطوا ، سقوط الفارس . ومنذ هذه المرحلة غدا الحصان ملازما للوحات **توفيق عبد العال** ؛

٣ ـ اللجوء الى الارابسك في الخط العربي كشحنة تعبيرية احيانا ، وكزخرف حينا اخر ، مثل طريق النور ، لا تسقطوا ، فصل من التاريخ الفلسطيني :

٤ ـ استعادة الاجواء الاسطورية عن الرجال بلا رؤوس ، في لوحات المجزرة ، فصل من التاريخ الفلسطيني ، صدورنا ملاعب الرماح :

٥ ـ ادخال « الشمس » الى معظم لوحات هذه المرحلة ، كشاهد مرة ، وكتشكيل مرة اخرى ، وكأمل مرة ثالثة . وتتحول لوحة العملاق والفجر ، الى دائرة كبيرة ودوائر اصغر ، دون فقدان المساحة اللونية .

Digitized by Birzeit University Library

٦ ـ ولذا يعتبر توفيق عبد العال الفنان الفلسطيني الاول في تعاطيه مع منبحة الاردن بالزيت ، فيما ظل الفنان مصطفى الحلاج الفنان الاول في التعبير عن المنبحة بالتخطيط .

في الحرب الاهلية

وفي الحرب الاهلية اللبنانية ، ناضل **توفيق عبد العال** بفنه ، ولم يغادر ساحة المعركة . وتحت وطأة الحرب ، ومن موقعه كرئيس للقسم الفني في اعلام الجبهة الديمقراطية ، انجز عشرات الملصقات ومئات التخطيطات ومعرضا كاملا (٢٤ لوحة زيتية) عن تل الزعتر . وفي مرحلة الحرب ـ كما قال **عبد العال** في حديث صحفي له « من الضروري الاشارة الى **شمعوط والرئيس** ، **فاسماعيل شمعوط** تناول بالاحبار موضوع الحرب ، وتحديدا تل الزعتر ، وكانت التجربة ناجحة . اما **عارف الريس** فتناولها بالتخطيطات وكان جيدا ومقنعا » .

ورغم عدم تنازله عن فنه وادواته ، فقد غدت لوحاته جماهيرية واكثر براعة . وعن تلك الفترة قالت جريدة **الوطن** :

« **توفيق عبد العال** من ابرز الفنانين الفلسطينيين الذين لم يتوقفوا لحظة عن التعاطي باللون والفرشاة طوال الحرب اللبنانية ، بل يمكننا القول ان رسوماته الاخيرة كانت تسير بتناغم مع تطور الاحداث السياسية ، بحيث ان البعض قد اخذ عليه ، انه قد تحول من فنان الى مؤرخ سياسي »(١١) ولذلك رد **توفيق عبد العال** « لم اكن مجرد شاهد على ما حدث ، بل كنت مساهما فيما حدث » .

التخطيط والنحت

هذا التمايز لم يبق محصورا في اللوحة الزيتية ، اذ حقق توفيق عبد العال في التخطيط والنحت ما حققه في اللوحة ، فتخطيطه المميز ، الذي يحمل طابعه الخاص ، غدا علامة جديدة في فن الجرافيك . اما النحت ـ الذي يسميه لعبة ممتعة ـ فقد حقق فيه نجاحا كبيرا ، وادخل اليه الزخرف للتزيين وطعمه بالالوان . وفي هذا الجانب ، هو متأثر بفن الفراعنة ، بيكاسو ، ومارينو مارينـي . وابرز منحوتاته . الخصب ـ بغدادية ـ حاملة الجرة ـ فتاة من بيت لحم ـ فتاة من رام الله . وعرضها في بيروت ـ دمشق ـ صوفيا ـ روما ـ برلين .

ان تجربة الفنان توفيق عبد العال الغنية بمحطاتها ومراحلها ، اكتشفت في الالتزام ، اكثر انتاجها ثراء وتقنية ـ ولسان حالها يقول ما قاله بيكاسو في عام ١٩٤٤ .

الم يكن الشيوعيون هم الاشجع في فرنسا وفي الاتحاد السوفياتي وفي وطني اسبانيـا ؟ ففيم احجامي اذا ؟ اخشية من الالتزام ؟ انني على العكس من ذلك ، لم احس قط بالحرية والتكامل كما احس بها اليوم » (١٢) .

حواشي

(١) حديث شخصي مع **توفيق عبد العال** . كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٩ .
(٢) جورج ا . فلانجيان . « حول الفن الحديث » . ترجمة وتقديم كمال الملاخ . مراجعة صلاح طاهر . دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ ، ص ٧٩ .
(٣) رمسيس يونان . **الفن الحديث** . ص ٤٢٠ (انظر . **محيط الفنون** ١ ـ **الفنون التشكيلية** . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠) .
(٤) **جورج ا . فلانجان** . **مرجع سابق** . ص ١٦٧ .
(٥) كانت نقيض موديل فان كوخ السيدة كريستين . الجافة ، الحاملة ، السوقية ، القبيحة .
(٦) حديث شخصي .
(٧) رمسيس يونان . **مرجع سابق** . ص ٣٩٢ .
(٨) جورج ا . فلانجان . **مرجع سابق** . ص ٧٠ .
(٩) ايف بونلسيس . « **السريالية** » . ترجمة بهيج شعبان . بيروت . دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٦ ، ص ٨٠ .
(١٠) روبين جورج لولنجوود . **مبادىء الفن** . ترجمة د. احمد حمدي محمود . القاهرة ، المؤسسة المصرية والدار المصرية . ص ٣٤٤ .
(١١) جريدة الوطن الكويتية ٢٢ شباط ١٩٧٧ .
(١٢) جون بيغين . **نجاح بيكاسو واخفاقه** . ترجمة فايز صياغ . منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي . دمشق ١٩٧٤ . ص ٢١٨ .

Digitized by Birzeit University Library

مدخل الى ازمة القصة القصيرة تحت الاحتلال
- صراع المتناقضات -

فخري صالح

في طرحنا للازمة التي تعانيها القصة القصيرة الفلسطينية تحت الاحتلال ، يجب اعتبار امرين : ١ . الموضوعة القائمة على جوهر التناقض مع الواقع القائم ، الذي تعايشه القصة الفلسطينية ؛ ٢ . البنية القصصية التي تنتهجها القصة لتتمكن من التعامل مع واقعها .

فللازمة التي تعانيها القصة في ظل الاحتلال حداها المذكوران .. فلسلك اسلوب المناقضة تحاول القصة ، بشتى السبل الممكنة ، لطرح قضيتها ، ان تغزو واقعها . اذ ان القصة القصيرة ، كنوع من الانواع الادبية ، تتميز بقدرتها على تصوير الواقع واستلهام تناقضاته ، من خلال دائرة اكثر اتساعا من اي نوع ادبي اخر . فالقصة القصيرة في ظل الاحتلال تناوح في مجالها ، بين الصورة القصيرة والخاطفة ، وبين مجموعة مركبة من الصور في الانواع التركيبية من القصص ، التي قد تتجاوز مجالها ، لتدخل في الشعر او تدخل في اسلوب القص الملحمي . من هذا المنطق يصبح الواقع ليس ، فقط ، مركبا من شرائح ، باستطاعة القصة استلهامها ، وانما خلية نحل من التداخلات . فحركة الواقع المتسارعة ونبضه الذي لا يتوقف ، توظف ، بلا شك ، اخصب العناصر لتربة القصة القصيرة ، ولكن هذه القصة تتقاصر عن الاستفادة من هذه العناصر . وهكذا ، فأن السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل حركة القصة القصيرة في ظل الاحتلال عاجزة عن اكتناز واقعها ؟ ليس تماما ، لان التطور الحاصل على صعيد البنية والمضمون في هذه القصة يفتح افاقا جديدة نحو المستقبل .

ولكن ، لا شك ، فأن القصة القصيرة تحت الاحتلال ، خسرت بخروج عدد من القصاصين الفلسطينيين سنة ١٩٦٧ ، او بعد هذه الفترة بقليل او كثير ، جيلا مهما من اجيالها القصصية .. فخروج الجيل الذي اقام ، امس ، الحركة القصصية الفلسطينية في الضفة الغربية ، والذي نشر معظم نتاجه في مجلة « **الافق الجديد** » ، ضاما عددا كبيرا من خيرة الاقلام الفلسطينية : **محمود شقير ، يحي يخلف ، رشاد ابو شاور ، خليل السواحري** ، وغيرهم كثيرون ، اثر على مسيرة القصة القصيرة في ظل الاحتلال ، اذ حرم القصة الفلسطينية من تجربة متواصلة خاضها هذا الجيل الادبي . وبالتالي فأن الانقطاع بين جيل القصاصين بعد ١٩٦٧ وقبل ١٩٦٧ ، بالاضافة الى غياب الصحف الوطنية والمجلات الادبية المتخصصة قبل ١٩٧٥ ، بأستثناء ، **الفجر ، الاتحاد ، الجديد** ، التي كان يجد فيها القصاصون متنفسا وقتيا لهم ، ادى كل هذا الى ضغط الحركة القصصية الفلسطينية ، والحد من معطياتها .

ومن خلال تتبعنا للنتاج القصصي ، الذي اخذ يصدر تبعا بعد ١٩٧٥ ، نلحظ ان هذه المواهب القصصية الطالعة تعتمد على التجريب في مجال القص ، وما زالت تحبو في بداياتها ، رغم ما سجلته من تطور في المجاميع التي صدرت حتى الان .. فالجيل القصصي الحاضر منقطع عن الجيل الماضي ، وهذا ما يؤخر حركة القصة عن مواكبة النتاج القصصي الفلسطيني

Digitized by Birzeit University Library

في ديار الغربة ؛ فالقصة تواجه تاريخ شعب ، مشاكل حياة يومية ، وصراعا قائما ، ولكنه غير قائم ، ومتمثل بكليته في النتاج القصصي .. ولهذا فأن ثنائية الواقع ـ الطرح القصصي تجسد مشكلة تعانيها القصة ، لانها غير قادرة ، حتى الان ، على مقاربة عنصري هذه الثنائية .

على صعيد البنية القصصية تحاول القصة ، لحل مشكلتها ، ان تلجأ الى مجموعة من الاشكال التجريبية ، والبنى القصصية ، وسلوك اسلوب التداخلات بين الانواع الادبية ، للتغلب على ازمتها . ويمكننا حصر هذه التداخلات والاشكال بما يلي :

ا . اللجوء الى الطابع السردي ، على الرغم من ان ذلك لا يحل ازمتها ، وانما يراكم النتاج القصصي .

ب . اللجوء الى تقمص اللهجة الشعبية وتشخيص الواقع الشعبي من خلال عكس الواقع الاجتماعي والسياسي للانسان الفلسطيني .

ج . الاتكاء على لغة الشعر ، واللجوء الى تركيبة مكونة من الحلم متداخلا مع الواقع .

د . اللجوء الى الرمز ، والتخيل القريب من لغة الشعر ، كأسلوب مميز للتداخل بين الانواع الادبية .

ولبحث هذه الاشكال يجب ان نضع في اعتبارنا ان القصة الفلسطينية لا تستطيع ، كأية حركة قصصية في العالم ، ان تلغي التداخل بين هذه الاشكال ، وانما تعكس في تشكيلها وتكنيكها القصصي كافة النقائض المتحركة داخل المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال .

ا . اللجوء الى الطابع السردي :

يلجأ بعض القصاصين التقليديين او المبتدئين الى طابع السرد والتصوير الفوتوغرافي ، للخروج من ازمة الشكل القصصي الذي يواجه القصة الواقعية الفلسطينية في ظرفها الحالي . ولكنها تقع ضمن عيوب النمطية الشكلية والسردية التقليدية .

فالمعالجة التقليدية والمكرسة للعلاقات الاجتماعية يلجىء القاص لاستخدام السرد التقليدي والحوار الممل ، الذي عادة ما يكون مسطحا .

في قصص « العودة » **لجمال بنورة** ، هذا التوكؤ الواضح على لغة السرد ، واساليب القص الكلاسيكية . فالقصة عند **جمال بنورة** تعاني من انحصارها ضمن دائرة القصة الكلاسيكية ، التي تعتمد المصادفة والذهنية كقاعدة مميزة لها .. فهي في هذه الدائرة لا تستطيع ولوج عالم العفوية التي يجب ان تتمتع بها قصة واقعية ، بالاضافة الى الذهنية المفرطة وتحريك الاشخاص الواضح من الخارج والتي يتحكم فيها القاص تحكما شبه تام .. فأنعكاس الواقع على حياة الناس في النموذج القصصي غير قادر على بلورة البنية القصصية المتميزة .

وهذا ما يمكن ملاحظته ايضا عند قاص اخر هو **محمد ايوب** ، في مجموعته « الوحش » ، الصادرة حديثا .. إذ ان انعكاس الواقع على حياة الناس بعد الاحتلال لا يتخلص من سذاجة الطرح ، وعدم التميز بتكنيك جيد ، لان المادة الخام الاولية للقصة والتي تتميز بذهنيتها وعدم تبلورها ، تبقى كما هي دون تبلور . فحركة الواقع خامدة ، واللغة سردية ، والحوار هو حوار القاص وليس الشخصيات .

ب . لهجة شعبية ، واقع شعبي :

يطرح الواقع الشعبي ، واللهجة الشعبية ، هم القصة القصيرة في الاستفادة من حميمية العلاقة بين الشعب ولغته وحكاياته وتراثه . وضمن مقولة تثوير الحكاية الشعبية واستخدامها كشكل حديث متميز ، تؤدي شرطها ضمن همين : هم التجديد النوعي في القصة القصيرة كأداة تجريبية ، وهم الاقتراب من لهجة الشعب ، للاقتراب ، بالتالي ، من همومه .

وهكذا ، فأن مجموعة من القصاصين الفلسطينيين تحاول هذا التوجه ، وخصوصا **محمد نفاع ، محمد علي طه ، وحنا ابراهيم** ، في مجاميعهم القصصية .

Digitized by Birzeit University Library

في « الاصيلة » **لمحمد نفاع** يتمركز هذا التوجه بأسلوب اولي غير متبلور ؛ اذ تتميز لغة نفاع ، في هذه القصص ، بقدرتها على نقل واقع القرية بلغتها وحكاياتها وهمومها الشعبية البسيطة ، على الرغم من التسطيح ، والاهتمام بالهوامش ، على حساب الحدث الرئيسي ولكن القاص يجعل من هذه القدرة على التمثل باللهجة الشعبية جسرا الى اعتماد الاسلوب الاشاري القصدي ، لتحميله بالهم المعاش والفكرة التي يقصدها . لكن هذه المجموعة لا تبلور القصة كنوع ادبي ناضج ؛ لانعدام التماسك بين الصور القصصية في ثناياها .

اما في المجموعتين التاليتين ، « ودية » و « ريح الشمال » ، فأن القاص ، مزاوجا بين الواقع الاجتماعي والواقع السياسي الذي تعيشه المنطقة ، يصل الى صيغة محددة ومميزة في معالجة الواقع ، وصفه ، ونقده ، بالاضافة الى الوصول به الى التحريض الكافي على الوضع القائم .

القصص تتميز بلغة شعبية بسيطة ، رغم كثرة ما يحشوه من حكايات ووصفيات ، تبدو غير مرتبطة ، في كثير من الاحيان ، ولذلك فالصور القصصية لا تشكل كلا قصصيا .. إذ تنحصر قيمة بعض القصص في صورها القصصية ، المتناثرة هنا وهناك ، كعامل فاعل ومحرض في البناء القصصي . ذلك ان تأثير التراث الشعبي واللغة الشعبية على قصص **محمد نفاع** يصبغ كل نتاجه القصصي ، ابتداء من مجموعته الاولى حتى مجموعته الاخيرة .

اما **حنا ابراهيم** فيصبغ القصة بالروح الشعبية المتميزة والاصيلة ، ضمن حركة التجذير والارتباط بالارض ، واللجوء الى مداخلة الاحداث . هذا التنويع في القصة يضفي روحا جديدة على اسلوب القص ، تتميز بتسجيليتها وقدرتها على التقاط اللحظة العيانية ، بلغة شعبية بسيطة ، تستخدم اسلوب الاشارة الذكية والتصوير السريع ، التي تتميز بها لغة الشعب . هذا الاسلوب في مجموعته « ريحة الوطن » ، والذي يقترب من اسلوب الحكايات ، ليشعل في داخل القصة موالا للارض ، ويصبغها بروح الشعب وقدرته على التحدي والنضال .

اما **محمد علي طه** ، في مجموعته « جسر على النهر الحزين » ، فيعبر ، بروح شعبية بسيطة معتمدا التراث الشعبي وذخيرة الحكايات الشعبية في بنائه القصصي . فهو ينسج قصته حول الحكاية الشعبية ، ويكسبها شفافية وقدرة على بحث الواقع ضمن تناقضاته ، إذ يدخل الحكاية بأسلوب القص الحكائي ، لتوجيه انتقاداته . في مجموعته هذه يبرز طه الشخصية الشعبية التي تتركز حولها الاحداث ، كمحور تتمركز حوله القصة . ففي بداية القصة ـ دائما ـ يحكي بأسلوب الدهشة الذي تتميز به الحكاية الشعبية ، ثم يخلص الى الحدث الرئيسي والشخصيات الرئيسية في قصته ، ولكنه لا يكثر من التفريعات كما يفعل **محمد نفاع** .

ج . الاتكاء على لغة الشعر :

في التركيبة المكونة من الحلم ، متداخلا مع الواقع ، تتسربل القصة بلغة الشعر للاستعاضة عن النقص في جانبها الحدثي ، وكميزة تجريبية تعتمد الحلم كبديل مؤقت للواقع الجسيم الذي تناقضه .. في اتكائها على لغة الشعر ، فأن القصة تنهج اسلوب التداخل مع نوع ادبي اخر ، هو الشعر ، لتطعم الحدث الواقعي بالوجدان الشعري ، ولكنها رغم ذلك تحرف العمل الفني عن وظيفته ، عندما تنشغل بالتجريب ، وتعجز عن الامساك بخيط التعادل للموازنة بين اسلوب التداخل مع الشعر .

ويتميز القاصان **غريب عسقلاني** ، **وزكي العيلة** ، بلغة قصصية شفافة تقترب في لهجتها من الشعر ، بالاضافة إلى قدرتها من خلال لغة الشعر ـ الاشارية والدلالية في لحات متمايزة ومتفرقة في القصة ، للتناقض مع الواقع .

ففي حواريات **زكي العيلة** ، في مجموعته « العطش » ، المرتكزة على لغة شعرية جيدة ومتميزة ومتوهجة ، يغطي على الضعف الذي يعانيه الحدث في قصصه . ولكن هذا لا يخدمه في

Digitized by Birzeit University Library

بناء قصة متماسكة بشخصياتها وبنائها .. فالقصة تفقد هنا ، في اتكائها على لغة الشعر وحدها في بعض قصصه ، الجانب التشخيصي الذي يميزها كنوع ادبي ، وتتفكك ، بالتالي ، الى مجموعة مركزة من الصور القصصية المتلبسة بلغة الشعر .

اما **غريب عسقلاني** ، في مجموعته القصصية « الخروج عن الصمت » ، فلغة الشعر لديه ليست شكلا فقط ، وانما مضمون ، ايضا .. فالقصة تستحيل موالا ، مونولوجا داخليا غارقا في الوجد ، اغنية حزينة ، وهكذا تبرز الاستثارة والدفع ، من خلال موجة الاحاسيس المتدافعة والمتراكمة داخل بنية القصة . فهو يوازن بين اداتين هامتين كميزان قدرته في القص ، حركة الشعر داخل القص والقدرة على القص الواقعي وتسجيل الاحداث .. وضمن تداخل هاتين الاداتين ، تتشكل القصة . ان للغة الشعر مزالقها ، التي يمكن ان تفكك البنية القصصية ، وتجعلها مجرد لهاث مصبوغ بالشعر ، ولكنه ليس شعرا ، وليس قصة وانما كتابة وجدانية غير محددة الملامح ؛ وهذا ما انزلق اليه غريب عسقلاني في بعض قصص بمجموعته في جريه وراء اللهاث الموسيقي والغليان الوجداني ، فالقصة ، كنوع ، تحتمل التداخل مع الانواع «الادبية الاخرى » . ولكنها لا تقبل التلاشي فيه ، لان لها بنيتها المميزة وموضوعاتها المميزة .

وبعض قصص **عسقلاني** قادرة على الامساك ، بحرص ، على مقدار التداخل بين اسلوب القص الواقعي ولغة الشعر .. اذ يمازج القاص بين الواقع والشعر ، في جملة مواقف ، فيبدا القصة بالوصف ، ويداخله مع انسياب الشعوري ضمن اطار المونولوج ، حيث هو يزيد من مباشرة لغته مقابل حدة الواقع ، ويزيد من إقترابها من لغة الشعر ، عندما يضعف الواقع ويتداخل مع الحلم . واذ يتهاوى الواقع تغيب اللغة المباشرة ليحل محلها الحلم والموال الحزين المليء باللوعة .

ان لغة الشعر قادرة على إعطاء القصة روحا نوعية جديدة . ولكنها ، في ذات الوقت ، قادرة على طمس ملامح القصة .. وهي بحاجة الى القاص القادر على الامساك بخيط التعادل في تداخل الانواع الادبية .

د . **اللجوء الى الرمز** :

تفتقر القصة القصيرة الفلسطينية ، المكتوبة في ظرف الاحتلال ، الى الرمز المكثف ، الفاعل ، المنفعل ، والمليء بالدهشة .. ولعل القدرة على التكثيف وتركيب عوالم تخييلية ، مؤسطرة ، ولكنها قادرة على الاشارة من خلال بنيتها وتركيبها ولمحاتها القصصية ، ضرورة من الضرورات التي يفرضها القهر والحصار اللذان يتمددان بجثتيهما على جسم الحقيقة .

والقاص **اكرم هنية** ، في مجموعته « السفينة الاخيرة .. الميناء الاخير » ، يملك هذه القدرة على التكثيف وخلط الخيال بجسد الواقع .. فالقاص يمازج ، بقدرة وتميز ، نسقين : نسق واقعي ، ولكنه لا يحتفظ بهذه السمة لتداخله مع النسق الاخر ، ونسق تخييلي يرفع النموذج القصصي ليؤسطرة ، ويجعله عالما مستحيلا ، ولكنه قادر على الاشارة والاستثارة . لكن التركيب القصصي ينتهي دون جدل ، ودون ان تخرج النهاية من جسد القصة ، فيحابزه القاص بلغته الشعرية ، التي تفتح افقا اخر ، يغطي على هذا النقص الدرامي الحركي الذي تفتقر اليه القصة .

لكن اسلوب اللجوء الى الرمز يظل جنينيا وغير قادر على التمييز بين القصة الواقعية المعتمدة على الروح الشعبية والخارجية من زمن الاحتلال نفسه ، منتقضة عليه ومناقضة له .

Digitized by Birzeit University Library

تعقيب على مراجعة خيري منصور

نزيه أبو نضال

في العدد السابق من **الكاتب الفلسطيني** نشرت المجلة قراءة نقدية لكتابنا « جدل الشعر والثورة » بقلم الاستاذ **خيري منصور** . وهذه القراءة تتيح لنا توضيح بعض المسائل الاشكالية التي اثارها الكتاب .

لكننا نود ، اولا ، الرد على بعض الالتباسات التي وقع بها **خيري منصور** ، والتي يغلب عليها طابع « التقصد » في التقاط السلبيات وعرضها . وكلمة « التقصد » ليست من عندنا ، فقد اوردها **منصور** ، نفسه ، بالنص ، حين قال في ختام مقاله « قد يسأل القارىء .. لماذا هذا التقصد في عرض سلبيات كتاب نقدي .. » والظريف انه حتى لم يجب على سؤاله ، لنعرف حقيقة « لماذا هذا التقصد ؟ » ولنأخذ بعض العينات التقصدية في تناول الجذور التاريخية في شعر المقاومة العربية « لا يلتقت الناقد (نزيه ابو نضال) لاختلاف طبيعة المقاومة او المجابهة لهذه الفئات » . وهذه الملاحظة التي اوردها الاستاذ **منصور** متناقضة مع السطور الاولى من الكتاب ، حيث نقول بتعدد « أشبال المجابهة مع الأعداء ، عبر القتال والمقاومة والثورة والحرب وكافة اشكال المجابهة الأخرى » (ص ٧) ، غير أن المهم هنا هو « انعكاس فعل المجابهة على وجدان الشاعر » ؛ لأن هذا الانعكاس « هو انعكاس متشابه ، مهما تعددت اشكال واساليب المجابهة ، لأن الحاسم هنا ، هو الموقع الفعلي للشاعر وانتمائه العملي في لحظة المجابهة » (ص ٧) .

ولهذا فقد « حفل تاريخ الشعر العربي بنماذج متعددة من شعر البطولة والمقاومة ، إلا أن هذا الشعر ارتدى زيه التاريخي الخاص به ، حيث عرف بشعر الحرب والحماسة والفخر ... الخ ... وهذه التسميات هي عناوين متعددة لأزمنة المجابهة التي شهدتها مراحل التاريخ العربي ، على مختلف الجبهات الداخلية والخارجية » (ص ٧) .

بعد هذه الاستشهادات الواضحة نعود إلى نص الاستاذ **منصور** « لا يلتقت الناقد (**نزيه ابو نضال**) لاختلاف طبيعة المقاومة أو المجابهة ... » .

لقد « التفت الناقد » ، كما رأينا ، لاختلاف طبيعة المجابهات ، ولكن يبدو أن الاستاذ **منصور** هو الذي لم « يلتقت » لهذا « الالتفات » ، ولا ندري إذا جاء ذلك سهواً أو « تقصداً » .

وفي مناقشته للفصل الثاني يأخذ الاستاذ **منصور** علينا ما يلي: « في قصيدة بنلوب **لعبد الرحيم عمر** استلهام للأسطورة اليونانية .. الناقد يكتفي باخراج المعنى ، الدلالة الراكدة للاسطورة نفسها ، لا تهمه قدرة الشاعر على هضم الأسطورة وعصرنتها ... » .. انتهى .

لقد ورد الاستشهاد بأبيات **عبد الرحيم عمر** في سياق رصد عدد كبير من النماذج الشعرية التي تؤكد على الاصرار والعودة والامل بالثورة في مرحلة الخمسينات ، وقد تناولنا نماذج من **بسيسو** ، **والقيسي** ، **وهارون هاشم رشيد** ، **ويوسف الخطيب** ، **وفدوى طوقان** ، **وابو سلمى** ، **وعبد الرحيم عمر** ، وهؤلاء هم ابرز شعراء الخمسينات ، وهدفنا من رصد النماذج الشعرية محددة في توضيح الاتجاه الرئيسي لحركة الشعر ، في تلك المرحلة ، ولم يكن هدفنا دراسة علاقة الأسطورة بالشعر ، ومدى هضمها وعصرنتها ، فاذا كان **منصور** يطالبنا بالحديث عن كل شيء عند عرض كل مسألة وإذا لم نفعل ذلك نكون مقصرين ومهتمين بالمضمون فقط ، فهذا جهد واسلوب لا نقر عليه ، علما اننا ناقشنا علاقة التراث بالشعر وموقع الأسطورة في حركة الشعر العربي والفلسطيني ، في الصفحات من ١١٢ إلى ١٢١ من الكتاب .

غير أن المسألة الأكثر طرافة ، التي يأخذها علينا **منصور** عند الحديث عن الاسطورة ، هو ملاحظته بأن « الكتاب يقدم فكرة في موقع من الكتاب ويعارضها في موقع اخر . على سبيل المثال . يرى في الفصل الخامس من الكتاب أن الاتجاه إلى الأساطير والرموز اليونانية نوع من التغريب التراثي ، فيما سبق له وان استخلص معنى مباشراً رضي عنه في قصيدة بنلوب **لعبد الرحيم عمر** » .

أما كيف اكتشف منصور بأنني رضيت أو استأت عندما اوردت ابيات **عبد الرحيم عمر** ، فلا ادري إذ ان

Digitized by Birzeit University Library

كل ما فعلته ـ كما قلت قبل قليل ـ هو مجرد تسجيل نماذج شعرية ، تكشف هموم شعراء الخمسينات ، ولم اكن بصدد لا المناقشة الفنية ، ولا الأسطورية ولا إعلان الرضى أو الاستياء ، وقد اعتبرنا **منصور** مقصرين لاننا لم نفعل ذلك ، وها هو الآن يعلن رضانا عن الاستخدام الأسطوري اليوناني . فمن هو الذي « يقدم فكرة في موقع ويعارضها في موقع اخر » ؟ اللهم إلا اذا كان الأمر « تقصداً في عرض السلبيات » . يقول **منصور** ، كذلك بأنني توصلت « الى أن **القيسي** واهن الانتماء ، ضعيف الالتزام ، لأنه **يقول :**

ولو أن الطريق اليك ميسور ... الخ » . « انتهى تعليق **منصور** ، لاحظوا التركيب المقلوب ، لان **القيسي** يقول كذا فهو واهن الانتماء « بينما التركيب الطبيعي والصحيح هو « أن **القيسي** واهن الانتماء ولهذا فهو يقول كذا » .

والآن ، لنعد إلى الكتاب الذي ركب منه **منصور** معادلته المقلوبة . بعد الحديث عن الشعر الملىء بالتفاؤل والاصرار والأمل ، في تلك المرحلة ، واليقين بطلوع الفجر ، والثقة بالمستقبل والحياة ، نقول . « هذا النبض القوي والاصرار على العودة نجده عند **محمد القيسي** إحساساً مليئاً بالوهن والفتور لافتقاره إلى اليقين والالتزام .

ولو أن الطريق اليك ميسور ... الخ . » (ص ٦١) . فهل هذا النص الواضح ، وفي السياق الذي طرح به ، يساوي المعنى الذي أورده **منصور** ؟

لنتابع ... يقول الاستاذ **منصور** « إن أراءه (**نزيه أبو نضال**) في استخدام الأسطورة اليونانية لا تخلو من تعميم ... فالأسطورة ليست ، هي الأخرى ، ذات هوية قومية محددة الحواف .. لها منابع متابعة خلف الجميع ... لهذا ألا يجد الناقد أن تكرار الأسطورة الواحدة ، بأشكال مختلفة ، في جميع الحضارات ، امر يستحق المناقشة » .ويضيف قائلا « وهو إذ **يحصر** استخدام الأسطورة الغربية في تيار مناقض للاتجاه العروبي (**ادونيس انسي الحاج ، يوسف الخال**) **لا يفطن إلى ان السياب** بنمانجه المبكرة كان مؤسسا في هذا الاتجاه .. » انتهى كلام **منصور** .

لا ادري حقيقة إذا كان الاستاذ **منصور** قد قرأ الكتاب ، فعلا ، قبل أن يكتب عنه أم أنه كان مشغولا « بمقاصد » أخرى . وسأكتفي هنا بايراد النص التالي . « وجاء الانحراف التراثي على ايدي عدد من الشعراء المحدثين ، نتيجة عدم الانتماء للجماهير وقضاياها وهمومها ، لقد غرق هؤلاء بهمومهم الذاتية ونفاقاتهم الخاصة وللدور النخبوي للشعر كما يرونه هم ... وقد تمثل هذا الانحراف باستحضار الرموز والاساطير اليونانية والرومانية .. والفينيقية ، ومن بين هؤلاء برزت اسماء **السياب وادونيس والحاج والصايغ والخال** » (ص ١١٣) .

إن إيراد هذا النص ليس بهدف اثبات بأنني « فظنت » **إلى السياب** ، ولكن لمسالة اكثر اهمية : فحين نقول « في تعامل الشعر الفلسطيني مع الرموز الأسطورية لا يوجد مكان للهموم الذاتية ، ولكنه مرتبط بقضايا الوطن والجماهير » .

وبعد ان يورد **منصور** هذه العبارة يكتشف من السياق بأننا نعني « التخلي **المطلق** عن الفرادة ، واخيرا التخلي عن كل خصوصية **ممكنة** في تجربة المبدع » .

ليس من السهل على المرء ان لا « يبقى البحصة » ـ كما فعل **الخوري** ـ أمام هذا التفسير « التقصدي » . لقد وردت هذه العبارة عن تعامل الشعر الفلسطيني مع الأسطورة في مواجهة تعامل شعراء النخبة (**السياب وادونيس والخال ...**) مع الأسطورة وهؤلاء ، كما قلنا في النص السابق ، انحرفوا تراثيا بسبب غرقهم في الهموم الذاتية ، أما الشعراء الفلسطينيون ، الملتزمون بالثورة والجماهير ، ففي تعاملهم مع الرموز الاسطورية ، لا يوجد مكان للهموم الذاتية ، التي تؤدي الى الانحراف والتغريب . فهل هذه المقارنة تعني « التخلي **المطلق** عن الفرادة .. وعن كل خصوصية ممكنة في تجربة المبدع » ؟ ثم ليدلنا السيد **منصور** ، بعد ذلك ، إلى ان « **المجموع** » ، ليس في النهاية ، سوى هذه « **الآحاد** » المتناغمة . اليست رائعة وجليلة هذه الحكمة الجانب ، ولكننا اكدنا على ضرورة الالتفات **اولا** إلى تراثنا الأسطوري ، وبعد ذلك يمكن التعامل مع تراث

المعجم الشعري

نصل ، بعد ذلك ، إلى الالتباس الشائع حول مسألة القراءة المعجمية للشعر الفلسطيني ، والتي لم يجد فيها خيري **منصور** سوى أن الزهور نبات برجوازي : لانه لا يؤكل ، وان أي شاعر « سيء النية » يمكن أن يحشد مفردات عن الفقر والحرمان والأسلحة ليبدو شاعرا ثوريا منتميا ... ان (شاعرا) سيئا فقط وليس « سيء

Digitized by Birzeit University Library

النية ، يمكن أن يحشد مفردات بعينها ليكتب (قصيدة) ، ولا ندري إن كان بامكان الشاعر **خيري منصور** ان يفعل ذلك ، مهما أراد أن يكون سيء النية : فعملية الأبداع الشعري ـ **ومنصور** خير من يعرف ذلك ـ هي لحظة انفعالية متوترة لا يتاح ، خلالها ، للمبدع أن يضع جدول اعمال لقصيته ، ولا أن يختار بحرها وتفاعيلها وقوافيها وصورها وموسيقاها ، فكيف بحشد مفردات مسبقة لكتابة قصيدة ، اللهم إلا إذا كانت قصيدة في مدح السلطان أو في رثاء والدة خليفة .

حين قررنا استخدام منهج القراءة المعجمية للشعر الفلسطيني لم يكن يدور بخلدنا أية نية مسبقة من نوع منح شهادات الثورية أو البرجوازية ... لكننا لاحظنا ، من خلال متابعتنا للحركة الشعرية الفلسطينية في اطار الثورة ، أن مفردات ، أو قل لغة خاصة ، تتكرر فيها .. أما ما فعلناه نحن فهو تبويب أكثر المفردات إستخداما لدى شعراء الثورة ، ومن ثم دراسة نتائج ودلالات هذه الجداول والمفردات ومقارنتها .

نحن ، هنا ، امام وضع شعري منجز ، ولسنا أمام شاعر سيء النية .

كيف تنعكس الممارسة الثورية على لغة الشاعر . أي على معجمة الشعري ، من حيث هو ـ أي الشاعر ـ تكوين سابق على الثورة ، وبالتالي ما هي حصيلة هذه الجدلية ؟

لقد درسنا سبعة دواوين شعرية لخمسة شعراء ، وقمنا بقراءة مقارنة لمعجم كل من **أحمد دحبور ومي صايغ** ، قبل الثورة وبعدها .

أما عدد المفردات التي بحثنا فيها فكانت ٢٢ مفردة ، وهذه المفردات تكررت ، بنسب مختلفة ، عند الشعراء الخمسة ..

لماذا نجد « المخيم » عند دحبور وحده والأم والأرملة واليتيم ، عند **خالد أبو خالد** ، « والحزن » عند **محمد القيسي** ، و « الزهور » عند **مي صايغ** ؟ ثم لماذا يستخدم الجميع كلمات قتل وسلاح وموت باستثناء **مي صايغ** ، التي تستخدم ، فقط ، كلمتي سلاح وموت ، دون أن تقيم الصلة بينهما بكلمة القتل .

لقد تكررت المفردات الاثنتين والعشرين حوالي ٢٤٠٠ مرة ، في الدواوين السبعة ، أقلا يستحق ذلك الملاحظة . وهل يجوز تقزيم الأمر كله بمحاولة التظارف حول الزهور البرجوازية والشاعر سيء النية .

ثم إن الأمر ، كما أكدنا في كتابنا مرارا ، ليس مجرد استخدام للكلمة ، وانما بأسلوب وبموقع استخدامها ، وقد ضربنا عشرات الأمثلة للدلالة على هذا الفارق الهام ، ولم نكتفي بالعدد لنستخرج ، كما يقول **منصور** ، انتماء الشاعر الطبقي والثوري .

وسنوضح الأمر ، بنفس مثال زهور منصور البرجوازية . في ملاحظاتنا على معجم **مي صايغ** الشعري قلنا ما يلي . « اول ملاحظة يخرج فيها من يقرأ المعجم الشعري **لمي صايغ** هي اكتشاف أصولها الطبقية البرجوازية ، وبأن معاناتها الثورية ناتجة عن التزام سياسي ونضالي وطني ، وليس عن انتماء طبقي ... ويبدو ذلك ان استخدامها لكلمة فقراء مرة واحدة « وخبز » ٣ مرات . أما كلمتي (أكل) و (جوع) التي تستخدمها ٩ مرات ، فانها ترتبط بجوع الأطفال وليس بجوعها هي » (في احدى قصائدها تتحدث عن أطفال الجيران الجائعين) » .

والجانب الآخر الذي يكشف منشأها البرجوازي استخدامها لكلمة الزهور ٣٠ مرة ، بينما لم يتجاوز هذا الرقم ، عند أي من الشعراء الآخرين ، العشر مرات **وبدلالات** مختلفة .

ان **استعمالات مي** لكلمات زهور فيه حس ، ترف ، وإن كان مرتبطا بالوطن والبيت .

بحضن الارض لا ننسى طفولتنا
ونبكي بابنا المعقوص بالليك

لاحظوا بابنا المعقوص بالليك

فهل في هذه القراءة المعجمية للكلمات ودلالاتها مجرد تصنيف للمفردات وارقامها بحيث نضع هذا الشاعر في موقع الانتماء الثوري والطبقي ونحجم آخر ، كما استنتج **منصور** مستظرفا ثم ان الأمر ليس بهذا الشكل السطح الذي يصف به الاستاذ **خيري** الأمور ، فالمسألة ليست دفاعا او اتهاما ، لأننا نقول ، مباشرة بعد الاستنتاجات السابقة ، ما يلي . « في المرحلة التالية لشعر مي صايغ حدث ، كما قلنا ، تطور نوعي حسمت فيه في شعريا انتماءها لجبهة الكادحين والفقراء ، بعد ان كانت ، قبل ذلك ، قد حسمت الموقف سياسيا وفكريا وانتماء » (ص ٢١٧). وقد دللنا على ذلك بقراءة معجمية مقارنة لشعرها في مرحلة ديوانها الأول اكليل الشوك وديوانها الأخير عن الدموع والفرح الآتي . **خيري منصور** لم يلتفت من هذا كله الا إلى الزهور البرجوازية وجداول

Digitized by Birzeit University Library

الرغيف والسلاح . ومرة ثانية هل كان همه خلال مطالعته النقدية لكتابنا البحث عن اية سلبيات موجودة أو متوهمة وبصورة تقصية » ، كما قال ام البحث الشامل في الكتاب موضوع النقد .

منصور يأخذ علينا الاهتمام المفرط بالمضمون على حساب الشكل ... حسنا ... أفلا يستحق المضمون مناقشة جادة ؟ ثم لماذا تجنب هو ، شخصيا ، التوقف عند الفصل الخاص بالشكل الفني ، بما تضمنه من قراءة للايقاع والقافية والتفعيلة وموسيقى الالفاظ ... واكتفى ، فقط ، بأبلاغنا ان قصيدة الفقرة التي بحثناها هي القصيدة التدويرية .

إن النقد بعين واحدة لا ينتج نقدا ، ولكن فقط مجموعة من عمليات التصيد التقصية ..

من جهتنا ، نحن ، لا ننفي عن محاولتنا وجود نواقص ، بل نواقص اساسية ! لأن المنهج الذي استخدمناه هو جديد بموضوعه ، ولا زال بحاجة إلى عشرات الدراسات لكي يستقيم ويقف على قدميه .

خيري منصور لم يلحظ هذا المنهج ، ولم يتوقف عنده لانه كان مشغولا بما هو أهم ، مما أوقعه بسلسلة من المغالطات والأخطاء والالتباسات ، بدل أن يناقش الموضوعات الأساسية المطروحة .

- الممارسة الثورية للشاعر وانعكاسها على شعره شكلا ومضمونا .
- التوصيل كشرط اساسي من شروط الشعر الثوري ، والعناصر الشعرية التي تحقق عملية التوصيل .
- العلاقة بين الشاعر الثوري والتراث .

هذه بعض المحاور الأساسية التي حاولنا استجلاءها بقراءة ملموسة لشعر منجز وليس لمفهوم شعري متخيل .

ان النقد ، من وجهة نظرنا ، هو عملية تحليلية باردة ، بل تشريحية للدفقة الشعرية الحارة ... وفي المقابل هناك من يرى بأن العملية النقدية هي عملية فنية موازية للعمل الفني ، ويبدو ان منصور من أنصار هذه المدرسة ، ومن هنا فان النقد لدى هؤلاء يتحول إلى صياغة فنية تأخذ شكلا إبداعيا ، وليست قراءة تحليلية تعتمد المنهج والقانون والجداول الاحصائية .. الخ ... ومثل هذا المزاج الفني ، النقدي في المحاكمة يظل معرضا بسبب من ذاتيته للأخطاء . ومن هنا فلن نستغرب كيف استطاع خيري منصور ان يرتكب كل هذه الاخطاء ، بمقره ، وبمقالة واحدة فقط .

Digitized by Birzeit University Library

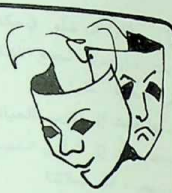

عرش أوزوريس

أوبرا مصرية
في ثلاثة فصول

تأليف
محسن الخياط

القاهرة في ٣٠ آذار (مارس) ١٩٧٤ م

« الفصل الأول »

[المشهد الأول]

المنظر :

شاطىء بحيرة البرلس ، حيث يعيد الشاطىء الى الأذهان احراش الدلتا القديمة .. الأحراش تختلط برمال الشاطىء . يبدو الشاطىء مزيجا من الحاضر الممتد بجذوره إلى الماضي السحيق ، حيث كانت مأساة « اوزوريس » .

على الجانب الأيمن كوخ صغير تسكنه « إيزيس » ، أخت « اوزوريس » وزوجه .

على اليسار مجموعة من الفتيات والفتيان في زي عصري ، تماما ، يجسدون الكورس الذي يكون عدده محدودا في البداية .. ويكبر ، تدريجيا ، مع كل فصل .

« الوقت نهارا »

الكورس :

او زريس يا رب النماء
يا كل افراح البشر
أنت الخصوبة والثمر
أنت الثمر ،
الشمس أنت ،
وأنت احلام القمر

Digitized by Birzeit University Library

إن غبت عنّا ،
غاصت الاحلام في قاع النهـر
اوزريس ادركنا .. فقد بات الخطر
يتهدد الاحلام ،
والأيام ،
يعبث بابتسامات القدر .
ويجرد الشيطان حتى من ظلال السنبله
ما زال « ست » ،
يقيم للأحلام أفظع مقصلة
ما زال يقتلع المحبة .. والصفاء
ما زال ينسج تاجه ،
من كل آهات الجراح .. من الدماء

« يفتح باب الكوخ .. تخرج منه **إيزيس** وقد أخذت تحت إبطها حوريس ولدها ، الذي بلغ من العمر ١٠ (عشر سنوات) .. ترتدي **إيزيس** زيا طويلا أبيض اللون ... تبدو حزينة مهمومة ... تنتقل الى قلب المسرح في خطوات وئيدة » .

الكورس : (إلى إيزيس)
يا بنت رع
يا أخت اوزور العظيم
لا تفزعي
وتشجعي

إيزيس : (وهي تتذكر احداثا سابقة)
قتلوه ،
قتلوا حبيبي مرتين

(لحظة صمت)

قد كنت ادرك أن في هذي الحياة
خيرا .. وشر
لكن ابشع ما اراه
أن يقتل الاخ .. ويلتي ... جهرا اخاه

(تغطي وجهها بكفيها ، وهي تخفي دمعة سالت على خدها)

الكورس :
لم يكفهم أن يقتلوه
بل قطّعوه ،

Digitized by Birzeit University Library

إربا .. والقوا كل شلو في مكان
ومضت « إيزيس » تجمع الأشلاء ،
حتى جمعتها كلها
وبدمعها عادت إلى الإرب الحياة
وبدمعها عادت إلى الوادي الخصوبة ... والنعيم
« أوزريس » أنت صلاتنا ،
في معبد الحب الإلهي العظيم
« أوزريس » هل ذوّبت روحك في مياه النيل
كي تهب الحياة ؟ ! ! !

(إلى إيزيس)

يا بنت رع
يا اخت أوزور العظيم
لا تجزعي
وتشجعي
بل أنت حتى ترفضين له الحداد ،
وتلبسين الشمس ثوبا ،
نوره يطوي السواد

(يدخل « ست » وقد بدا في ثياب فرعونية فاخرة ، برفقة وزيره وحامل اختامه ... خلفهما شرطيان بملابسهما الفرعونية) .

(يدخلهم يتراجع الكورس خطوة إلى الوراء) .

(يقف « ست » في مواجهة « إيزيس ») .

ست : (محاولا السخرية من إيزيس)
ما زلت تنتظرين عودة من ذهب
بل تحلمين
وتؤلبين الناس ضد العرش ،
حتى تثبت الأوهام في الشعب ال غضب

إيزيس : (بثبات وثقة)
لقد إغتصبت العرش

ست : مستنكرا
لا ... لم أغتصبه

إيزيس :
بل إغتصبت ،

Digitized by Birzeit University Library

وكنت نيران الحطب
كنت الخديعة ،
والخيانة ،
كنت السنة اللهب
ارقت طفلا كان يحلم باللعب
ووأدت حلم الشعب ..
خنت صلاته ،
واخذت ما أعطاه رع
الدفء .. والخير الوفير ... وشمسنا
اغرقتهم في بحر طوفان الجزع
اطلقت شيطان النذالة حيث كنت ،
وسيلها ... من يومها .. لم ينقطع

ست : (ثائرا موجها كلامه لوزيره)

أيهان ست ؟ ! !

إيزيس : (مستطردة)

المعذرة ،
لكنما روح القتيل ... أخيك .. ما زالت
ترفرف في سماك
هيهات يهدأ بالها حتى تراك
وقد اتتك اللعنة الكبرى ،
تجرجر في خطاك
دمها على كفيك يهتف باسمنا
شلت يداك
شلت يداك

ست : (في غضب شديد وقد حاول أن يستل خنجره من غمده متقدما نحو إيزيس ، بينما يحاول الوزير أن يقف حائلا بينه وبينها) .
إيزيس كفى ... او قتلتك ؟

(**حوريس** يحتضن أمه في رعب شديد) .

إيزيس : (تواصل التحدي)

لن اكف ...
وإن أطرت الرأس مني .. لو تشاء
حتى يباركها أخوك إبن العدالة في السماء .

الوزير : (وقد وقف بين الاثنين)

مولاي ...

Digitized by Birzeit University Library

لا تنصت إلى هذا الجنون ،
فكل ما تروي هراء

ست : (لوزيره غاضبا)
أو كل ما يرويه هذا الشعب عن إيزيس
تدعوه هراء

الوزير : (مهدئا)
مولاي لا تغضب
فمن ينطق بما تنطق به إيزيس
نودعه بأعماق السجون

إيزيس : (وهي تجر إبنها متجهة نحو الكوخ)
السجن قد يبلي الجسد
لكن روح الشعب ،
لا تبلى وإن مات الجسد

(تلف إلى كوخها وتغلق الباب خلفها) .

ست : (لوزيره)
شبطانة إيزيس

الوزير :
لا ... بل مشكله

ست :
والحل ؟ !

الوزير :
نودعها ... ؟ !

ست : (متظاهرفا بالاستنكار)
أتقصد ما تقول ؟ ؟ !
إنن تتم المهزلة ! !

الوزير : (وقد أشاح بوجهه عن **ست** ، وهو يحدث نفسه في صوت خفيض) .
أو لم تتم المهزلة ؟
أوزيس غيبناه في عمق الثرى
والشعب قتّلنا على جفنيه ..
أحلام الكرى
والصدق ما قالت إيزيس ...
قد مات ..
لكن لم يمت حب الملايين الحزينة .

الوزير : (بصوت عال موجها كلامه إلى « **ست** »)

Digitized by Birzeit University Library

مولاي
ماذاتبتغي
الملك بين يديك ،
والثروات ،
والايام في أبهى صـــور
ماذا يضير وانت مالك كل شيء
ان يعاديك البشر !

(وهم يهمون بمغادرة المكان)

الوزير : (في ملق واضح)
أنت الوجود لهم .. وأنت الجود
بل أنت المقدر .. والقدر
إن شئت تطفىء شمسهم ..
أو شئت ينخسف القمر .

(يختفيان من المكان)

الكورس :
الشر كالافعى ،

يبعثر سمه في كل أرجاء المدينة ،
الشر يقتلع السلامة .. والسكينة
والريح ...
تعبث بالشراع وبالسفينة
« أوزريس » أدركنا ،
فقد بدت الحياة رؤًا حزينة
« أوزريس » هل دمّوبت روحك في مياه النيل
كي تهب الحياة ؟ ! !

« أوزريس » هل ذوبت روحك في مياه النيل
كي تهب الحياة ؟ ! !

(يندفع إلى المكان فلاح مسن يجأر بالشكوى ... موجهـا كلامه للجمهور) .
الفلاح :
يا خلق ..
يا ناس

Digitized by Birzeit University Library

اللقمة صارت في ندرة أحجار الماس
والبسمة ثبلت ،
وتجمد في الناس الأحساس
قد حرث لماذا تخمد في الناس الانفاس
الانا نعشق هذي الأرض ؟
الانا نفرغ للحب الأجراس

(يندفع الى الساحة شرطيان)

شرطي (١) :
مابالك يعلو صوتك يا هذا ؟
ولماذا هذي الضوضاء ؟

الفلاح :
إختلطت في عيني الوان الاشياء
فالأبيض والأسود صارا عندي
في الالوان سواء

(الى الشرطي الأول)

خبرني أنت
لما نبذر في الأرض الحب ،
فما تنبت غير الحلقاء ؟

(الى الشرطي ٢)

خبرني أنت ،
لماذا نفتقد الأمن
ونخشى من غدنا في كل مساء ؟ !

(الى شرطي ١)

خبرني أنت ،
لماذا عمّ القحط ،
وجف النيل ،
لماذا ماتت في السحب الأنواء ؟ !

شرطي (١) : (وقد أمسك بأحد زراعي الفلاح)
كافر أنت بست

Digitized by Birzeit University Library

شرطي (٢) : (وقد أمسك بالذراع الاخرى)
مارق حتى النخاع
الفلاح : (بعد أن جذب ذراعيه منهما بعنف)
(ساخرا)

كافر أنت بست
مارق حتى النخاع
قد كفرنا حين تهنا في دياجير الضياع
شرطي (١) : (وهو يوسعه ضربا)
كف عن هذا الجنون
شرطي (٢) : (وهو يفعل نفسي الشيء)
كف عن هذا الصراع
كلكم يشدو بنفس الأغنية
نفس أنغام إيزيس
شرطي (١) :
أنت مقبوض عليك
كل من ينطق بما تنطق به إيزيس ،
مقبوض عليه
الفلاح : (وهم يسحبونه الى الخارج)
يا أوزريس ، العظيم
هل تعود ؟
كلنا شوق إليك
كلنا شوق إليك ؟
(يدخل إلى الساحة ثلاثة من الشبان ، يرتطمون أثناء دخولهم الى المكان بالشرطة والفلاح .. تتملك أحدهم الدهشة ...)
الشاب (١) :
لا تدهش ..
فالنظر يتكرر عشرات المرات

(للشاب ٢)

دعنا من ذاك ، وخبرنا ما أنباء إيزيس
هل رحلت ،
هل قتلت ؟
هل غابت في أعماق الـ ...

Digitized by Birzeit University Library

(مشيرا بيديه إلى السجن)

الشاب (٣) :

قد ضاق السجن بمن فيه

وتشرد باقي الأهل

الشابة :

والطفلة ... والكهل ..

الشاب (٢) :

هل حقا أن إبزيس ارتحلت

وتخلت . عن روح الثأر

الشاب (١) :

لا تلقى بالكلمات جزافا

فتحقق ما يبغيه الشر

فالشر يشيع الأخبار الزائفة ،

لينزع منا روح الصبر

قد نشرب في كأس الأعوام القادمة ،

العلقم والمر

لكن ،

فليحذر كل منا أن تضطرب الرؤيا

أو يختلط على الناس الأمر

فقضية إبزيس قضيتنا

وقضية هذا الشعب

الشاب (٢) :

العدل ..

ورفع الظلم

ونشر لواء الحب .

الكورس : (وهم يهمون بالخروج)

قصتنا لم تبدأ بعد

قصتنا تبدأ ساعة أن نقفز عبر الأسوار

لنتابع رحلة ست

في كل زمان .. ومكان

يتلون آلاف المرات كما الحرباء

ويغير كل أوان جلده

كي يبقى ست ..

Digitized by Birzeit University Library

ويظل الداء بدون دواء ...

(تخرج **ايزيس** من الكوخ ، وهي تمسح على رأس **حوريس**)

الكورس : (مخاطبا **إيزيس**)

لكنّ إيزيس
توقن أن وراء الليل نهار
فلتمض إيزيس بموكبها
بحثا عن روح العدل ،
الغارق في طوفان اليأس

• • • • •

« المشهد الثاني »

المنظر :

(نفس المنظر السابق . **إيزيس** عائدة الى كوخها يبدو عليها الإنهاك ، وإلى جانبها ولدها **حوريس**)

(الكورس يحتل نفس المكان) .

(الوقت نهارقا)

الكورس : (**إيزيس** وقد جلست مسندة ظهرها إلى باب الكوخ ، وأمامها يجلس إبنها) .

قد بدأت إيزيس الرحلة
لا تملك زادا غير الحب .. وأحلام البسطاء
وتشد على كتفيها الحق إزارا
يحميها من ريح الشر الهوجاء
قبلتها نور الشمس ،
لتنسج منه رداء للفقراء

حوريس : (لأمه)

أماه
أما سئمت نفسك طول الترحال

إيزيس :

يا ولدي
قد تأخذ رحلتنا العمر ،
وقد تطوي خطوتنا التاريخ

Digitized by Birzeit University Library

لنبحث عن رد لسؤال
وغدا ستشب عن الطوق
وتكمل عني الرحلة ، إن أدركني الموت
فاذا لم تدرك حتى تحقيق الحلم
فقد تدركه من بعدك أجيال

حوريس : (متسائلا)

وابي
اتراه يعود إلينا يا أماه

إيزيس :

سيعود إذا لم تسأم طول الرحلة .. يا ولداه
فمقاومة اليأس حياة ،
وابوك الخالد حلم الناس
إذا ما حلـم الناس بنور الفجر

(تدخل إلى المكان مجموعة الشبان .. هم نفس مجموعة المشهد الأول .. يتقدمهم أولهم نحو الكوخ حيث تجلس **إيزيس**)

الشاب (١) :

أنعمت مساء يا أماه

إيزيس :

أنعمت مساء يا ولدي

(يتقدم الاخران نحو الكوخ ، ويتهيأ الثلاثة للجلوس حول **إيزيس**)

الشاب (١) :

كنا نبحث عنك وكدنا أن يدركنا اليأس بالأمس ،
وقبل الأمس ،
سنينا تتشرد ،
نشرب مر الكأس

الشاب (٢) :

قد أطلق « ست » كلابـا تنهش لحم الناس
وتعري الجسد العريان ،
وتسلب منه الانفاس

الشاب (٣) :

لكنك يا أوزور نهار
لكنك يا أوزور قدحت قلوب الناس شرار
قد عشت بأيدي الناس مشاعل نور
قد عشت بأيدي الناس سنابل قمح

Digitized by Birzeit University Library

قد كنت أغاني الطير ،
ودفء الشمس ،
وظل الدوحة والأشجار

إيزيس : (بأسى)

لا تجد مع الناس القسوة

الشاب (١) :

القسوة لا تقتل في الناس الافكار

(مستطردا)

بالأمس
إعتقلوا صاحب علم
ودعوه بأن يلعن أوزوريس إله الحب
ضربوه
جلدوه
لكن العالم ظل يقاوم جلاديه ،
إلى أن مات
وهو يردد إسم الرب

إيزيس : (مستنكرة)

ما ابشع ما يفعل ست !

صوت آت من الخارج :

إيزيس ... إيزيس
يا زوجة أشرف إنسان

(يندفع إلى المكان الفلاح الكهل ... ممزق الثياب ، تبدو عليه آثار التعذيب ... ينظر يمنة ويسرة في وجل .. ثم يتحسس رأسه وجسده) .

الشاب (١) :

ما خطبك ؟
إهدأ وتكلم
إنك في حضرة إيزيس

(يتلفت حوله مرة أخرى ويتحسس رأسه وجسده ، قبل أن يبدأ في الكلام) .

الفلاح :

باركها الله وانقذها من هذا « الست »
(لحظة يلتقط انفاسه ، ويتحسس جسده ، مرة أخرى) .
أيام مرت لا ادري
إن كانت شهرا او دهرا ،

Digitized by Birzeit University Library

وانا في قبضة سجان
لا اعلم هل كانت دنيا
من صنع الناس أم الجان
وهل التعذيب وما يجري
يحتاج لصنعة فنان ؟ ! !

الشاب (٢) :

اضربت ؟ !!

الفلاح : (في شيء من السخرية)

الضرب بضاعته كسدت
وتطور ضرب الانسان
فهناك معدات أخرى
تجرحك بلا نقطة دم
تجلدك بغير الكرباج
تشويك ولكن لا تدري
من اين أتتك النيران ؟ ! !

(يتحسس جسده من جديد)

الشاب (١) :

لكن بالله وكيف هربت ؟ ؟

الفلاح : (ضاحكا ساخرا في نفس الوقت)

ها .. ها .. ها .. بقروش لان السجان ...

الشاب (١) :

أرايتم كيف نكبل بالاصفاد
أرايتم كيف يساق المرء إلى الجلاد

إيزيس :

نا لا ننشد غير الحق .. وغير العدل

الشاب (١) :

ان يحجب عنا كل الزاد
ان يسلب ما ينبته الحقل
إلا ان يمتهن العقل

الشاب (٢) : (إلى إيزيس)

والحل .. إيزيس ؟

Digitized by Birzeit University Library

الشاب (١) : (قبل أن تنطق إيزيس)

ان يوقن كل الناس بأن لأوزوريس قضية

وقضية أوزوريس بدون الناس هباء

إيزيس : (وقد هبت واقفة ومن خلفها الاخرون) .

فلينهض كل الفقراء

وليشرب كل منهم جرعة ماء

من كف النيل الرقراق

حتى تتجسد فيهم روح الخير

حتى يصبح أوزوريس دماء تجري ،

في الاعراق

الشاب (١) :

وليذهب كل منا لسبيله

ليبشر بالجنة تبنيها فوق الأرض

وليدرك كل الناس ،

بأن الجنة ليست للضعفاء

« ستار »

(الفصل الثاني)

« المشهد الأول »

المنظر :

(قاعة فسيحة ، فاخرة الاثاث ، في قصر حديث لأحد السادة ملاك الأرض .. يبدو السيد ، وقد اضطجع على أريكة ، وإلى جانبه يجلس أحد ندمائه ، السيد ونديمه في زي عصري يمثل أحد أمراء الإقطاع) .

(الوقت ليلا)

الكورس :

الأيام السود تمر ،

قل يوما ... بل اياما

Digitized by Birzeit University Library

بل شهرا .. بل اعواما .. بل الفا

لكن إيزيس ،

لم تخمد فيها روح الثأر

قد نبل ربيع العمر

ونقوس ظهر الأيام ،

لكن إيزيس ،

ما زالت مشرقة كجبين الفجر

ما زالت في نضرة أوراق الزهر

والسيد في هذا العصر

من يملك مالا .. وقصورا ... وضياعا

السيد يتسلى في أبهاء القصر

يتحكم في أرزاق الناس ،

يحولها كأسا من خمر .

قد ملك الأرض وصار الكل عبيد الأرض

افقدهم طعم الأمس ، وطعم اليوم

والجم في فمهم اغنية الغد .

(تبدأ الموسيقى في العزف ، بينما يتناول النديمان الشراب .. بعض الراقصات يدخلن وهن يتمايلن على صوت الموسيقى .. بينما تبدأ إحداهن الغناء) .

المغنية :

١ – يا نديم الروح هات

من رحيق الذكريات

واسقني الحب غناء

فيه تحلو أمسياتي

٢ – يا نديم الروح غنى

واسقني حلو التمني

إنما الأيام حلم

لم يزل يحلو لعيني

(وتكرر المغنية المقطع حتى قبل نهايته بقليل) .

(يقطع صوت الغناء أحد رجال السيد ومعه أحد الحراس)

الرجل :

سيدي

سيدة بالباب

Digitized by Birzeit University Library

قبض عليها الجند تبشر بالعدل .

الحارس : (في سذاجة شديدة)

بل تلعن سيدنا بأحط الألقاب ،

(يومىء السيد إلى الأمام ... يشير إلى المغنية والحسان بالانصراف) .

السيد :

ولماذا لا تلقى في أعماق السجن ؟

الرجل :

أو يلقى هذا الحسن بزنزانة ؟ !

السيد : (مندهشا وقد انفرجت بعض أساريره)

ألهذا الحد جميلة ؟ !

الرجل :

ما أجملها ..

لو خطرت في الروض لكانت أجمل ريحانة

السيد :

أدخلها ... بل أسرع

فلقد تطفي ظمأ النفس العطشانة

(تدخل **إيزيس** ، وقد أمسك بها حارسان .. بينما تعلق بجانبها **حوريس**)

السيد : (الى **إيزيس**)

هل حقا ما قال الجند ؟

إيزيس :

لا أدري ما قال الجند ؟

السيد : (مداعبا اكثر منه محذرا)

قد قالوا انك شيطانه

تتخفى في ثوب ملاك

وتثير الناس ولا تدري

بالأمر .. اذ الأمر هلاك

إيزيس :

أيلام المرء إذا قدم للناس الحب غذاء

فأنا لا أملك غير الحب ،

أقدمه للناس ،

صباح مساء ،

السيد :

من أين أتيت إذن ؟

Digitized by Birzeit University Library

إيزيس :
من تربة مصر أتيت
من فيض النيل أتيت
وبكيت سنينا حتى فاض النيل بدمعي حين بكيت .

(يترك السيد مكانه ويتجه نحو إيزيس)

السيد : (محاولا التبسيط معها)
ولماذا كان بكاؤك يا سمراء ؟
إيزيس :
ابكي من سيرّ في السحب الأنواء
ابكيه كما تبكي مصر الشهداء
ابكي من نشر جناح الحب ،
وارسى القارب حيث الناس تشاء
ابكي من وهب الخصب
وقال الكل أمام الرب سواء ...
الأرض لمن يفلح هذي الأرض
والزرع لمن يجمع ما في الأرض
فليعمل كل منكم حتى يشبع كل الفقراء
لكن ...
للغدر سلاسح ،
قد لوّن بدماه الخضرة والصحراء .
السيد :
لكنّا لم نسمع يوما
عن شيء مما تحكين
والفارس ،
من ذاك الفارس
ذاك المقدام

(متهكمفا)

المسكين ! !
إيزيس :
اوزيريس ...
ألم تسمع يوما ،
بحكاية ست وأوزوريس

Digitized by Birzeit University Library

(ينفجر ضاحكـا من قلبه ، وقد ظن أن بها مـس من جنون)

السيد :

أوزوريس ! ! ؟

(ساخرا)

واظن أمامي الآن إيزيس

إيزيس :

هو هذا ..

والواقف جنبي

السيد : (قبل أن تكمل إيزيس كلماتها)

حوريس !

ولدك حوريس

(محدثا الطفل)

لا شك بأنك حوريس

(يومىء الطفل خوفا بالإيجاب)

ستشب عن الطوق ،

وتحمل يوما سيف الثأر

ليعود الخير لأهل الخير

(بعد لحظات صمت)

ومن منا لا يرجو الخير

من منا لا ينكر أوزور ،

ودمعك يغسل فينا روح الشر

من منا لا يبحث عن روح العدل

(مخادعا)

في كل أوان نلقي للنيل بما نحصد ،

من أيام العمر

قربانـا للراحل ،

لكن الراحل تخنقه آلام العصر .

إيزيس :

يا سيد هذا القصر

إني صابرة مهما طال الصبر

Digitized by Birzeit University Library

لا تهدأ نفسي حتى يرجع زوجي في خطوات الفجر
وسأعمل مثل الناس ،
والقي بحصادي قربانـا للراحل كي يرجع
ليضيء الشمس ،
ويصنع من دمه إكليل النصر .

السيد :

ما قلت الساعة عين العقل .

(موجها كلامه للحراس)

هذي إيزيس ،
خذوها تعمل في الحقل
وحصاد إيزيس الى الساحة يأتي
حتى نجمع كل حصاد الارض
نهبه بأيدينا للروح الذائب ،
في اعماق الدهر ...

(يأخذ الحارس **إيزيس** الى الخارج ، بينما ينفجر السيد في ضحكات مدوية) .

الصديق :

لم اسمع قط حديثا مثل حديث اليوم .. إيزيس ،
حوريس ... وست ،
وحكايا مثل الاحلام
وطيوف خيال كنت اراها حين انام ..

السيد : (وهو يربت على كتف الصديق ضاحكا)

لا تجزع
فالأمر يسير .. او لم تسمعها تسأل ،
إن كنا نعرف قصة ست واوزوريس ؟ !

الصديق :

فعلا .. ! !

السيد :

فالقصة تروى منذ قرون
أسطوره
هل تعرف معنى اسطورة ؟

الصديق :

لا اعرف معنى الأسطورة
لكن الشابة تبحث عن إنسان

السيد :

فلنبحث كيف تشاء

Digitized by Birzeit University Library

ولتجري بحثا في أرجاء الأرض
من تبحث عنه ،
لم يولد في الدنيا بعد ..

الصديق : (بدهشة)
هل تقصد أن الشابة تهذي

السيد :
هو شيء أشبه بالهذيان

الصديق :
مجنونة ! !

السيد :
قد فقدت بعض العقل

الصديق : (محدثا نفسه)
والله لقد كانت أشبه بالقديسة .

السيد : (وهو يداعب صديقه)
لا تجهد نفسك واستغرق في خير الأرض
واشرب ،
واستمتع ،
وتذكر ،
أن الفلاح اذا أغفى
توقظه لفحة كرباج

(يضحكان ملء فيهما)

السيد : (الى الخدم)
إلينا بالحسان ،
والرقص والدنان
ولنشرب نخب إيزيس
أسطورة الزمان

• • • • •

« المشهد الثاني »

المنظر :

(منظر الكوخ السابق لايزيس)
(إيزيس بداخل الكوخ . باب الكوخ نصف مفتوح)

Digitized by Birzeit University Library

(**حوريس** يجلس أمام الكوخ وهويلعب ببعض الأحجار)
(**إيزيس** تبدو في زي فلاحة مصرية) .
(الوقت غروب الشمس)

كورس :
بعثت إيزيس سنينا تعمل في الغيطان
لم تأخذ أجرا
ما دام حصاد الأرض سيوقّف للقربان
النيل يفيض
والروح الذائب في أمواج النيل يعود .
(برهة صمت)

ما اطيب روحك يا إيزيس
تهبين عصارة عمرك كي ينتصر الخير
لكن .. ما أبشع سادة هذا العصر
يثمنون عصارة عمرك ،
كأس العمر
فالقمح ،
وعرق جبينك
قد كوّمه السادة في الأجران

●●●

حوريس : أماه .
إيزيس : (من داخل الكوخ)
صبرا حوريس ..
أما عودتك طول الصبر
حوريس : هل الحق بالأولاد لألعب يا أماه ؟
إيزيس :
قد أمسى الليل ،
فأجّل لعب اليوم لغد
فالليلة يبدو فيها البرد أشد .
حوريس : (ضجرفا)
البرد ... البرد
ولأم يخاف الناس قدوم البرد .. ؟ !

Digitized by Birzeit University Library

(يدخل إلى المكان رجلان ملثمان كل من جانب .. يكممون بسرعة فم الصبي .. ويحملانه إلى الخارج ..)

حوريس : (بصوت خنقته الكمامة)

أماه .. أماه ...

أدركيني يا أماه ..

أد .. ر ... كيني .. يا أماه

(تخرج **إيزيس** من الكوخ منزعجة ، حيث يكون المجهولان قد اختفيا تماما) .

(إيزيس تجوب المكان ، من أقصاه الى أقصاه ، صارخة)

إيزيس : حوريس ..

حوريس .. ! !

ولدي حوريس

يا نبت الحب

يا نبضة قلب القلب

يا آخر ضوء ولدته أحشاء الشمس

الويل لست ..

العار لست

قد عاد ليقتل ظل اليوم بسيف الأمس ؟

حوريس ...

يا فلذة كبدي يا حوريس ...

(تنكفىء على الأرض باكية)

(يدخل الى المكان الشبان الثلاثة برفقتهم الفلاح المسن ، تتملكهم الدهشة والانزعاج ، يلتفون جميعهم حول إيزيس) .

الشاب (١) : (منحنيا عليها مستفسرا)

إيزيس

ماذا قد جرى ؟ !

الشاب (٢) : إيزيس

هل امسسك سوء ؟ !

إيزيس : حوريس ! !

شاب (١) : هل اخذوه ؟

إيزيس : بل خطفوه

الفلاح : (باندهاش)

خطفوه ! ! ؟

Digitized by Birzeit University Library

شاب (١) :

اورور يخطف من جدد
والأمس ياكل يومنا
وغداً ستخنقه القيود

(يتحسس الفلاح جسده بطريقة لا إرادية)

شاب (١) :

لا تيأسي إيزيس
فالأيام قد تأتي بما لا تشتهين

إيزيس :

وابني .. حوريس
هل يقتلونه ؟

الشاب (١) : قد يفعلون

الفلاح : أو يجلدونه .

(يتحسس جسمه من جديد)

شاب (١) :

خدعوك يا إيزيس حين توسموا فيك الذكاء
اعطيت للأرض الدموع ،
ونقت الوان الشقاء ،
كي يحصد الجلاد ما قد تزرعين
من أجل من ؟ !
من اوزوريس ؟
لا ..
بل الف لا .
هم في الصباح يقدمون لنا اعز الأمنيات ،
ليذبحوها في المساء .

الفلاح : ها نحن نعمل في الوسايا ،
مثل ثور الساقية
ونساق للعمل المهين كما العبيد

شاب (٢) :

وإذا ارادونا لحرب ضارية
من أجلهم ،
كنا لحربهم الوقود

شاب (٣) :

Digitized by Birzeit University Library

يجنون هم كل الثمار
ونحن لا نجد القديد
الشاب (١) : وإذا انتفضنا ،
أغرقونا في المذابح ..والقيود
إيزيس : لكن .. وما شأن حوريس ؟ !
شاب (١) :
حوريس يا أماه نبت العدل في هذا الوجود
ابن لأوزوريس ،
للحق الذي قد ضيعوه
واليوم يبدو الحق طفلا ،
إنما
في لاحق الأيام سوف يشب عملاقا ،
يهد كل زيف ،
كل صرح ، للمذلة شيدوه

(تمسح إيزيس دمعتين ترقرقتا على خديها)
شاب (٣) : لا تبك يا إيزيس ،
بل حتى احرميهم من دموعك ،
إن كان فيض النيل مما تسكبين
حتى يجف النيل
لا يعطي لهم غير الدمار
خلِّ الدموع لمن أحب لك الحياة ،
لمن أراد لك الخلود .

« المشهد الثالث »

المنظر : (شارع ممتد في منطقة صناعية . الخلفية تطل منها مداخن بعض المصانع ..)
(تحت ظل شجرة يجلس الشبان الثلاثة ومعهم الفلاح المسن ، الكل يلبس الافرول) .
(الوقت نهارا)

الكورس : العالم يعلو ،

يتغير ،

Digitized by Birzeit University Library

يصبغ وجه التاريخ بلون العصر
فأمير العصر السالف قد يلفظه العرش
والذئب القابع عند الشاطىء ..
يعلو فوق القصر

●●●

شاب (٣) : قد قالوا إن العهد البائد ولى
وبأن الكل سواء
ويؤلف بين الناس إخاء

الفلاح : لا قن
ولا إقطاع ،
ولا أمراء

شاب (٢) : وسنبني الوطن ابناء لا يعلوه بناء

شاب (١) : (متهكمـا)
الكل يشيد حتى نلحق بالأيام
فالآلة سيدة العالم
والمصنع حلم الأحلام .

شاب (٣) : دستور يحكم بين الناس .

شاب (٢) : وقضاء يفصل بين الحاكم والمحكوم .

الفلاح : (على غير المتوقع)
وإبزيس التحقت بالمصنع

شاب (٣) : (مازحا)
تعمل .. كي تأخذ أجرا
تلقيه قربانا للنهر

شاب (١) : إبزيس الروحانية ،
لا تفتا تهتف بالراحل كي يرجع .

الفلاح : (ببلاهة)
هل يرجع حقا أوزوريس ؟

شاب (١) : (وهو يشير بإصبعه إلى عقل وقلب الفلاح)
أو زريس هنا ،
في القلب ،
في العقل ،
أوزريس سلوك ،
وحياة ،

Digitized by Birzeit University Library

وسلاح في وجه القهر .

(موجها كلامه للاخرين)

فليصبح كل منا أوزوريس بقلبه .
إن كنا نرغب حقا ،
أن نبني دنيا يملأها العدل

(تدخل **إيزيس** بسرعة .. لاهثة الانفاس .. تتزيى بزي العاملات ..)

(يبدو على وجهها الانزعاج الشديد) .

(ترتمي تحت الشجرة إلى جانب الشبان)

شاب (١) : (وهو يمسك بذراعيها) .
ما الامر إيزيس ؟
ما بالك ترتجفين ؟ !

إيزيس : إنتظروا حتى التقط الانفاس

شاب (٢) : ما الامر إيزيس ؟ !

شاب (٣) : ما الامر إيزيس ؟ !

إيزيس : إضراب ...
مصانع شتى في إضراب
ومتاقات تترى دون حساب

(تطفأ الانوار تماما . لتسقط فقط بقعة من الضوء على مكتب في جانب المسرح ... على المكتب يجلس أحد رجال الاعمال وهو يحمل في يده سماعة التليفون) .

رجل الأعمال : إضراب ! !
قد كان الكل عبيدا للإقطاع
فتحرر عبد الارض وأصبح سيد نفسه
يعمل ،
يتقاضى اجرا ،
يجد اللقمة بعد ضياع
فلماذا الاضراب إذن ؟ ؟

(صوت يأتيه عاليا من سماعة التليفون)

صوت : قد نادى الكل برفع الاجر
وامانا ضد شرور الاله
وشروطا افضل للشغيلة

رجل الأعمال : هذا تخريب

Digitized by Birzeit University Library

(بعد برهة)

إسمع ..
حاول بذكاء أن تخدع
بالليل تعامل ،
قد ينفع
فاذا لم تجد
فلا ترجع
فهناك نظام نحفظه
بالنار ،
لكي لا يتزعزع

تختفي بقعة الضوء ، وتضاء الانوار من جديد ، حيث تظهر إيزيس والرفاق) .

إيزيس : (وكأنها تكمل القصة)
واندس بقلب الجمع رجال أشبه بالعمال
وانقلب سلام الموكب .. في لحظات
ساح قتال
وتساقط فيه الجرحى بالعشرات

شاب (١) : هل مات رجال ؟

إيزيس : لا أدري
فأتا من هول المشهد عدت اجرجر قدمىّ
لا أدري ماذا أفعل ..

شاب (١) : لا تنزعجي يا إيزيس

(مبتسما)

انسيت بأن عدوك « ست »
في كل أوان يتلون في صورة إنسان اخر
لا يفتأ يبحث عنك بكل مكان

(تدخل مجموعة من الشرطة يتقدمها ضابط ... يقف الكل أمام رجال الشرطة وقد بدت الدهشة على الفلاح ، الخوف يتملك إيزيس بعض الشيء ...)

الضابط : (للأول)
ما اسمك ،

(مشيرا الى الثاني)

Digitized by Birzeit University Library

الثاني : حازم

(قبل أن يشير الى الفلاح)

واسمي رضوان

(إيزيس تلتصق بخالد)

الضابط : (مشيرا الى إيزيس)

من هذه .. ؟

خالد : إيزيس

الضابط : (ساخرا) إيزيس

(هـا .. هـا ... هـا ...)

زوجة أوزوريس ! ؟

(بحزم إلى رجال الشرطة)

كبلوهم بالقيود ...

(لهم جميعا)

كلكم بالأمر مقبوض عليكم

خالد : إننا لم نرتكب ما يوجب القبض علينا ؟

الضابط : بل فعلتم

خالد : قل لنا ماذا فعلنا ؟ !

الضابط : لعبة التحريض

الاضراب

تخريب المصانع

كلكم شركاء فيها

خالد : هل نخرب ما بنينا

الضابط : قد فعلتم .

خالد : المصانع نفتديها بالعيون

الفلاح : مثلما نفدى الجوامع ..

الضابط : (الى الفلاح)

الجوامع .. ! !

إنها منكم براء

مالكم والاتقياء

Digitized by Birzeit University Library

خالد : نحن قوم شرفاء
نحن للأوطان جند أوفياء
(وهو يدفعهم الى الخارج)

الضابط : (ساخرا)
أوفياء ! !
سوف يدفع كل فرد منكمو
(بسخرية اكثر) ثمن الوفاء
« ستار »

(الفصل الثالث)

« المشهد الأول »

المنظر : (سفح تل على ضفة النيل قرب أسوان ... الخلفية تعطي منظر النيل وبعض الأغنام التي ترعى)
(راعي غنم يجلس عند أسفل التل) .
(الوقت صباحا)

الكورس : الحلم النابت فوق التل يئن
وكفوف الريح
تعبث بالحلم ،
تدوس البرعم بالأقدام
لكن الحلم يقاوم
كي لا يخبو كالأحلام
الحلم بناء
الحلم سلام
الحلم يخاف الريح .. ولكن يمسك بالأيام

●●●

الراعي : الحق ينوب كحبة ملح
يا عمر العمر
ها أنت تمر .. ولا أجني

Digitized by Birzeit University Library

من رحلة عمري غير المر

وأبي ،

قد كان أبي في الدنيا طاقة نور

قد كان أبي في الدنيا ،

عين الشمس

قالت لي أمي ! !

(يظلم المسرح وتبدو إيزيس أمامه تحت بقعة ضوء ، وكأنه حلم) .

إيزيس : إن كنت تحب أباك ،

فقدّس نور الفجر

إن كنت تحب أباك

فقبّل طين الأرض

إن كنت تحب أباك

فبارك حفنة قمح

وارفع للقمة شعبك ،

لا تتركه يعيش أسير السفح

تختفي بقعة الضوء ، ويضاء المسرح ، وتبدو إيزيس للراعي حقيقة لا خيال ... تتقدم إيزيس نحو الراعي وقد عادت الى الزي الابي) .

حوريس : من ! !

إيزيس : سيدة تبحث عن مجهول

عبرت بالعمر قرونا ،

ذاقت فيها مر المر

في كل زمان ،

عشت أهدهد حلم النهر

ليعود الغائب منذ قرون

بيديه يشق طريقا في الظلماء

بيديه يعيد الحق الى الفقراء

(بحسرة)

لكن خطى الايام ،

تدوس أماني العمر

وتحيل النور ظلاما ،

لحظة أن ينطلق الفجر

الراعي : لكن هل أجرؤ سيدتي

أن أسأل عن هذا الغائب ؟

Digitized by Birzeit University Library

إيزيس : لا تشغل بالك يا ولدي

فالعالم يسخر من حلمي

العالم يضحك من ألمي

الراعي : (مندهشا) ولماذا يضحك ... سيدتي ؟ !

إيزيس : قد ظنوا الغائب محض خيال

ويأتي حين أردد حتى الاسم

كأني انسج للأيام ،

ثياب الوهم

الراعي : (بلهفة) سيدتي ،

بالله أفيضي

بمزيد من هذا الوهم

الحلم .. وأرباب الحلم

الاسم .. وعشاق الاسم

إيزيس : أيهم كثيرا أن تعرف ؟ !

الراعي : بالله أفيضي .. سيدتي

فأنا في وهم لا يرحم

احلم بالحاضر والماضي

أصحو ...

وأنام لكي احلم

أشدو للحب والحاني

تتردد من وتر ملجم

وأبي ،

العمر أناجي طيف أبي

وأراه كما قالت أمي

للكون الفرحة والبلسم

والغيث إذا المزنة جفت

والشمس إذا العالم اظلم

والخير إذا الشر تبدّى

والعدل إذا الظلم تحكّم

بالله

أفيضي سيدتي

فالعالم يقسو ...

يرجمني

بلهيب النار .. ولا يرحم

إيزيس : أفصح يا ولدي .. وتكلم ..

Digitized by Birzeit University Library

من كان أبوك ؟ !

الراعي : الخير أبي

الحب أبي

الشمس أبي

او زريس ابي .

إيزيس : (وهو تخفي تعرفها على ولدها)

اوزريس أبوك ؟ !

الراعي : وكل الناس .

ستسخر مني سيدتي

راع يتحدث عن اوزريس

ويقول بأن أباه .

إله الخير

(وهو يسترجع القصة)

القوه بقاع اليم فعاد

قتلوه .

والقوا بالاشلاء

فراحت تجمعها أمي .

من كل مكان

وبكت .. وبكت

بغزير الدمع

فهبّ وقام الى السماوات

يحمل ميزان العدل .

ليحكم بين الناس

(وهو يتفرس في وجه السيدة)

سيدتي سوف تقول ككل الناس

مجنون .. مجنون

إيزيس : لست بمجنون يا ولدي

بل أنت العاقل في دنيا

ما عادت يحكمها عقل

(بعد برهة)

هل تذكر أمك يا ولدي .

الراعي : اتذكرها كملاك يزهو

Digitized by Birzeit University Library

بثياب الحب القدسية

إيزيس : هل ماتت ؟

الراعي : ما ماتت أمي .. بل حية

إيزيس حياة ابدية

(وقد إستعاد بعض هدوئه)

سيدتي

قد بحث بمكنون فؤادي

ورفعت لعينيك شكاتي

وانا لا اعرف من أنت ؟

إيزيس : أنا مثلك أبحث عن نفسي

ابحث عن زوجي .. عن ولدي ..

الراعي : ولدك

ايزيس : قد كان بهى الطلعة مثلك

يلعب ،

يلهو ،

وانا أعمل في الحقل

والسيد يجمع ما أحصد .

يلقيه قربانا للنهر .

الراعي : (بدهشة) قربانا للنهر ! !

إيزيس : لكن ما حدث لابني كان امر

في ليلة ،

كان ابني يلعب بالاحجار جوار الكوخ

وكان الليل شديد البرد

وإذا برجال قد ولدوا من بطن الشر

الراعي : (مكملا القصة)

يأتون الى الساحة خلسة

ويكمم احدهم الطفل

إيزيس : بالضبط

الراعي : خطفوه

إيزيس : هذا يا ولدي ما فعلوه .

لا ادري هل حي يرزق

أم قتل كما قتل أبوه

(يندفع **حوريس** ، بكل الشوق ، إلى أحضان أمه)

Digitized by Birzeit University Library

لم يقتل ولدك يا أماه
فالشر يموت
والخير حياة
إيزيس : ولدي
يا فرحة عمر قد ولى
يا بسمة عمر لم يولد
حوريس : يا أروع أم
يا بهجة عمر لا تفنى

(ينفلت من بين أحضانها)

أقسمت بألا تحمل امي بعد اليوم
ذرة هم
وأن يتصدى الخير « لست »
ليعود أبي .. للارض البكر

يسقيها قبس الشمس
لينبت فيها نور الفجر
إيزيس : او تقدر ؟ ؟
حوريس : ما العمر إذا المرء تخاذل
إيزيس : والموت ؟
حوريس : الموت حياة يا أمي
ما دام الإنسان يناضل
إيزيس : والناس ؟
أحببت الناس .. جميع الناس
أحببت الارض .. وطين الارض
أحببت القأس
أحببت الزرع يقاوم كف الريح
أحببت شروق الشمس ،
غروب الشمس
حوريس : أحببت أبي « أوزور » ينادي بين الناس
العدل ... العدل ..
إيزيس : (وهي ترتب على كتفه)
إحذر يا ولدي أن يدركك اليأس
وإذا داهمك الموت ،
فمت مرفوع الرأس .

Digitized by Birzeit University Library

(يدخل الى الساحة **خالد وحازم وصابر** والفلاح رضوان)

خالد : إيزيس

(وهي تحاول أن تلفهم ، جميعا ، بذراعيها)

إيزيس : أولادي

خالد : نفترق مع الايام ،

ولكن تجمعنا يا أم قضية

إيزيس : أوزريس حبيبي قد يأتي

لينير طريق البشرية

حازم : أوزريس النعمة ،

رضوان : واللقمة ،

خالد : **أوزوريس شموس الحرية .**

حوريس : أوزريس حياة أبدية ..

إيزيس : (وهي تشير فخورة الى ولدها) ولدي حوريس

الجميع : (في نفس واحد) حوريس .. أهلا حوريس

(يندفع الجميع ويتبارون في عناقه)

خالد : قد كبر وشب

إيزيس : (بفخر) ويحمل كل صفات الاب

خالد : (الى حوريس) الخير لكل الشعب

والعدل لكل الشعب

ولكل الناس الحب

إيزيس : (وقد اتجهت بوجهها الى قرص الشمس)

يا رب

بارك ولدي حوريس

الهمه يسير بنفس الدرب

واجعله لكل الناس ،

الاب .. والاب

« المشهد الثاني »

المنظر : (نفس المنظر السابق)

(الوقت ليلا)

الكورس : الامل يزغرد في جنبات القلب .

Digitized by Birzeit University Library

إيزيس تمنى النفس بلقيا الزوج
والولد يتوق بكل الشوق ،
للقيا الاب
والدنيا ترقب مولد أوزوريس الحب
الرحلة طالت ،
وطريق الحلم ملىء بالاشواك
لكن الامل تهوّنه طول الدرب .

●●●

إيزيس : حوريس
اجنبي وتكلم
ما بالك لا تعطي رأيا
فالامر عظيم
لكن بلوغ الغاية أعظم
حوريس : لنجمع كل الناس ونبني
إيزيس : (بدهشة) اي بناء ؟ !
حوريس : نبني عرشا فوق الماء
عرشا يتألق ،
يزهو في خيلاء
فالروح الذائب في أمواج النهر
يجري ،
ويتوه مع الامواج بقاع البحر
فاذا ما سد العرش طريق الماء
تتجمع روح أبي ،
تتجسد روح الغائب فوق العرش
إيزيس : تقصد أن نبني سدا فوق النيل
حوريس : هذا ما أقصد يا أماه
فبناء السد
سيعيد أبي
ويعود بكل الخير على الفقراء
فلندعوا كل الناس ،
لتبني أمل الغد

(تأتي أصوات تنادي من الخارج)

يا أمنا إيزيس
يا إمنا إيزيس

Digitized by Birzeit University Library

حوريس : ما هم أولادك قد جاؤوا

هل تجدين لهم رأيا

(يندفع الشبان الثلاثة . **خالد** ، **حازم** ، **صابر** ، ومعهم **رضوان** الفلاح .. يتقدمون نحو إيزيس بلهفة . يسلمون ويقبل كل منهم يدها ، في حنو بالغ)

خالد : أهلا إيزيس

(الى **حوريس**) أهلا حوريس

إيزيس : أهلا بقلوب لم تعرف لليأس طريق (موجهة كلامها الى **خالد**)

إسمع يا ولدي

واجبني بلسان الصدق

خالد : لم أعرف طول حياتي غير الصدق ... صديق

إيزيس : حوريس يشير بأن تبني

عرشا يتألق فوق النيل

فإذا ما سد العرش طريق الماء

بنجسد أوزوريس ،

يقوم ،

ويخطو فوق الأرض ..

(في مناجاة)

ينتعش الزرع

يفيض النيل

يبلل قطر نداه الورد

يوقد للناس شموع الخير

ويسقي كل الناس كؤوس الشهد

خالد : ما أجمل أن يعلو فوق النيل بناء

ما أجمل أن نرفع بنيانا فوق الماء

يأتي بالخير ،

ويروي ظمأ الناس

لكن ،

هل يترك « ست » وميض النور

يزغرد كيف يشاء

لخير بدون سلاح يحمي الخير

صابر : لا خير – إيزيس – يعيش مع الظلماء

رضوان : فحياة المرء بغير الحق ،

بغير العدل ... فناء

Digitized by Birzeit University Library

خالد : (الى حوريس)

إسمع حوريس

هل تتق بنيّة « ست »

حوريس : لا

خالد : هل تعرف أن « لست » رجالا كالغيلان

لا تفتأ تبحث عنك بكل مكان

تتمنى تلقي جسدك للغربان

فإذا ما كنت بغير سلاح

بالله أجبني ،

كيف ترد على العدوان

فالحق يموت

إذا ما واجه ليل الظلم ،

بلا نيران

إيزيس : (وهي تناجي أوزوريس)

تحمينا روحك يا أوزور

فسنبني رغم إرادة « ست »

وسيدرك كل الناس بأنا نعمل للبنيان

(الى خالد)

فإذا ما قوض « ست » بناء الناس ،

وسد طريق الخير

فسيعرف كل الناس حقيقة « ست »

خالد : (معقبا)

وسيذهب عرق الناس هباء

إيزيس : لكن الشر سيقف أمام الناس بدون قناع

خالد : إيزيس ،

أو لم يقف الشر أمام الناس بدون قناع ؟ ! !

يا قبلة كل الناس

يا معبد حب للمتبتل في محراب الحب

ما دمت ترين إيزيس ،

بأن الحكمة ما تحكين

فنحن فداؤك يا إيزيس ،

نلتصق بحضنك

مثل الطفل إذا ما التصق بحضن الأم

Digitized by Birzeit University Library

وبحال أن نفترق إيزيس إذا ما اختلف الرأي
فأنت لنا شريان القلب ،
ونحن الدم
إيزيس : (وهي تحتضن الجميع) أولادي
الجميع : إيزيس .. يا أروع أم ! !
يا أقدس من أنجبت الارض .

« المشهد الثالث »

المنظر : (تبدو خلفية المسرح تمثل سدا عاليا قمته على هيئة عرش ، ترتفع إليه درجات من الجانبين)

(**إيزيس وحوريس** والرجال على خشبة المسرح ، تبدو عليهم السعادة ، وإن أنهكهم التعب ... فقد إكتمل ، بأيديهم ، عرش أوزوريس ... وارتفع عاليا)

الكورس : على سواعد الرجال قد علا البناء
وقام شامخا يطاول السماء
يدعوك يا اوزور أن تقوم ،
يدعوك أن تبدد الغيوم ،
أن تجدد الربيع
أن تبيد صفحة الشقاء
أن تعيد للحياة رونق الصفاء
فالناس لم تزل تعيش للحقيقة
وترقب الربيع ،
والرخاء ،
والنماء

حازم : ما اروع عرق الانسان
يتدفق ... يروي الارض
يتدفق ... يعلو البنيان
يتدفق ... ينبت زهرا
ويصوغ بديع الالحان

خالد : ما أروع عرق الاسنان
يجري فيبدد ظل الشك
ينحت في الصخر طريقا للأحلام
ويحيل الحلم حقيقة ،
تتحدى ،
تخطب بين الناس بغير لسان

إيزيس : (مناجية أوزوريس)

Digitized by Birzeit University Library

أوزور

يا من قدست حياتك قربانا لليالي النور
يا من علمت الناس طريق الخير
يا من قاومت الشر بغير سلاح
العالم يا أوزور يعيش بغير صباح
العالم جرح ينزف ،
يزهق في الارواح
العالم بيت تسكنه روح الاشباح
أنقذنا يا أوزور ،
فأنت ملاذ الناس
وأنت القارب والملاح

حوريس : أوزور تقدم ،
كي تمسك ميزان العدل
فشريعة هذا الكون ،
تبيح النهب
تبيح القتل
تبيح دماء الناس بدون حساب
الكل وقود النار ،
الكل يعيش أسير الليل ،
بغير نهار
مزق أستار الظلمة يا أوزور
بدد بالحكمة يا أوزور ظلام الليل .
خالد : (الى إيزيس)

يا أمي
يا أم جميع الناس
الهمنا أوزوريس بناء العرش
علمنا الحب
علمنا عشق تراب الارض
فاذا لم نصبح نحن الخير ،
ونحن الحب ،
ونحن شموع العدل
واذا لم نصبح نارا تحرق « ست »
لن تجد عودة أوزوريس الى عالمنا
قد عاش الحب ومات بأيدي الشر

Digitized by Birzeit University Library

ونرفت الدمع ولكن ،
كان الحب بلا حراس
وجهدنا حتى يصبح اوزوريس ضمير الناس
فاذا ما قام وكل الناس نيام ،
لن يقف الحق على قدميه
لن تعرف هذي الأرض طريق سلام .

إيزيس : والحل ؟

خالد : أن نبحث في داخلنا عن أوزور
ما دمنا أصبحنا نحن جنود النور
ونربع في داخلنا صوت الحق
ونعرفنا أن العالم ،
لا يعترف بغير القوة ،
حين تدق عروش الظلم
سيسير الموكب دون عناء ،
وسيصبح أوزوريس الفكرة .. علما حين تشاء .

حازم : لن نبكي اوزوريس
فسوف نراه يبارك كل بناء
أفلا يكفينا أنك يا إيزيس الام
وان وجودك بين يدينا ،
يغسل فينا كل الهم
أن نعلي شأنك يا إيزيس
تحقق فيك معاني الحلم

إيزيس : وابني « حوريس » ! !

خالد : ها نحن بنينا العرش
نرفعه نحن إليه بقوة هذا الشعب
نحميه ،
ندافع عنه ،
إذا ما ظل رسول الحب .

حازم : الحب لكل الناس
والخير لكل الناس
والحكم لكل الشعب .

خالد : (متوجها بالكلام الى الناس)
يا سادة

Digitized by Birzeit University Library

(وهو يرفع يد **حوريس** الى أعلا)

هذا حوريس
صاغته إيزيس بروح الاب
عانى ،
وتعذب ،
وتشرد
وإلى جانبنا سار
ومـر بنفس الدرب
أقسم أن يهب الارض الدم .. والحب .
وإليه بالراية نرفع
فلنرفعه لهذا العرش برغبة هذا الشعب .

الجميع : ولنصبح نحن الحكم ،
ونحن الجيش ،
ونحن الشعب

(يصعد **حوريس** الى العرش من الجانب الايسر ، خلفه **إيزيس وحازم وصابر ورضوان** ، في نفس اللحظة يظهر ، فجأة ، ثلاثة ، مقنعون هم (**ست** الفرعوني ، **وست** السيد ، **وست** رجل الأعمال ، يصعدون الى العرش من الجانب الايمن ، وخلفهم بعض جنودهم المسلحين) .

(**يبقى خالد** منفردا على خشبة المسرح .. **يهم حوريس** بالجلوس على العرش)

خالد : (محذرا)
إحذر حوريس
إحذر حوريس

الجميع : حوريس .. إحذر حوريس ! !

(يقف حوريس ليجد نفسه في مواجهة الثلاثة المقنعين ، يلتفون بحوريس ويتكلمون بصوت واحد)

ست : (وأيديهم على كتف جوريس)

حوريس ..
يا إبن أخينا الطيب
قد عاش أبوك يحارب ست
لكن ،
قد مات أبوك .. وعشت
وسأبقى أحكم أبد الدهر
ها أنت بنيت ،

Digitized by Birzeit University Library

لكن لن يجلس فوق العرش سواي

(ينحى الثلاثة **حوريس** عن العرش ويجلسون مكانه)

خالد : لن نقدر هذي المرة ، ست ،

(ينتفض الثلاثة **وقوفا**)

ست : من أنت ؟

خالد : أشلاء أخيك

دفنت في الارض ،

فعاشت تتغذى من طين الارض

فنمت ،

كنبات قام يعانق نور الشمس

يتحدى كل ظلام ،

عاش بهدد حلم الامس

وحلم اليوم ،

وحلم الغد

كانت إيزيس تقاوم ست بدون سلاح

لكنا اليوم ،

ندرك من أنت ،

وندرك ان الحق يموت بدون كفاح

ست : (موجها كلامه الى حوريس وإيزيس) إيزيس ..

حوريس ..

أنسلم هذا العرش الى الدهماء

حوريس : بل نحن نعيد الحق ... إلى أصحاب الحق

ست : أو يعرف احدا منهم فن الحكم

حوريس : من عانى الظلم ،

سيعرف كيف يجنب كل الناس ،

طريق الظلم ،

ست : بل أنت تخرف يا حوريس

وستلقى نفس مصير الاب

Digitized by Birzeit University Library

حوريس : لن أخشى أى مصير يحكم فيه ،
ضمير الشعب

ست : (في هياج شديد) الشعب .. ! !
أجننت ؟ !

حوريس : بل أنت ..
قد صار الحكم لديك مجرد حرفة
تأتيك بأحلا الزاد ،
وأغلى ما تنبته الأرض
فتقتل فيك معاني الحب
وتزرع فيك جذور الحقد

ست : أنسيت بأني أملك كل الامر
وبوسعي أن أفنيك ..
وأفني هذا الشعب

خالد : قد تفنى أنت
ونفنى نحن
ويبقى هذا الشعب يعيد بناء العالم
وسيأتي جيل بل أجيال ،
تحمي الموكب حين يمر ،
تعلوه بيارق نسجوها بخيوط الفجر .

ست : (موجها كلامه لحوريس)
إرجع عن غيّك يا حوريس

حوريس : بل إرجع أنت
فالناس تطالع في عينيك صفوف الظلم .

خالد : سرقت ..
قتلت .
نهبت ..

لم تترك منهل شر إلا منه شربت
ينتحر الشعب على طرقات الجوع ،
لتحيا أنت

ست : أفهم من هذا يا حوريس
بأنك قد أشهرت سلاح الحرب

حوريس : (وقد بدا خائفا من ذكر كلمة الحرب)

Digitized by Birzeit University Library

الحرب دمار
لكن لو ظل شروق الشمس .
يعيش حبيس الليل
والظلمة تخنق في أعيننا نور الفجر
لا مخرج ..
إن لم تخرج نور الشمس ولو بالدم

خالد : فالقتل يبيح القتل .
إذا ما انسحق الناس بنار الظلم

إيزيس : (وقد بدا عليها الانزعاج الشديد عند سماعها كلمة القتل) .
خالد ..
ما أروع ان تنطلق الشمس بغير الدم

خالد : صمتا إيزيس

(مشيرا الى ست)

فهذا الست
لم يحفظ يوما حرمة أخ
أو لم يقتله
أو لم تتعذب نفسك يا إيزيس .
برؤيا الدم

ست : الحرب إذن ..
لا شيء يبدد تلك الفتنة
غير الحرب

(الى جنوده من خلفه)

يا أشجع جند
يا قلعة ست
إني آمركم ان تقتلعوا هذا الشر
(الجنود لا يتحركون من أماكنهم . يعود لمخاطبتهم بغلظة أكثر)
إني آمركم ان تقتلعوا هذا الشر .

Digitized by Birzeit University Library

في نفس اللحظة يكون **خالد** قد اختفى . للحظات . وعاد وخلفه الرجال يحملون السلاح ... يبدأ خالد في إلقاء السلاح الى رجاله الواقفين الى جانب **حوريس** .. وأخيرا يلقي بالسلاح الى **حوريس** ..

حوريس : (وهو يتلقف السلاح)

لم أضرب يوما طلقة نار

خالد : حوريس .. إضرب حوريس

لا تترك فرصة عمرك .

تفلت من كفيك

(يرفع **حوريس** سلاحه ، في مواجهة **ست** ، بينما تخترق إيزيس صفوف الرجال ، وتسرع الى خشبة المسرح ، محتمية **بخالد** ... في الوقت الذي يكون فيه الرجال قد اصطفوا في شكل تشكيل في مواجهة الثلاثة المقنعين . جنود **ست** ينكسون الاسلحة) .

(**خالد** يدفع **بايزيس** الخائفة أمام الجمع ، ويضع في يدها السلاح)

خالد : إيزيس .. أمي إيزيس

نحن ندافع عنك

والطلقة منك تساوي آلاف الطلقات

وبأول طلقة .

سيموت الخوف

وستشرق في داخلك البسمات .

(ترفع **إيزيس** السلاح في مواجهة ست ويرفع الجميع السلاح خلفها) .

(يقف الثلاثة المقنعون أعلا المسرح يرتجفون من الخوف في مواجهة **حوريس والرجال**)

الكورس : يرتجف الشر الآن بلا حراس

يرتجف إذا ما واجه كل الناس

بدون سلاح

كالذئب إذا ما فقد المخلب ،

والانياب

فلنحذر ست

فالشر يسلم بعض الوقت

Digitized by Birzeit University Library

حين يصاب الجمع بلحظة ضعف
خالد : فلننشر حكمة أوزوريس بكل مكان

في كل زمان يولد ست
يبثون آلاف المرات كما الحرباء
ويغير كل أوان جلده
كي يبقى « ست »
ويظل الداء بدون دواء .

« ستار »

Digitized by Birzeit University Library

الخنازير

احمد عودة

ترجل من السيارة التي حملته من المطار الى قلب المدينة ذات العشرة ملايين . كاد ينسى الحقيبة التي فيها كتاب ودفتر وقميص متسخ . وحدها الشاهد على انه ينتمي الى تلك الرقعة الصغيرة النائمة في حوصلة ما بين المحيط والخليج . هي جد خفيفة بالقياس الى راسه المثقل بخواطر لها اسنان حادة ، حملها من ارض الوطن ، حيث كل هناك متهم الى حين يثبت انه برىء .

سألوه في المطار ، هناك ، عن غايته من السفر وحمل كتاب . اجابهم وعيناه مزروعتان في ارض صلبة سوداء .

- اسافر كي اتنفس .

ضحكوا واغرقوا في الضحك . نظراتهم الية سهام رائشة . رموة بالجنون . ملا احدهم صدره بالهواء وقال بانبساط .

- الهواء كثير .

اغمض عينيه طويلا .« الرؤية في كثير من الاحيان عذاب طوعي . يحسد العمى ، اما من بهم صمم فلهم جنة بعرض السموات والارض . والبهائم في تلك الرقعة الصغيرة يحسدها ذوو الرؤوس الكبيرة ، قرونها حصون منيعة ، تتحطم عليها حقائق مؤلمة ، تقتل اصحاب النفوس المرهفة .

Digitized by Birzeit University Library

دس اكثر من شرطي انفه في الكتاب . مزق احدهم ورقة منه ، وقال ملوحا لرفاقه .

- سأذهب الى المرحاض .

القوا ما تبقى من الكتاب في وجهه . تركوا له الدفتر ، فهو مكتوب بالرصاص ، والحبر على الورق ما يثيرهم ويدفع بهم الى الجنون .« فلتحترقي يا ايتها الرقعة الصغيرة المنتفخة زهوا وغرورا كالبالون » .

دفع باب الفندق الزجاجي بغلظة .« بوده لو يحطم شيئا ما ، واول ما يحطم هذا الباب » . وقف امام فتاة يسيل شعرها الاصفر على كتفيها شلالا من نار ونور . على وجهها تمرح سعادة بلا حدود او قيود . لعل مردها الوحيد انها تطل على شارع فسيح من خلف باب زجاجه شفاف .« في بلادك الابواب وكذا النوافذ من خشب او حديد » .

قبل ان يسأل الفتاة عن غرفة شاغرة رأى من واجبه ان ينزع عن وجهه عبوسة سافرت معه .« من الجريمة ان تلطخ هذا الوجه السعيد بهباب ايامك السوداء » .ترد عليه الفتاة بابتسامة لمعت ايامه الماضية في كومة كبيرة ، صبت عليها زجاجة نفط واحرقتها . مفاتيح كثيرة معلقة على الجدار المقابل . كلها بيضاء لامعة ، عدا واحدا يميل الى الصفرة . تميل نفسه اليه .« ما خرج الا ليعثر على نفسه الضائعة في زحمة اشياء كريهة متشابهة » .

تقول الفتاة والرقة طائر ملون يرفرف في عينيها ولسانها .

- انتق اي مفتاح تشاء .

صوتها العذب يمسح عن عينيه غشاوة رافقته سنين بلا حصر .« هذه اول مرة يتسنى لك الاختيار .. كنت مكرها ، دائما ، على القبول » .

تستطرد الفتاة بصوت حطم اغلاله .

- غرفة واحدة غير مسموح استئجارها .. وهذا هو مفتاحها .تشير بيد رخصة الى المفتاح الاصفر . يشهق استهجانا .

- ماذا ؟ !

خرجت من فمه مذبوحة من الوريد الى الوريد .«فراق الوطن جد فظيع .لم تغادره الا من كلمة (ممنوع) . هذه الكلمة المرسومة على وجه الشمس هناك والقمر . كانت تدوسك بنعلها الثقيل الف مرة في اليوم . تراها اني اتجهت . هناك صادروا كل شي ء ، حتى الهواء الصقوا على وجهه يافطات التحذير من مغبة الاسراف في الشهيق والزفير ، ودون ان تكون صورة الحاكم على بوابة الانف معلقة برمشين على الاقل من كل عين » . جاءة صوت ناعم سيظل يكسوه الزغب الى ما بعد سن اليأس .

- هي في الطابق الارضي على اية حال ، وليس فيها ما يغري .

Digitized by Birzeit University Library

تتشاغل بأوراق امامها . يظل واقفا بلا حراك فريسة الدهشة والفضول . « كل الغرف مسموح بها عدا واحدة .. لماذا ؟ سافرت كي تتحول طائرا والعالم من حولك فضاء فسيح . شيء فظيع ان تقبل على مثل ما ادبرت عنه . لا اريد غير هذه الغرفة انني اعشقها قبل ان اراها . اتفاني بها . لهذه الغرفة مفتاح ، وهو تحت يدي ، سأخذه اذا استطعت ان اشغل الفتاة بأمر ما . ولكن كيف ؟ ! .

ضبطته وعيناه ملتحمتان على المفتاح . افتر ثغرها عن ابتسامة لم يجد لها في هذه اللحظة معنى . رأها تبذر شعرها على صدرها النافر قبل ان تدفع الباب خارجة .. المفتاح يغمزله غمزا مغريا. مد يده اليه . استقر بين اصابعه دافئا يتنفس. هرول يفتش عن الغرفة . القاها في نهاية ممر ضيق . وحيدة ، مغلقة يحرسها الغبار . فتحها بلهوجة ، بعدما استعصت عليه . غزت انفه رائحة عفن ورطوبة ليست غريبة عنه . توغل فيها بعينيه . ليس فيها سوى نافذة واحدة ، وهي ليست من زجاج. «ها هنا، ايضا نوافذ من خشب . يجب ان تحطم شيئا ما » وثب نحو النافذة . اقتلعها من الجذور . القاها تحت قدميه . ووقف يلهث بفرح . ارسل عينيه الى بهو مغطى يعج بالخنازير . راها تتدحرج في غباء ظاهر . تدس انوفها الطويلة في اكوام القمامة . تطفح نفسه بالتقزز . يبصق ويغادر الغرفة مسرعا . يود لو يغلقها ، وبالشمع الاحمر ، للابد »

وجد الفتاة في انتظاره تمرح ، على وجهها سكينة وهدوء . يتقدم منها يخجل . ارسلت اليه ابتسامة ، تمرغ فيها واستحم . مدت يدها اليه . القى فيها بالمفتاح . قالت .

- كان الفضول على وجهك ينطق .

تكومت في صدره ضحكة ، لو اطلقها لرمته الفتاة حتما بالجنون . « لونثرت امامها عذاباتك ما صدقتك . دع هذا الوجه الرائق الجميل صافيا ولا تلطخه بالوحل » .

هز راسه نادما . قالت مهونة .

- لا بأس . ستكون تلك الغرفة صالحة لو اتيت في العام القادم .

- تساءل بفرح .

- والخنازير ؟ حركت اصابعها الدقيقة ، حركة ساقت الى صدره دفعة نقية من الهواء .
- حركت اصابعها الدقيقة ، حركة ساقت الى صدره دفعة نقية من الهواء .
- هناك نية اكيدة بنقيها .

طوح بالحقيبة مرحا . تناول مفتاحا ابيض . هدهده برفق وحنان . ينظر الى الدرج الطويل ترفرف في عينيه فرحة غامرة . « كنت مجبرا على الدوام ان تهبط دافئا عينيك في الارض .. هذه فرصة نادرة ان تصعد وعيناك الى اعلى ، تصافحان السماء ..ليتها تنبعج تلك الرقعة المغرورة وتأكلها الغربان والديدان ..اه » .

شرع يصعد الدرج ، بخطى مسموعة ولها رنين . هزت الفتاة راسها وتبسمت . لوح لها بيديه ، وهو صاعد ، وابتسم .

Digitized by Birzeit University Library

عبد الله المزمار

محمد القيسي

شيءٌ ما
يحدثُ خلفَ الباب،
يدُ تطرقُ، أمْ أنَ دماً يتدفّقُ،
من صدرٍ ما
أم أنَّ الريحَ السريةَ ساقتْ عبدَ الله الّي
داليةً أول هذا الليل وساقيةً،
تصعدُ من أنبوب الموت الصحراوي
أيُ ظلالٍ تتبدَّى الآن وراء ستارِ العتمِة،
عبرَ شبابيكِ الحيَ
أينَ تُرى عبدُ الله . . .
وكيفَ يخبىء أو يطفي مشعلَهُ . .
كيفَ لهذا المزمارِ البلديّ
شيء ما يحدثُ . .
شيء ما.

Digitized by Birzeit University Library

عبدُ الله المزماةُ
عبدُ اللهِ الفَلَكُ الدَّوارْ
عبدُ الله بلا عملٍ ،
أو جارْ.
لكنَّ وظيفته أَنْ يقرأَ هذا الخطأَ المتواصلَ،
أَنْ يتكاملَ،
في الليل حدودا
ووجودا،
ويرى ما ليس يرى
عبدُ الله التذكارْ
عبدُ الله المتوسطُ ، نكهةُ خبزِ الأُمِ ،
وشاي المغرب ، والدارْ
عبد الله السنبلةُ المغتربةُ والأسوارْ
عبدُ اللهْ
الطلقةُ والآهْ.

شي ما
يحدثُ خلفَ البابِ،
فمن أين أجيءُ اليه
ومن أين يجيءُ الينا
مَنْ هذا الظلُّ المتمدِّدُ فينا

Digitized by Birzeit University Library

والساكن في الليل مآقينا .
الأرضُ أمِ الشارةُ،
والصدرُأمِ الغارةُ،
هذا عبدُ الله إذنْ
مَنْ يغمره الرملُ العربيُّ ولا يغرقْ
شيء ما يحدثُ . .
فلعبدالله الا زرقُ
تتزَّينُ بثياب البحر صبايا القريةِ،
يهبطنَ الى النهر بأسرار أغانيهنَ القمريَّةْ،
يتحدَّثنَ فيشرقُ فوق أصابعهنَ بنفسجةٍ سرِّيةْ
ينفضنَ جدائلهنَ برماحِ الإضلاعْ
ثم يغادرنَ وعبدُ الله الملتاعْ
ينسلُّ خفيفاً من ماء النهرِ، وينشرُ أغنيَّهْ
شيء ما يحدثُ . .
ها هو ثانيةٍ يملأُ أفقَ الوديانِ،
ويصرخُ في البريَّةْ
يدخلُ فاصلةَ البدء ، يُركَّبُ جُملاً
أو يصعدُ تلاً
ليقولَ قصيدته الأولى في الطردِ،
فعبدُ الله بلا ملكوتْ
عبدُ الله بلا ملكوتْ
عبدُ اللهِ حزينٌ كالسَعَفِ العَربيِّ

Digitized by Birzeit University Library

حزينٌ كالعربِ الرُّحَّلِ
ووحيدٌ،
كالنخلةِ في الأندلسِ الغاربِ،
مزمارُ منفيٌ، وبيوتُ
ذاكرةٌ تتكاثرُ، لا تتناثرُ وتموتُ.

شيءُ ما يحدثُ
ها هو ذا عرسٌ يبدأُ،
فتحطُّ عصافيرُ الوديانِ،
يجيءُ الرعيانُ بقطعانِ الماعزِ..
والصبيةُ يأتونَ،
الفتياتُ كنوَّارِ اللوزِ يجئنَ،
الأشجارُ تهُلَّ والأرضُ تُحدِّثُ أو
تتنفسُ عن أقراطٍ من برقوقْ.
تسطعُ في ثوبٍ من تفاحٍ،
التفاحُ أغانٍ،
والتفاحُ بروقْ
والرجلُ المستندُ على حجرٍ بين قطيعِ الماعزِ،
يتكشَّفُ عبرَ الشبَّابهْ
عن شجرٍ مقصوفٍ ورنين كآبة
يتكشَّفُ عن أفقٍ مسكونٍ بهواجسَ أعشابٍ ووعولْ
وصحارى تتدفقُ وحقولْ

Digitized by Birzeit University Library

شيءُ ما يحدثُ . .
ها هو ذا عرسٌ
ها عبدُ الله يلوحْ
في الصفِ الثاني، في الصفِ الثالثِ ، في الرابعِ ،
أو في صفٍ ما
في هذا المقعدِ أو ذاك
في هذي القاعةِ،
أو خارجَ هذي القاعةْ
ها عبدُ الله يلوحُ، سأصرخ
شيء ما يحدثُ
شيء ما
مَنْ سأنادي ، من سأنادي يا عبد الله .
يا عبد الله
يا عبد الله تعالَ نُجمِّع هذي الأحزان،
نعبيء قمصانَ الوحدةِ بالنافرِ والآسرِ والمتفجِّرِ،
وتعالَ نغني
يا عبدَ الله تعال نغني
نمتدُّ الى شجرٍ لا يذبلُ،
نبدعُ سكناً وكمينا
عبد الله يحلُّ وحيداً في الأُغصانِ،
جميلاً وحزينا
ينسلُّ الى الماء يغُني لامرأةٍ يسكنها . .

Digitized by Birzeit University Library

تسكنه خنجرْ
عبد الله خطى تتواصلُ،
لا آنية تتكسَّرْ
شيءٌ ما يحدثُ،
وصدىً لغناءٍ يأتي من طرفِ الليلِ
فيرجفُ عبدُ الله.

(سارا موالٌ وغزالْ
والقريةُ أعراسْ
فلمنْ يندلع رنين الأجراسْ
ولمن هذا الشالْ
يبرقُ في الخاطر يا سارا
ولمن هذا الخلخَالْ)

يطلعُ عبدُ الله، ويطلقُ زفرته الاولى:
لايحضرُ عبرَ سوادِ الليلِ إليَّ سوى سارا
لا يطرقُ بابي الموحشَ في هذى البريَّةِ،
غيرُ أصابعِ سارا
مَنْ يملكُ أنْ يختصرَ الساحَلَ،
والشجَر المتطاولَ،
في عنقِ قرنفلةٍ،
أو نسمةِ ريحٍ من ناحيةِ البحرِ،
سوى سارا..

Digitized by Birzeit University Library

آه سارا
لأكادُ الآنَ أشمُّ حقولَ الحنطةِ ،
والتينِ الجبليِّ،
وأغمضُ اذ تتشرَّبني أنفاسُ الفجرِ المتسرِّبِ،
طيَّ جدائلكِ الليليَّةِ،
تتحفَّزُ كلُّ مساماتِ الجسدِ وتصرخُ
سارا سارا
سارا سارا
سارا سارا
سارا، سارا
يا عبدَ اللهِ وتشتعلُ الأسئلةُ مواكبَ تثال، مراكبَ تنهالُ..
على خاصرةِ الأرضِ ، وتقرعُ صدرى
يا عبدَ الله
في أيِّ مُخَيَّمْ
غمضتْ عيناكَ ونمتْ
يا عبدَ الله
أوَ ما مُتْ
هل غطتكَ الأوراقُ طويلاً
وتسربتَ إلى الثمرِ النائمْ
كيفَ نسجتَ ظلالاً وتسترتَ بها زمناً،
ثم حلمتْ
أنْ تأتي وتقاومْ

Digitized by Birzeit University Library

في هذا الغسق الدمويِّ مِنَ السلمِ ،
أم انكَ شاهدَةٌ نُزعتْ من قبرٍ غائمْ
أو نُصُبْ ما
يتجولُ بينَ العاصمةِ وبينَ النهرْ
كيفَ اقترفتْ قدماكَ خطيئةَ هذا السيْر!
شيء ما يحدثُ . .
شيء ما
هل مرَّ هنا عبدُ الله
هل مرَّ هنا عبدُ الله فأَحدثَ هذي النكهةَ وأَثارَ
الأشياءْ!
أم أَنا نتوهّمُ صورته في الماءْ
فنعدُّ له شكلاً
وقواما ورداء
أو أَنا نحلمُ ونطوِّفُ في الصحراء وحيدينَ ،
يجُللّنا الهَمْ
يا عبدَ الله
ها أنكَ توقظُ أَحزانَ العامَّةِ
وتثيرُ حفيظةَ أبناء العمْ
فلماذا لا تبحثُ عن زاويةٍ في أيِّ فراغٍ كونّي
تسكنهُا . .
حتى ينفذَ نسلكَ من آخرِ حيّ
كي ترتاحَ الأرضُ ، وترتاحَ العربُ البائدةُ . .

Digitized by Birzeit University Library

فقد أثقلتَ عليهم قيلولتهم في دوحةِ هذا السلمْ
ياعبدَ الله ونفَّرتَ مواشيهم في هذي البيدِ،
فماذا تطلبُ ، ماذا تطلبُ ، ماذا تطلبُ . .
قطعةَ أرضٍ تنصبُ خيمتكَ عليها،
دعكَ إذن ، دعكَ إذن . .
فهنا وهناكْ
كلاَّ يا عبدَ اللهِ لزُغبِ قَطاكْ
فأرح قطعانَكَ في هذا الشِعبِ وَنمْ
يا عبدَ اللهِ ولكنكَ تطلقُها داويةً
في هذا الصمتِ فلسطينيّ
من أبعدِ قطرةِ ماءٍ في المتوسطِ
حتى آخر قطرةِ دمْ
تنبضُ فيكَ فلسطينيّ
شيء ما يحدثُ، يحدثُ
آه يا عبد الله
أين تقودُ خطاكَ رياحُ النفّي؟
- أين تقودُ خطاي رياحُ النفيّ؟!
تَنثرني حتى أتجمع
تكسرني حتى أتوجعَ
فألُم عظامي من أطرافِ الأرضِ وأنفخُ فيها،
سبحانَ الحيّ
سبحانكَ يا شعبي الحيّ

Digitized by Birzeit University Library

يا سادةُ يا مَنْ تجتمعونَ الآنَ حوالّي
أنتمْ مَنْ يخرجُ في هدأةِ هذا الوقتِ الّي عليّ
أنتم من يخرجُ في ذلِّ الصمتِ الّي عليّ
أنتم من يخرجُ في عرسِ الموتِ الّي عليّ
وأنا عبد الله العربّي ، وأنا عبد الله العربيْ
هذا ما أنبأني الأمس به واليومْ
أنبأني مَنْ رحلوا
أنبأني مَنْ لم يصلوا
أنبأني مَنْ سيجيئونَ من الجرحِ العربيِّ غداً . .
أنبأني الأملُ.

عمان
١٩٧٩

Digitized by Birzeit University Library

«زيارة الأب المقتول»

خيري منصور

لأبي وجهٌ صقريّ يصطادُ طُيورَ النَّومْ
تحملُهُ الغيمة أو.. تحلُمُه ،
والبيتُ الراكضُ للمنفى
قاربُهُ

والكفن شراع
مِنْ أَيْنَ لكفِك هذا الوشم..
لشَعْرِكَ هذا القُطْنُ؟
هل للموتى أسرارٌ وعناوين..
وعلامات فارقة في الكفّ
وفي الوجه
وفي الفودين

.. أراكَ اللّيلةَ مبتسمًا
كيف تبسمت بلا شفتين
أراك.. فهلْ أنت المرئيُّ
أم الرّيح الـتحملُ بعضَ هواكَ
وبَعْض الرّيش المخلوع عن الكتفين
انْ جئت تعاتبُ.. لا
مَنْفاكَ البيتُ وأنت المقتول بسيفِ أخيه.

Digitized by Birzeit University Library

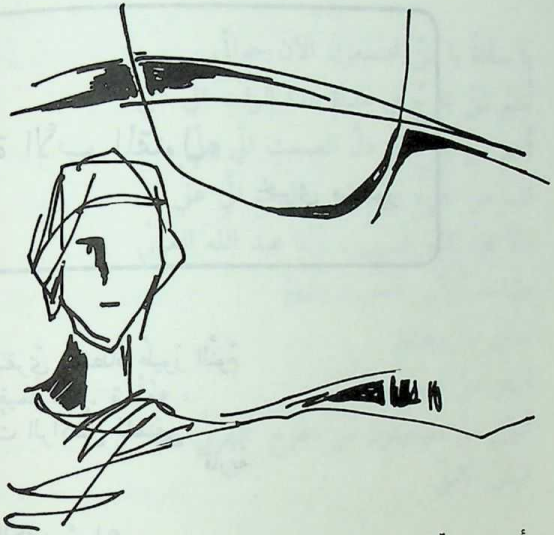

أم جئت تحارب . . .
البَس هذا الوجْه الصّقري
ودعني

فأنا مُذ أبصرتك تهبطُ نحو بلادٍ
أجْهلها

أستيقظ كلَّ صباحٍ
مِغْموراً بك .

- ٢ -

ما رأيناك تبكي ولو مرّةً
ما رأينا على شفتيك بقايا اعتراف

Digitized by Birzeit University Library

ولكننا حين مُتّ رأينا ندوبا
تحاصِرُ ضحكتك الدّاكنة

إذن كنتَ وحدك تبكي،
ووحدك تسأل في غرفةٍ موصدة
ثم تأتي قوياً مجيباً على كل ما دار في الدار مِنْ أسئلة
وسافرتَ آخر مرّة. .
لم تقل أين. . لكن ذاك المساء
كان أبعد. . أبعد من أنْ يعيد المسافِر
أهذا نسيتَ بجيبِ ردائك محفظةً
وجواز سفر.

وَنَسيتَ أباً ترتديه الوجهُ النحيلةُ
والبَسْمَةُ الطاعنة

كنتَ في كلّ يوم تموتُ
وهم يضحكون على نكتةٍ ساذجة
كنت أعرف ان النكات الوقورة من حظّنا
والنكات الجميلة للأصدقاء. .

كنتُ. . أعرف أنك سوف تموت
قبل أن يصطفيكَ العياء بداء الحياةِ
فَهَلْ مُتّ قبل الأوان
لكي تَعتق الطّفل من خَوْفِهِ
وتختصِرُ اليومَ ميتاتكَ الألفَ
في ميتةٍ واحدة.

Digitized by Birzeit University Library

طهران والكرمل

شهاب محمد

هذه طهران من لائحة الموت تعود
ومن الخوف ،
من الظلم ،
من القهر تعود
هذه طهران للشعب تعود
كل من يؤمن بالشعب يعود
كل من يؤمن بالشعب الى الشعب يعود

* * *

سقط الشاه عليلا
سقط الباطل في الوحل
وأضحى
دونه الحق بديلا
أصبح القاتل للشعب قتيلا
آه من هذا الذي يبدو نحيلا
آه من هذا الذي يأتي
مع الغيب قليلا
طالما قلنا كثيرا
هكذا الممكن يبدو مستحيلا
آه من هذا الذي ندعوه

Digitized by Birzeit University Library

بالزور مثيلا
مستحيلا ..
مستحيلا ..

* * *

حطم الثوار أعواد المشانق
سحق الثوار « بارات » المقاهي
والملاهي ،
والفنادق
أشعلوا فيها الحرائق
سقط الوجه المنافق
انه الباطل والباطل زاهق

* * *

هذه ايران في رسم الهي فريد
هذه ايران في البعد البعيد
سحق الثوار اصفاد الحديد
انه عيد ولكن اي عيد ؟
انه عيد سعيد
وسعيد
وسعيد
هكذا طهران تبدو من بعيد
أية العصر النضالي الجديد

* * *

ليس حلما ..
انما الواقع كالحلم
وللحلم زمان ومكان
ونهاياتوبدء وثوان
ليس سحرا ..

Digitized by Birzeit University Library

انما كالسحر ما يجري
بلا اي قران

* * *

ها هو الكرمل في طهران
او طهران في الكرمل تبدو
وانخفاض البحر سر
وارتفاع النهر ظل
وأرى النجمة تعلو
ثم تعلو ..
ثم تعلو ..
صورة الانسان يحتل الزمان
وزمان يبعث النصر نشيدا
واغان .
هكذا طهران تبدو
هكذا الاشجار تشدو
ها هو البحر ينادي
فلتواصل زحفها نحو فؤادي
يا بلادي ،
يا بلادي ،

* * *

حاول الليل احتجاز القافلة
حاول الليل اقتحام الدائرة
كانت الدنيا ظلاما في ظلام
ودموعا ، وبكاء وحطام
وجراحا بلغت حتى العظام
اوقفوا امواتكم
خلف متاريس الهزيمة
سأصلي لجراحاتى القديمة

Digitized by Birzeit University Library

خلف سور القدس يا قلبي
عرفت الانتظار
وتطلعت يمينا ويسار
من ترى يقصد هذا الانتحار ؟
ما الذي يبدو على وجه النهار
ما هو الممكن في هذا الحصار ؟
* * *

سوف القاك قريبا
لا تقولي ..
غادر المغدور في ثوب الجريمة
لا تقولي ..
غادر المطعون مهدود العزيمة
فأنا أعرف اسرار الهزيمة
وانا اعرف احوال
الخطوط المستقيمة ..
* * *

كنت أمشي ..
وانا احمل نعشي
كنت أمشي ..
وارى الخنجر في ظهري
وامشي ..
ثم امشي ..
احذروا الأطفال في الأغلال
والبحر بحار
احذروا الأقدار
والجرح جراح ،
وجراح ،
وجراح ،

Digitized by Birzeit University Library

احذروا من عسل النحل المصفى
احذروا من غضب الشعر المقفى
من دماء الأنبياء ..
من دموع الفقراء ..
كنت أمشي ..
وأنا احمل نعشي
وأنا أجهل امسي
مثلما اعرف نفسي
كنت أمشي ..
وأنا أرقب شمسي
وأنا اعرف ان الموت عرسي

* * *

يا فتاتي القادمة ،
يا حياتي الدائمة،
ربما شاركت قلبي كل نغمة ،
ربما ضيعت عمري قيد نسمة
ربما كانت حياتي مدلهمة
غير اني ..
مثل ابناء بلادي ،
كل ابناء بلادي ،
حاصرتني النار في بيتي صغيرا
ألمتني ضربة الجلاد في المنفى كثيرا
واضاعتني كبيرا
واغني ..
فأنا الساحر والساهر في ليل القبيلة
وأنا البادىء في كل الدروب المستحيلة
تدخل الأزهار والأنهار
والأسرار قلبي
واغني ..

Digitized by Birzeit University Library

ربما كانت حياتي مدلهمة
غير اني ،
مثل أطفال بلادي
تعرف الأشواك والأشواق دربي
وأرى القمة قمة ،

* * *

يا فتاتي ،
انه الكرمل في طهران يبدو
وارى طهران في الكرمل تبدو
وارى البسمة تحلو
وارى النجمة تعلو
ثم تعلو
ثم تعلو

Digitized by Birzeit University Library

مخاض للسيدة الصعبة

محمد حسيب القاضي

هذه مهرتك الليلة في الساحة
قلت: امتدّ بي
(والرمل يمتد على الساحة)

هل تمضي إلى اليوم
وبين الصحو والنوم خطى النرجس تعرى
(ما أشد البرد في الساحة)
لا شيء يغطي دمك الذاهبَ إلا دمُك
الليلة لا تأتي سوى مقصلة الورد إلينا، وجناحي طائر الأيام
من غصن بعيد، ورداء القمر القاتل ذي الخمسين وجهٍ
وعليك الآن أن تخطو،
إبتدىء:

(مريم تدعوك، وهذا الحتفُ.)

من أين....؟
ويمتد بك النزفُ على التوت الذي ينأى، واسماء الندى الحسنى،
وتمتدُ...
(ولما تظهر السيدةُ الصعبةُ بعدُ)
الله لا نعبد الا الله،
هذا دمُنا الطائرُ في الليل ينادينا

Digitized by Birzeit University Library

فقلنا: إحرقينا عند أهدابك وقتا، وفي كفيك يخضرُ رمادُ الصبية العشاق
لا تمشي إلينا،
ومشيناك، ولما تظهري بعدُ.
وقلنا: احضري، وافتقدينا
وحضرنا، وإحتجبت
افتقدت حضنك رقراقاً شفاهي
وانا ابحثُ في رملِ المناديل عن الدمع الحقيقيّ بعيني عاشقين
التحمى بي خنجراً من عبق الأرض البدائيةِ
لا نعبُد غير الله
صرّافُك قد مر ولم أرمِ شفاهي
فأنِ سيافُك،
الليلةَ مر اللصُ والقوادُ والمخبرُ. . . . . مروا واحتجبتِ
افتقدتْ كحلَك أمى
ورأت ظلكَ خَلف المدن الخائنة،
النقد،
واثواب الحسين

افتقدت وجهَك عيني
وتلونا لك: يا مريمُ إن جاءك من الفقر المخاض
امتشقي من ضلعنا نخلتك العطشى
(ولما تصنع السيدةُ الصعبة هذا الحملَ بعدُ.)
انهمري. . لا تلدينا
وانهمرنا. . .
وتلملمنا بذرات رمال الجسد الواله حيناً
وحفرنا سرَكِ الآتي علىَ أهدابنا حيناً
وما كنت بغيّا
مريم اشتدى (ولا يأزفُ وقتُ الطلق. .)
قلنا: خبئينا من النواة البكر، تستيقظُ خطى الأرضِ
عبرنا خيمة الليلك والخل ولم نشكُ
صعدنا جبل الأثوابِ والقَمح

Digitized by Birzeit University Library

وفوق الكتف الشوك
وشاهدنا إختلاط اليأس والبرق
ندهناك:
تغطى بشظايانا وهذا التوتِ
وامتدى...
سمعنا بين آلامك نبعاً غامضاً،
ثم تمخضت ولما تضعي حملَكِ بعدُ
الله لا نعبد الا الله.
هذا نرجُس يهمى علينا
نرجس يغمرنا شيئاً فشيئاً
نرجس يعلو
طيور النرجس الوحشيّ
لا غيمك ينهل ولا حقلك بور
وتوهجنا على حِناء كفيك. حملنا خلفَكِ الشمعَ وأذيالَ
ثياب العرس تيهاً،
ونهرنا الدمع مِن العين فلم ينزل،
وعانقنا سريراً دموياً.
من تكونين..؟ أجيبي
ولماذا كلما قلنا لمسنا هذه الخصلة او كدنا،
افتقدنا العطر ليليًا
وحدنا وردةً مطعونةً تطبو على شفرتِكِ الفضيةِ (اعتدنا)
وها هم يغطسون الآن من لحمك كي يلتقطوا اللؤلؤ والغرقى
نراهم يخرجون الآن من خصركِ، والأهداب والكف
نرى الذبان يزرق على حرجكِ هذا العسلي
المخمليون يوارونكِ اسمال الاذاعاتِ،
عصيّ الشرطة
النفط، وخبزَ العدلِ.
غبنا، وأتى المخملُ
ها ان الندى يُقتلُ
ازهارٌ من المخمل

Digitized by Birzeit University Library

أرادافٌ من المخملِ ،
صالاتٌ من المخملِ ،
(ما عاد يليق الحزَن بالسيدةِ الأرملةِ)
التمَّ على دمعتك الورافةِ الراقصُ بالسيفِ
وبدوُ المدن الخائفةِ
التمَّ علينا النرجسُ
اشتدّي
(وقفلُ الباب لا يَسمعُ
والشاهد هذا الحائطُ الأبكمُ .)
قلنا، ونسوا أنك فينا شظفُ الفقر الذي يصدعُ
لا نعبُد إلّا الله . انت الطرقات، إبتعدي عنا . . ونمشي

(عيونُ السلطةِ الصفراء ملءُ الخيمةِ .)
القلبُ على الجَمرةِ يخطو دون ماءٍ.
وخطونا
كلُ درب نخلةٌ مثقلةٌ
ثم تمخضتِ، ولما تضعي حملَكِ بعدُ.

١٩٧٩/١٢/٥
القاهرة

Digitized by Birzeit University Library

رسالة

ناظم حكمت
ترجمة : حامد بدرخان

الى الجندي أحمد بن ولي من فرقة
المشاة التركية في كوريا تحت قيادة
الجنرال « كلارك » الأميركي

اليوم .. الاربعاء .. الأول من كانون الأول .
اليوم دخلت الصين ـ القديمة
السنة الرابعة لثورتها الجديدة
عيد في بكين ، لا يمكن المرور فيها ..
حيث انطلق الشعب الى الشوارع
من أبناء السابعة حتى السبعين
يرتدي الجميع ألبسة العمل الزرقاء ..
فالشمس فوق قباب البورسلين ،
وعلى أعمدتها الحمراء .
حمامات بيضاء ! ..

* * *

تحدثت مع « لي ـ تشان ـ تشن » يا أحمد
تحت صور ستالين وماو... ـ
انه أحد مواطني قرى « الخونان »
لحيته طويله .. بيضاء ذات شعيرات متفرقة
تتشابك العروق على جبينه كالكتابة الصينية

Digitized by Birzeit University Library

قال لي .
لم تكن لي أرض ...
وقد منحتها الان .
لم يكن لي ثور
وقد اعطي لي الان ..
لم أكن مندود من بني الانسان .. .
ولقد أصبحت انسانا ذا كرامة ..
وسنرى أياما أخرى أسعد ..
سوف نرى ..
وهذا ليس وهما ...
أنا « لي ـ تشان ـ تشن » أقول .
لئلا يرجع الغابرون ..
لئلا يفنى الموجودون ..
ولنرى أياما أفضل وأسعد ..
أدخلت أحد ولدي المدرسة
وأرسلت الثاني الى كوريا ..
للدفاع عنها ..
لذا فان ابن لي ـ تشان ـ تشن هناك في كوريا
وأنت يا أحمد ، لم أنت هناك ؟ ! ..

* * *

في بكين .. الطقس جميل ..
أيهطل المطر عندكم في كوريا يا أحمد ؟
أتزحف في الوحل منبطحا
وراء سبطانة بارودتك ..
وعيناك جميلتان محمرتان
وعروق جبينك بارزة ..
وأنت تذهب لقتل من ؟ ..
وللانقضاض على من ؟
بقيت الأناضول وراء سبعة بحار

Digitized by Birzeit University Library

وهكذا بينك وبين أهلك ..
بعد المسافات ..
أهلك الذين عجزوا عن دفع الضرائب
مات ثوركم الاصفر
وتغرب ابن خالك عن الأهل
وأنت تذهب لقتل من يا أحمد ،
خلفت وراءك الأناضول
وأصبحت بينك وبين أهلك سبعة بحار
وأهل قريتك طلبوا قطعة أرض
من مزرعة علي بك !
ولذا أجبروا على خوض معركة مع الدرك
قتل أخوك « طورسون »
وجرحت والدتك العجوز
والباقون سيقوا الى غياهب السجن
أنت تذهب لقتل من يا أحمد ؟ .

* * *

انظر الى يديك
اللتين أبعدتا عن المحراث
واللتين كانتا تقسمان خبز الذرة
في ضوء سراج الزيت ،
على مائدة الأسرة
واللتين كانتا تلامسان ظهر الثور الاصفر
ووجنتي الصبية عائشة بعاطفة متشابهة
واللتين كانتا تدلان الغرباء على الطريق
في طرق القرية

واللتين كنت تحك بهما رقبتك بغضب
عند إهانة الاغا ..
وتقدمان كؤوس الماء للعطشى ..

Digitized by Birzeit University Library

كم من مرات ...
وهما كانتا تفكران بعيدا عن تفكرك أنت
في أيام الكسل والتعب ..
وهما الان غاطستان في الدماء
حتى المرفقين ..
تذهب لقتل من يا أحمد ؟ ..
نلك البلد
واجه جيوشا أخرى من المعتدين ..
كانت قادمة من الشرق .
من اليابان ! ..
قالوا للغزاة
ـ فمعذرة
ليس بامكاننا أن نترك لكم المجال ،
لبقائكم أطول مدة
فوق هذه الأرض
فلتبقى ذكراكم بين سنابل القمح الذهبي
وفي مداخن المعامل
وفي حدقات عيوننا الضاحكة ..
اتعرف يا أحمد
بالنسبة للكوريين الشماليين
مثل الصباح
مثل بشرى
وطنهم ..
ان الكلمة للحرية ..
وتقاسموا الأرض ما بينهم
سكك الحديد ،
الذهب
والفضة
والفحم
المطر في الهواء

Digitized by Birzeit University Library

والريح في الجبال
البحر
الغيوم ،
والشمس
حدائق الأطفال ، المستشفيات والمدارس
والمعامل
كلهم ملك للشعب ...
وهم كانوا السعداء ...
أتقدم على قتل أخيك الانسان في أرضه ...

* * *

أيهطل المطر في كوريا ؟ ! ..
أتسمح صراخ طفل ألقى بنفسه على جثة أمه
عندما أحرقتم دارهم وبقي هو تحت الأمطار
ماذا دهاك .. ألا تشاهده ؟
ماذا حل ببصرك وببصيرتك ؟
هل كنت مع الجنود الأمريكيين
عند دخولهم « سين شان »
هل شاهدتهم يعرون الانسان
ويحرقونه بالبنزين ؟
وهل اشتركت أنت بقطع الرؤوس بالخناجر اليابانية
ربما كنت في « ساريغان »
هل أنت أيضا رميت أناسا معلقين بشعورهم
على الأشجار
وهل أنت أيضا هتكت أعراض نساء حاملات ثم قتلتهن ؟ ..
في « سان ــ سن ــ ري » قلعوا عيني صبي ثم صوروه للذكرى
هل لديك أيضا نسخة من هذه الذكرى ..
أعرف كيف سحروا « فو ــ مال ــ شو » من جبينه بالجدار
وعلى صدره ورقة .
هو عامل .. وأب لأحد عشر ولدا ! ...

Digitized by Birzeit University Library

ورقة التي بها سمروه من جبينه الواسع
كانت وثيقة عملها الوطني لأنه هو مناضل وطني .
هل يجهل احد ذلك .
أحرقتم المزارع .. وخربتم المدن ..
وأنت أرخص أداة للفتك هناك يا أحمد ! ..
حتى أرخص من الفئران ..
أيهطل المطر هناك ، بعد ؟
سوف تنقطع بلا شك ! ..
سلم نفسك اذا اردت أن تنتقم
من اولئك الذين باعوا وطنك
لذا تحب وطنك ، أهلك ، قريتك واذا بقيت لك
حق الكلام سلم نفسك ..
سلم نفسك بحق رأس أمك ..
باسم شعبك ..
أحمد يا أخي
سلم نفسك الى اخوتك ...

Digitized by Birzeit University Library

كتب

عيسى الشعيبي . الكيانية الفلسطينية - الوعي الذاتي و التطور المؤسساتي ١٩٤٧ - ١٩٧٧ .

بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٨٠

« الكيان الفلسطيني هو تعبير سياسي ، اكثر مما هو اصطلاح قانوني محدد . ومع ذلك ، فقد فهم ، دائما ، على انه شعار كفاحي ضد واقع اللجوء والتشتت الفلسطيني ، وعنوان تجدد بعث الشعب وشخصيته الوطنية الموحدة المستقلة . وقد اتخذ هذا الاشتقاق ، فيما بعد ، معنى إعادة تنظيم الشعب الفلسطيني ، وبناء مؤسساته السياسية ومنظماته النقابية والشعبية ، والحفاظ على وجوده ، وإبراز قضيته الوطنية ، واعتماد ممثلين شرعيين له ، في نطاق جامعة الدول العربية وغيرها من المنظمات الاقليمية والدولية » (ص ١٢) .

هذا الموضوع « الكيانيـة الفلسطينيـة » هم فلسطيني يومي ، يضيع ، ويحضر تحديده في الادب السياسي الفلسطيني ، وفق معادلات الصراع الذي يواجهه إنسان فلسطين ، لكنه حاضر في وجدانه ، داخل الأرض المحتلة وفي مخيمات اللجوء . ولو لا انه قائم في الذاكرة التاريخية للشعب الفلسطيني ، لعجزت الف منظمة ، كمنظمـة التحريـر ، عن تجسيده كما جسدته ، حتى الآن . فالشعب ، اي شعب ، يختزن في وجدانه تراثه ، ويتناقله عبـر اغانيه وعاداته وتقاليده ، وفي ثقافته الشعبية ، التي تمثلها حكمه وأمثاله . ويحيا هذا التراث مع الشعب حنينا لاسترجاع واقع حلو كان ، او ذاكرة لحلم كان يمكن ان يكون .

وعندما يجري الحديث عن كيان شعب ، فلا شعب دون كيان ، ويقوم الخلاف بشأن الشكل الذي تجسد فيه الكيان ، في لحظة من تاريخه ، او الشكل الذي يمكن ان يجسد فيه ، إذا كان الشعب يقطع سيرورة نحو حلم ـ مشروع . فالكيان وليد حاجة اجتماعية ، يرتقي برقيهـا ، وتكبـر مؤسساتـه وتتنوع ، كلما تعقدت تلك الحاجة ، واقتضى تنظيمها تعقيدا اكثر .

قبل أن نستطرد في هذا الأمر . نعود لنستعرض مادة الكتاب .

يسعى الباحث الى تأريخ تطور الوعي الكياني لدى الشعب الفلسطيني ، وتشكل المؤسسات التي عبرت عن هذا الوعي ، بين أعوام ١٩٤٧ ـ ١٩٧٧ ، منطلقا من أساس أن الفلسطينيين « لم يمارسوا في تاريخهم الحديث ، حكمهم لأنفسهم (ص ٣٢) . ويقسم تأريخه الى خمس مراحل زمنية ، يؤرخ لها بالحدث الذي يفصل بين مرحلة وأخرى .

١ ـ التجربة الكيانية المهيضة

يحدد الشعيبي سنوات هذه الفترة بين ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ ، التي بدأت بقرار التقسيم ، الذي اصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، وانتهت بقـرار ضم « الضفة الغربية » الى الأردن عام ١٩٥٠ . ويرى الباحث ، أن قرار التقسيم هو أول تحديد أو إقرار بالكيان الفلسطيني : « جاء قرار التقسيم ، في احد وجوهـه ، بمثابـة اقـرار دولي بحـق الشعب الفلسطيني ، باقامة كيان وطني مستقل » (ص ١٨) . أما حدث نهاية المرحلة ، واعني به ضم الضفة الغربية الى الأردن ، فقد عارضته جامعة الدول العربية ، على استحياء ، لم يمنع تنفيذه ، ويرى المؤلف أن « جناح الواقع الذاتي الفلسطيني ، وجناح الواقع العربي والدولي ، أسدل الستار على أول محاولة سياسية فلسطينية ، باتجاه خلق تعبير كياني مستقل ، وسط تعقيدات شديـدة على كلا الواقعين » (ص ٤٢) . حيث يرى الشعيبي هذه التجربة المهيضة في فشل حكومة عموم فلسطين ، التي اقرها مؤتمر غزة (تشرين الأول ١٩٤٨) ،

Digitized by Birzeit University Library

ونجاح دعاة الضم الى الاردن الذين عقدوا **مؤتمر اريحا** اواخر العام ذاته . ورغم أن **جامعة الدول العربية** وقفت مع **حكومة عموم فلسطين** ، بينما دعمت الاردن دعاة الضم . فقد فشلت الدول العربية ، حيث نجحت الاردن .

٢ ـ البدايات الكيانية الاولى ، ١٩٥٧ ـ ١٩٦٣ .

بين ١٩٥٠ و ١٩٥٧ ، يتلمس الباحث حفاظ الفلسطينيين « على وعيهم بفلسطينيتهم » عبر حادثتين ، الاولى ، اغتيال **الملك عبد الله** ، عام ١٩٥١ . والثانية احتلال اسرائيل لقطاع غزة عام ١٩٥٦ ، حيث واجه الفلسطينيون الاحتلال بغردهم . ويرى أن هذين الحدثين « وما استدعياه من ردود فعل في حقل الوعي الفلسطيني على الذات المختزنة بالآلام » (ص ٤٧) ، شكلا البدايات الاولى للوعي بالخصوصية الفلسطينية . ثم يعدد التجليات الكيانية التي عكسها هذا الوعي ، مسميا ، حركة التحرير الوطني الفلسطيني « **فتح** » ، **والاتحاد العام لطلبة فلسطين** ، وحركة **الأرض** ، **وفوج التحرير الفلسطيني** ، **والاتحاد القومي العربي الفلسطيني** ، وباستثناء حركة **الأرض** ، التي ظهرت في المناطق العربية الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلي . فان المؤسسات الاخرى نشأت في قطاع غزة ومصر والعراق . بعضها اندفاع فلسطيني ذاتي « **فتح** ، **الاتحاد العام لطلبة فلسطين** » ، وبعضها الآخر بدفع من الانظمة العربية « **فوج التحرير الفلسطيني** ، **والاتحاد القومي العربي الفلسطيني** » . ويقول الباحث عن **فتح** أن أفكارها « الكيانية هذه ، جاءت في وقت كان فيه الحديث عن الوحدة العربية قد بلغ ذروته ، خاصة على الصعيد الفلسطيني . وفي هذا الاطار ، لم يكن طرح الفلسطينية أمرا سهلا ، كما لم تكن الفلسطينية ، والحالة هذه ، تمتلك جاذبية وقدرة كبيرة على الاستقطاب الشعبي » (ص ٥٧) .

وفي القسم الثاني من الفصل الثاني ، يتحدث الباحث عن بدايات القول بالكيانية الفلسطينية ، على المستوى العربي . ويرى **الشعيبي** ، أن **حزب البعث العربي الاشتراكي** هو أول حركة سياسية عربية تحدثت عن الكيانية الفلسطينية . فقد ورد ذلك في البند الثاني من مذكرة **حزب البعث** التي قدمها إلى مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، في كانون الثاني ١٩٦١ ، والتي تحدثت عن « السبيل السليم لاقامة كيان نضالي لشعب فلسطين » (ص ٨١) . ثم يتحدث الكاتب عن **حركة القوميين العرب** ، ويرى أن إعلان تشكيل « إقليم فلسطين » في الحركة ، عام ١٩٦٠ ، هو تعبير عن شكل من اشكال الكيانية ، نتيجة الاحساس بالخصوصية الفلسطينية . أما على صعيد **الجامعة العربية** ، فيورد الباحث قرار **مؤتمر القمة العربي الأول** ، الذي أوكل للشقيري مسألة البحث والاتصال بالشعب الفلسطيني لاقامة « القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني ، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » (ص ٩٤) .

٣ ـ البناء الكياني الفلسطيني ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧

يؤرخ الكاتب لهذه المرحلة ، بقيام **منظمة التحرير الفلسطينية** ، عام ١٩٦٤ ، حيث يرى فيها بداية مرحلة البناء الكياني الفلسطيني . « فالمنظمة ، الى جانب كونها المؤسسة الكيانية المعترف بها للفلسطينيين ، كانت ، أيضا ، فاتحة عهد من التطورات الكيانية في مراحل لاحقة ، ومركز استقطاب الوعي الكياني الفلسطيني ، فيما بعد » (ص ٩٩) . ثم يتابع رصد تطور بناء المنظمة ، الذي ترعرع في الحضن العربي ، واكتسب شرعيته الأولية منه . وينتقل ، في فقرات لاحقة ، الى موقف المنظمات الفلسطينية ، التي كانت قد بدأت تظهر للعلن منذ أواسط الستينات كحركات كفاح مسلح ، من مسألة الكيان الفلسطيني ، بما في ذلك الموقف من المؤسسة التي عبرت عنه .

أما القسم الثاني في هذا الفصل ، فيفرده الكاتب الى مواقف الدول العربية من **منظمة التحرير** ، في تلك المرحلة ويرى الكاتب ، أن عدم معارضة الاردن لقيام المنظمة كان « نقطة الكسب الاهم من نقاط الشرعية العربية » ، لان الاردن منعت قيام **حكومة عموم فلسطين** ، عام ١٩٤٨ ، عندما عارضتها ، حسب رأي الباحث . ولا ينسى **الشعيبي** عرض اسباب الاردن للموافقة على قيام المنظمة ، إذ ينقل عن رئيس الحكومة الأردنية قوله « الشخصية الفلسطينية ضرورة دبلوماسية ، لمساعدة الجهود العربي الدبلوماسي في المجالات الدولية » (ص ١٢٣) . لكن هذه الموافقة لم تمنع حتمية التصادم بين الاردن والفلسطينيين ، ويرى المؤلف سبب ذلك هو « أن أي بعث كياني للفلسطينيين في الاردن ، لم يتم إلا على حساب الكيان الاردني ذاته (ص ١٢٧) . ويرى الكاتب أن الاعتداء الاسرائيلي على السموع ، كان الحدث الفصل لدى الشعب الفلسطيني ، في هذه المرحلة ، للعمل على تجسيد فلسطينيته كيانا في مؤسسات .

٤ ـ الاختمارات الكيانية ، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢

يرى الكاتب أن نتائج حرب ١٩٦٧ جاءت على العكس من حرب ١٩٤٨ . فبقدر ما ذهبت حرب ١٩٤٨ بالكيان الفلسطيني تقويضا ، عززت حرب ١٩٦٧ هذا الكيان . ويعزو الشعيبي ذلك « إلى انطلاق الكفاح المسلح الفلسطيني ، بقوة ، بعد الحرب ، عبر مؤسسات (فدائية) جماهيرية » (ص ١٣١) ، وأن « انخراط المؤسسات العسكرية والجماهيرية هذه ، في الصيغة الائتلافية ، ضمن

Digitized by Birzeit University Library

اطار المؤسسة الفلسطينية المعترف بها ، ادى الى اكتمال صحة **منظمة التحرير** » (ص ١٣١) . ويضيف بأن الوعي بالكيانية الفلسطينية قد غاب ، أو غيب ، بين أعوام ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠ ، ففي حين حاولت اسرائيل خلق زعامات ، تستطيع التعامل معها في الضفة الغربية ، بدلا من الزعامات التي كانت تتعامل مع الأردن ، سعى الأردن إلى منع ذلك ، كما عملت **منظمة التحرير** للمسعى الأردني ذاته ، وان تباينت الدوافع . ويؤكد الشعيبي أن « حركة المقاومة ، من ناحيتها ، كانت ترى ، بحق ، ان تبلور أية قيادة محلية في المناطق المحتلة ، سيخلق قضيتين منفصلتين ، إحداهما للفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال ، وثانيتهما لمن غادروا إلى المنفى ... وأن وجود قيادة محلية ، كان من شأنه ، في ظل معطيات تلك المرحلة ، أن يقود الى التفريط بالأهداف السياسية والكبرى ، التي كانت ترفعها قيادة المقاومة ، والتي تمثلت في تحرير فلسطين من الوجود الاسرائيلي الصهيوني » (ص ١٣٩ ــ ١٤٠) . وقد شمل ذلك العناصر الوطنية ، أيضا .

أما القسم الثاني من هذا الفصل ، فيتحدث فيه الكاتب ، عن نضوج المؤسسات الكيانية ، وظهور التنافس بين الكيانية الفلسطينية والكيانية الأردنية . حيث أصبحت منظمات المقاومة الفلسطينية والمؤسسات الملحقة بها ، تشكل سلطة فعلية ، غير معلنة ، موازيه للسلطة الأردنية « مما دفع الحكومة الاردنية الى محاولات عديدة ، لاستعادة الكثير من سلطاتها المفقودة » (ص ١٤٩) . ويصل الشعيبي الى أن التحريض الأردني ، الذي سبق ورافق مذابح أيلول ١٩٧٠ ، قد دفع الفلسطينيين اكثر فأكثر نحو الالتحام النهائي بمؤسساتهم الكيانية ، التي كانت قد شبت عن الطوق ، واشتد عودها . فقد كان التحريض الأردني ينادي بأن « الأردن بلد الأردنيين ، أما الفلسطينيون فضلاء » (ص ١٥١) . وقد تعزز الشعور الفلسطيني بالخصوصية الفلسطينية ، داخل الأرض المحتلة وخارجها في أحداث أيلول . وغدا الحديث عن الشخصية الفلسطينية المستقلة في صلب الحديث اليومي للفلسطينيين ، بعد أن كان ، في فترات سابقة ، نشازا ، يعبر عن حساسية بعض النخب ومزاجيتهم .

٥ ــ اكتمال الوعي الكياني ، ١٩٧٣ ــ ١٩٧٧ :

بدأت مسيرة الوعي الكياني الفلسطيني تأخذ وجهها وشكلها الامثل ، في المرحلة التي اعقبت حرب تشرين ١٩٧٣ ، فعلى الرغم من أن الشعب الفلسطيني ، لم يفز بالاستقلال الوطني ، في غضون هذه المرحلة ، كما أنه لم يستطع اقامة السلطة السياسية الفلسطينية ، او يؤسس الدولة المستقلة ، إلا أنه من الصحيح ، ايضا ، انه انجز بناء الشخصية الوطنية الفلسطينية ، وارسى دعائم حضورها الدائم . وفوق ذلك ، بلور اهدافا كيانية اكثر وضوحا وتحديدا من ذي قبل ، واقترنت مفاهيم الكيانية من محددات الكيان الأساسية ، ونعني بذلك السلطة والأرض والشعب » (ص ١٧٩) .

ويتابع الشعيبي ، في هذا الفصل ، رصد مجريات الشرعية الكيانية الفلسطينية ، التي بلورتها شعارات ومقررات المجالس الوطنية الفلسطينية المتعاقبة ، بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ، ومقررات القمم العربية ، التي اقرت بواحدانية التمثيل الفلسطيني **لمنظمة التحرير الفلسطينية** ، **والاعتراف الدولي الذي اقرته الجمعية العمومية للأمم المتحدة** ، في دورتها التاسعة والعشرين ، التي تم فيها الاعتراف **بمنظمة التحرير الفلسطينية** كعضو مراقب في هيئة الامم المتحدة ، له حق الحضور في كافة الجلسات التي تعالج فيها القضية الفلسطينية .

كما يرصد المؤلف ، في هذا الفصل ، التعامل العربي الرسمي مع المنظمة ، بعد أن اعترف بها كيانا مساويا للكيانات العربية ، ويضرب مثلا على ذلك ، الوحدة السورية ــ الفلسطينية ، التي دعت إليها الحكومة السورية ، عام ١٩٧٦ ، في الذكرى الثانية عشرة لاستلام **حزب البعث** السلطة في سوريا . ويرى الشعيبي ، أن **منظمة التحرير الفلسطينية** ، بما قطعته على صعيد تحقيق استقلالية الشخصية الفلسطينية ، حققت معادلة خاصة بها ، هي « منظمة كفاحية تساوي دولة فلسطينية » (ص ٢٤٠) .

كي لا نغمط **الشعيبي** حقه ، مع ما لنا على كتابه من ملاحظات ، لا بد من القول ، أن له فضل الريادة في فتح باب هذا البحث . فقد تجرا على تسمية اشياء محددة بأسمائها بل ، اكثر من ذلك ، تتبع مسارها الذي قطعته ، مذ كانت إحساسا وجدانيا جنينيا لدى بعض الافراد ، حتى اصبحت دعوة اجتماعية لشعب استحق ، بما قدمه من تضحيات ، أن يقال « شعب فلسطين » ، دون ذكر النعوت الاخرى التي كانت ترافقه للتغطية احيانا ، ولطمس قضيته احيانا أخرى . وغالبا ما كانت تلك النعوت هربا من العجز الذي واجهته الدول العربية ، مجتمعة ومتفرقة ، عن إعادة شبر من ارض هذا الشعب ، ناهيك عن ضياع اجزاء من اراضي بعض هذه الدول .

● أما **الشعيبي** ، فقد تتبع مسار تطور الوعي الكياني الفلسطيني ، وبناء موسسته الكيانية ، **منظمة التحرير الفلسطينية** ، على مدى ثلاثين عاما ، على محوري وجود الشعب الفلسطيني ، داخل الأرض المحتلة ، قبل وبعد ١٩٦٧ ، وفي المنفى . وافرد ، كما ذكرنا في الفقرات الخمس ،

Digitized by Birzeit University Library

صفحات مطوية حول اسهامات الدول العربية ، سلبا وايجابا ، في تكوين هذا الكيان ، معتمدا على قرارات الجامعة العربية ومواقف بعض الدول التي مست الموضوع مباشرة . بل تشدد بالنسبة لعلاقة الاردن وبدوره في منع قيام كيان فلسطيني ، حتى بدا ، في بعض المقاطع والفقرات ، ان الصراع ضد الكيان الفلسطيني كان محض اردني . مع ان الشعبيي قصر عن ذكر اسباب ودوافع الاردن إلى اعتماد هذه الدرجة من الحدة ضد الكيان الفلسطيني .

● وغاب عن **الشعبيي** ، أو غيبه عمدا ، على الرغم من مقارنته بين ما حصل عام ١٩٤٨ مع ما حصل عام ١٩٦٧ وبعده ، رؤية رسوخ الكيانات العربية ، التي ولدتها ظروف الاستعمار ، وجغرافيا الاستقلال السياسي ، حيث تكرست هذه الكيانات سياسيا مع رسوخ الدولة في كل قطر ، حتى اصبحت بولا وشعوبا عربية تتعادى حتى درجة الصدام المسلح بين بعضها ، وتسعى الى المصالحات والتضامن ، لا الى الوحدة . لذا نرى ، أن قبول ودعم الدول العربية بعد ١٩٦٧ للكيانية الفلسطينية ، وخاصة بعد عام ١٩٧٣ ، قد توافق مع رسوخ هذه الكيانات ، التي صارت تطرح شعار تحرير الاراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ أو العودة الى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ ، والتعايش مع دولة اسرائيل . وفي مواجهة هذه الشعارات ، يرتفع سؤال كبير كبر جغرافيا الوطن العربي ، والاجابة عليه أصعب من عبور الربع الخالي سيرا على الاقدام . ماذا للفلسطينيين ؟. لذا كان على صديقنا **الشعبيي** ، أن يحيط ، على الاقل ، بالمتغيرات العربية كيانيا ، التي رافقت تطور وعي الفلسطينيين بفلسطينيتهم ، وجهدهم الذي بذلوه لبناء مؤسسة تعبر وتترجم ، عمليا ، هذا الشعور بالخصوصية .

هذا ، مع أن الباحث قال ، منذ بداية بحثه ، « حين فازت كافة حركات التحرر العربية ، ما عدا الحركة الفلسطينية ، بانجاز برامجها الاستقلالية ، وبناء كياناتها الوطنية ، لم تجد الاخيرة اية غضاضة في اللجوء الى العروبة ... بعد أن خسرت وحدها ، من بين كافة شقيقاتها ، معركتها الاستقلالية وبناء كيانها الوطني » (ص ١٤). لماذا فشلت **حكومة عموم فلسطين** عربيا ؟ ولماذا نجحت **منظمة التحرير الفلسطينية** عربيا ؟ ، أيضا ؟. يكتفي الشعبيي بذكر انطلاق الكفاح المسلح الفلسطيني سببا ، فقط .

لماذا لم يتناول **الشعبيي** هذا الجانب في بحثه ؟ قد يكون الكاتب تجاوزه لاعتبارات سياسية ، **او** تقصيرا ؟ لكن لا بد من استكمال ذلك ، إن لم يكن من قبل صاحبنا صاحب فضل الريادة ، فليكن غيره اجرا ، إن كان تقصيره خوفا لا عجزا . مع عدم إغفال ، أن بالامكان تلمس المساحات الى ذلك في بحث **الشعبيي** وبين سطوره .

● المسألة الثانية الذي لم يأتها **الشعبيي** في بحثه ، لا من قريب ولا من بعيد ، هي مسألة الأحاطة بكافة جوانب الوعي الكياني الفلسطيني والأدوات التي عبرت عنه . إذ قصر بحثه على الادب السياسي حصرا . بينما الوعي ، يتجلى عادة لدى الشعب ، أي شعب ، في تعبيرات ثقافية أخرى إضافة إلى الأدب السياسي ، وقد تكون سابقة عليه أو متوافقة معه ، كالشعر والقصة والرواية وغير ذلك . كما أن الحس الشعبيي العام يعبر عن نفسه بأشكال أخرى ، لا تقل أهمية ، كالاغاني التي تردد ، بشكل عام ، في الافراح أو في الاحزان ، إضافة إلى العلاقات الاجتماعية التي يتلمسها الانسان في الحياة اليومية للشعب ، وهذه ، في مجموعها ، تشكل ما يسمى (الثقافة الشعبية) . وعلى هذين الجانبين ، الادب الفلسطيني حافل ، وحياة انسان المخيم الفلسطيني غنية . وهذان المحوران ، أيضا ، كان لا بد من الحديث عما أسهما فيه لترسيخ الكيانية الفلسطينية ، التي جسدها انسان فلسطين عمليا في تلاحمه مع مؤسساته الكيانية ، هذا التلاحم اتدفع إليه انسان المنفى الفلسطيني ، كما اتدفع اليه انسان الأرض المحتلة . وقد قصر الشعبيي ، أيضا ، في بحثه عن ذلك . والأصح ، لم يرد عنه أي ذكر ، اطلاقا .

● ملاحظة أخرى على البحث ، نلمسها فجأة ، أيضا ، وغير مبررة . فعند الحديث عن الادب السياسي داخل الأرض المحتلة ، لم يترك أي تعبير عن الوعي بالكيانية الا وأورده ـ ما طالت يده منه ـ سواء كان هذا التعبير قد قدمه أفراد أو منظمات سياسية . بينما قصر في ذلك عند الحديث عن الوعي الكياني لدى فلسطيني المنفى . وباستثناء حديث مبتسر عن الكيانية لدى **جبهة الرفض الفلسطينية** ، اقتصر ، خاصة بعد سنوات ١٩٧٣، على ذكر مواقف وتطور **منظمة التحرير الفلسطينية** وحركة التحرير الوطني الفلسطيني « **فتح** » . مع أن الأدب السياسي الفلسطيني ، الذي سجلته الحركات السياسية ـ العسكرية الفلسطينية في المنفى ، غني في هذا المجال ، ايجابا وسلبا ، مع الكيانية الفلسطينية وضدها ، مع الدولة الفلسطينية على جزء من التراب الفلسطيني وضدها . وكان يمكن رصد الصراع لترسيخ مفهوم الكيان الفلسطيني ، من خلال هذا الأدب ، الذي انتصرت فيه الحاجة والضرورة ، معتمدة على البراغماتية ، على الحلم والطوباوية التي اعتصدت النزق والانفعال . وقد قصر الشعبيي ، أيضا ، عن ذلك . وكي لا نتجنى ، قد تكون له أسبابه ، حيث يستطيع الهروب بالقول ، أن **منظمة التحرير** هي محصلة الصراع ، وقراراتها تعبير عنه . لكننا نرى أن

Digitized by Birzeit University Library

الشعبيي قد قصر ايضا ، ونأمل ان يتولى هو أو غيره تعويض ما اغمض عنه العين .

● مجمل الملاحظات التي اوردناها ، باعتبار البحث بحثا يتناول تاريخ تكون ظاهرة ، توجب القول ، ان بحث **الشعبيي** ، مع ما فيه من ريادة وجرأة ، افتقر ، في بعض أجزائه ، الى الموضوعية والدقة العلمية . واحيانا حكمته الانتقائية ، إذ قصر بحثه على بعض المنظمات الفلسطينية ، وعلى جانب واحد من اشكال التعبير عن الوعي الكياني الفلسطيني . كما أن بعض النواحي الأخرى (المحيط العربي) لم يوله اهتماما كافيا .

ونسجل ، ايضا ، أننا لا نجرؤ على مطالبة باعتماد موقف كذلك الذي اتخذه **غالبلي** ، عندما اصر على دوران الأرض ، وهو في طريقه إلى المحرقة . فلم يسبق **الشعبيي** إلى مثل جراة غاليلي احد في منطقتنا العربية ، والموضوع الذي تنطح له الشعبيي حساس جدا وتحكمه أوضاع سياسية خاصة ، في الاطار العربي والفلسطيني .

أحمد شاهين

د . عصمت سيف الدولة . دفاع عن الشعب. بيروت ، دار الكلمة ، ١٩٨٠.

الدفاع الذي قدمه د . عصمت سيف الدولة ، تبرز اهميته في انه طرح امام محكمة جنايات امن الدولة العليا ، ايام ١٠ ـ ١٣ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ ، اي في نفس الظروف التي كان يستعد فيها النظام المصري للإسراع بتطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل ، وفي ظل المعارضة المتنامية في صفوف الشعب .

والدفاع يعتبر وثيقة تاريخية ليس لوقائع ١٨ و١٩ يناير فحسب ، بل هو يقدم الدليل القانوني على ان مصر تعيش في ظل انقلاب غير شرعي ، ومن ثم فإن الشعب المصري يحق له مقاومته بكل الوسائل المتاحة .. وهو يكشف النقاب عن النصوص الدستورية المصرية الصريحة التي تشجب التفاوض والصلح والاعتراف باسرائيل ، مستندا الى ان تلك النصوص ما زالت قائمة ، وقد استفتى فيها الشعب ، سواء جاءت ضمن دستور ١٩٧١ ، او ضمن دستور اتحاد الجمهوريات العربية ، الذي استفتى فيه الشعب في أول أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ .

يقع الدفاع الذي تضمنّه الكتاب من ثلاثة اجزاء رئيسية : الوقائع ، الدفاع ، الانقلاب والمقاومة الشعبية .

الوقائع

يتعرض هذا الجزء لكل الاحداث التي تمت منذ صباح ١٨ يناير في معظم مدن الجمهورية ، خاصة القاهرة ، وذلك من خلال الوقائع الثابتة من محضر التحقيق ..

وتؤكد كل التصريحات التي سبقت الانتفاضة ، وكل ما نشرته الصحف في مجال جنون الاسعار انها كانت اساس كل التراكمات التي استقرت في نفوس الجماهير .. والتي دفعتها الى ان تصدق كل الوعود التي تقطعها الحكومة على نفسها ، وتبشر بها اجهزة اعلامها ، حتى تصورت انها بانتظار تحقيق حلم يعيد التحقيق ، واذا بها تفاجأ في ١٨ يناير صباحا بقرار الغاء دعم بعض السلع الضرورية ، على صفحات كل الجرائد .. واذا بها ترى الوعود التي قطعت لها الف مرة بتثبيت الاسعار قد تبخرت في لحظات ، وان الاسعار سوف تزداد عربدة وجنونا .. تلك الاسعار التي فلت زمامها منذ عام ١٩٧٣ ، وبدأت تقفز وتعربد ، من غير ضابط ، من يد الحكومة المسترخية ، لتدمر حياة الشعب ، وتدخل الكآبة والقلق في كل بيت ، مع ما يصاحب الفقر ، عادة ، من فساد الامن والكرامة والخلق .

وفي عام ١٩٧٥ وصل عناء الشعب من الاسعار وجنونها حدا تجاوز الشكوى الفردية والتبرم الجماعي ، ليصبح مشكلة قومية .

وتوالت التصريحات التي تبشر بتثبيت الاسعار ، وتحول الوزراء الى جوقة تغني على الشعب ، وتمنيه ،

Digitized by Birzeit University Library

حتى تصور الناس انهم مقبلين على حالة استقرار نسبي .. وامتلأت الصحف بالتصريحات عن « خطوات هامة لتحقيق الاستقرار في الاسعار وتوفير السلع التموينية »

« ٦١٢ مليون جنيه لاستيراد ١٠٠ سلعة تموينية » ،

« لازيادة في اسعار المواد الغذائية ».

وكان اكثر تلك التصريحات جرأة هو تصريح وكيل وزارة المالية ، في ١٠ مايو ١٩٧٦ ، الذي قال فيه .

« ان السلع الاستهلاكية والتموينية التي سيتم استيرادها بالاسعار الرسمية حماية لمحدودي الدخل هي : الدقيق ـ العدس ـ البن ـ الشاي ـ السكر ـ زيت الطعام ـ اللحوم ـ الاسماك ـ الاغذية الحية ـ اللحوم المجمدة والمحفوظة ـ الدواجن المجمدة ـ الاسماك المحفوظه والمجمدة ـ الالبان ومنتجاتها ـ الفاصوليا ـ الفول ـ زيت الزيتون ـ الفلفل الاسود ـ مواد العطاره ـ الذرة ـ السمسم ـ الشحوم الحيوانية ـ زيت جوز الهند ـ الزيوت الطبية ـ الشحوم الغذائية ... الخ ، حتى عدد ١٠٠ سلعة تموينية .

لدرجة ان تساءل الناس هل هم في علم .. ام في حلم ؟؟!

ولكنه لم يكن حلماً ولا علماً ، بل كان فنا من فنون الكذب .لقد عرف الشعب ، في ١٨ يناير ، كم كذبوا عليه ـ واستهانوا به واعتدوا عليه ـ فكانت انتفاضة ضد الكذب ، وضد الاستهانة ، ومن العدوان ، يومي ١٨ ، ١٩ يناير ، حيث عاد الجناة يعترفون بالجرائم التي ارتكبوها في حق الشعب ـ وأول الجاني الاصيل .. الحكومة نفسها .

ان الاحداث السابقة ليومي ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ .. جنون الاسعار ، والوعود الكاذبة ، والاستهانة بحق الشعب ـ كلها تدين النظام بقدر ما تجعل من الانتفاضة انتفاضة شعبية حقيقية ضد الظلم والكذب والعدوان على الجماهير .

الدفاع

ويدلل الدفاع على ان الشاهد الوحيد في القضايا المقدمة .. هم ضباط مباحث أمن الدولة ، بما قدمه كل منهم من معلومات لقسم مكافحة الشيوعية . ويدلل ان كثيرا من المتهمين قد قبض عليهم من منازلهم ، دون امر من نيابة امن الدولة ، واستنادا الى الملفات الموجودة تحت يدى رجال قسم مكافحة الشيوعية .. لا لشيء ـ الا للتدليل ، فقط ، على ان التحريض والقيادة كانت بتحريض شيوعي ـ (وهو نفس الاتهام الذي القاه رئيس الجمهورية ورجاله وصحافته واجهزة اعلامه) ويقدم الدفاع عرضاً قانونياً فريداً عن التجمهر والتظاهر والتحريض ـ

ويقدم ، ايضا ، ابسط الادلة لا على خلل جهاز مكافحة الشيوعية ـ بل على تفاهته .. فعندما سئل **العميد محمد فتحي قته** ، في جلسة ١٨/٣/٧٩ ، عن مدى دراسته للنشاط الشيوعي ، قال ببساطة « ثقافة عادية » اما العميد **منير محيسن** ، فقال ، في جلسة ١١/٣/٧٩ ، ردا على السؤال الذي وجه له عن مدى اطلاعه على الماركسية بانها قراءات سطحية » .

المسؤلين عن مكافحة النشاط الشيوعي ليست لديهم سوى معرفة سطحية بالماركسية ، وعلى ضوء هذه المعرفة السطحية ، يملأون جهاز امن الدولة بسجلات وملفات باسماء مواطنين على انهم شيوعيون او ماركسيون ـ ويغرفون منهم بالدفعات تلو الاخرى لاقائمهم في السجون ، من حين لاخر .

ويثبت الدفاع واقعة هامة ، فالجهاز الامني حينما يصيبه الخلل ـ فانه يؤدى الى الفوضى ـ فالجنون ـ وقد اصيب الجهاز بالسعار حتى انه قبض على اتباعه واعوانه واستصدر اوامر بالقبض عليهم ـ لولا ان النيابة انقذتهم من السجن وافرجت عنهم (ثابت ذلك من ص ٩٩٩٢ من التحقيق الابتدائي) .

ويقدم الدفاع جدولا يحدد فيه نسبة الكذب في التحريات المباحثية ، التي بلغت ٩٣٪ من بعض الحالات ، تقدم منها حالة واحدة .

تاريخ البلاغ ٥ يوليو ١٩٧٤ .

رقم القضية ٥٠١ لسنة ٧٤ .

عدد المبلغ ضدهم ٣١ .

عدد من شملهم الاتهام٢

عدد من ثبتت براءتهم ٢٩ .

نسبة الكذب ٩٣٪ .

الانقلاب والمقاومة الشعبية

ويعتبر الجزء الثالث من الدفاع عن المتهمين في انتفاضة الشعب المصري المجيدة ، من اهم اجزاء الكتاب .. فهو ، في الحقيقة ، يقلب المائدة على اصحابها .. اذ يثبت للمحكمة انه طبقاً للدستور ، تعيش مصر ، منذ عام ١٩٧٤ ، في ظل انقلاب قام به الحكام انفسهم ضد الدستور . وانه من حق الشعب ان يقاوم تصرفات الحكام ، بكل الاساليب اللازمة والكافية ، للدفاع عن الشرعية ضد الاستبداد .

Digitized by Birzeit University Library

الانقلاب على المقومات الاقتصادية :

يقول الدستور : تنظيم الاقتصاد القومي ، وفقا لخطة تنمية شاملة ، تكفل زيادة الدخل القومي ، وعدالة التوزيع ، ورفع مستوى المعيشة ، والقضاء على البطالة ، وزيادة فرص العمل ، وربط الاجر بالانتاج ، وضمان حد ادنى للاجور ، ووضع حد اعلى يكفل تقريب الفروق بين الدخول (المادة ٢٣) .

« العمال ... من كل مواقع الانتاج ، سواء كان قطاعا عاما او خاصاً او مشتركاً ، لهم نصيب في ادارة المشروعات وفي ارباحها من (المادة ٢٦) .

« الملكية العامة هي ملكية الشعب » (المادة ٣٠) .

والذين يعرفون القانون يعرفون ان ملكية الشعب غير قابلة للتعامل فيها بالبيع او الشراء او الرهن او التنازل ... مثلها مثل النيل وهو منها .

« تتأكد ملكية الشعب بالدعم المستمر للقطاع العام (المادة ٣٠)

« يقود القطاع العام التقدم في جميع المجالات ، ويتحمل المسؤلية الرئيسية من خطة التنمية » (المادة ٣٠) .

ودستور ١٩٧١ ما زال قائماً ، ولا يلغيه الا استفتاء بالغائه .

ولذا ، فان قوانين الانفتاح الاقتصادي تعتبر انقلاباً على الدستور ، بغير الطرق الدستورية .

فما الذي جاء به قانون الانفتاح ؟؟!

- اباح للرأسماليين العودة الى مجالات الصناعة المختلفة ؛

- اباح لهم استصلاح الاراضي البور والصحراوية واستثجارها لمدة خمسين عاما او تزيد ؛ .

- اعطاهم الحق في مشاريع الاسكان والانتاج الحيواني والثروة المائية وشركات الاستثمار وبنوك الاعمال وشركات التأمين والبنوك التجارية ؛

- حرم القانون تأميم المشروعات او مصادرتها ؛

- لا تسري عليها تشريعات ولوائح وتنظيمات القطاع العام منهم قطاع خاص ومن نوع خاص ايضا ؛

- حرم الحجز على اموالها ، او تجميدها ، أو مصادرتها او فرض الحراسة عليها ؛

- لا يشترك العمال من ادارتها ، وليست لهم حصة من ارباحها ولا يشترط نسبة خاصة من المصريين في مساهميها ؛

- لا تخضع لرقابة النقد ، ولا لتراخيص الاستيراد ، ولا للضرائب بكافة انواعها ، بما فيها ضريبة الدفاع لمدة خمس سنوات ؛

- لا تخضع المباني الخاصة بالاسكان الاداري وفوق المتوسط لاي حد من القيمة الايجارية .

- يحول نصف قيمة اجور ومرتبات الاجانب الى الخارج ؛

لقد انفتحت مصر على السوق الرأسمالي ، في أسوأ الظروف - اي في ظل ازمة هذا السوق العالمية .. فأصبحت مصر بكل ازمات النظام الرأسمالي .. وبدأت ، كما يقول المؤلف ، الحلقة الجهنمية ، الاستدانه بفوائد بلغت ١٩٪ ، وطبع نقود جديدة كل اسبوع . ومع دورة الحلقة الجهنمية يقل الانتاج ، وترتفع الاسعار ، ويصبح الشعب المصري افقر من اي وقت مضى ، منذ عام ١٩٥٢ .. وتصبح الاكثرية غير قادرة على الحصول على الضروريات .

لقد اوضح **السادات** ، في خطاب له في ١١ نوفمبر ١٩٧١ ، امام مجلس الشعب ، ان من اهداف امريكا « **ضرب التجربة الاشتراكية في مصر الذي يصمم عليها الشعب المصري الى اخر مدى** »

وقد كان الانفتاح الاقتصادي تحقيقاً « لضرب التجربة الاشتراكية » وجاء في نفس الخطاب ان من اهداف امريكا « **عزل مصر عن الامة العربية ، ونحن لا نستطيع القبول ، تاريخياً ومصيرياً ، بمثل ذلك ، لان مصر جزء من الامة العربية ، قدرا ومستقبلا** » .

وقد تضمن اعلان « بنغازي » ، الذي استفتي عليه كجزء من الدستور الاتحادي : « قرر الرؤساء الثلاثة ، بالاجمال ، ما يلي : ١ - ان تحرير الارض العربية المحتلة هو الهدف الذي ينبغي ان تسخر في سبيله الامكانات ، والطاقات ، ٢ - انه لا صلح ولا تفاوض ولا تنازل عن اي شبر من الارض العربية ، ٣ - انه لا تفريط في القضية الفلسطينية ولا مساومة عليها » .

ولكن الانقلاب قد بدأ بالانفتاح لينتهي بعزل مصر عن امتها العربية ، فقد انهت مصر النزاع مع اسرائيل ، بينما بعض الدول العربية ما زالت في حالة « استخدام القوة » ، وأنهت بالانقلاب غير الدستوري الوحدة الوطنية ممثلة في تحالف قوى الشعب العاملة - وكان رفع الدعم في ١٨ يناير مظهرا من

Digitized by Birzeit University Library

مظاهر هذا الانقلاب على الدستور .
فمن المسؤل اذن ؟؟

المسؤل هم الانقلابيون على كل المواد الدستورية ، التي اقرها الشعب ووافق عليها في استفتاء عام ، سواء كان دستور مصر العربية او الدستور الاتحادي ، وما زال الاثنان قائمان ، طالما لم يلغيهما استفتاء يلغي الاستفتاء الاول ..

وليس امام الشعب دفاعاً عن الشرعية ، ودفاعا عن الدستور باعتباره اطارا وغاية .. ليس امامه الا المقاومة ـ والمقاومة في هذه الظروف مقاومة شرعية ضد سلطة غير شرعية ، لا تستمد سلطتها من ارادة الشعب ومن المواثيق التي استفتى فيها .. ومثل تلك المقاومة مشروعة ضد الاستبداد .. وقد دعت اليها كل الاديان السماوية وكل المبادىء القانونية المصاحبة للثورات .. ودعي اليها دستور مصر العربية نفسه ، الذي أقره الشعب في عام ١٩٧١ ..الذي يقول في خاتمته على لسان الشعب المصري .

« اننا نقبل ونعلن ونمنح لانفسنا هذا الدستور ، مؤكدين عزمنا الاكيد على الدفاع عنه وعلى حمايته وعلى تأكيد احترامه » .

فهل ارتكب الشعب جريمة في ١٨ و١٩ يناير ، وهل اذا ما قاوم السلطة دفاعاً عن مكتسباته الوطنية والقومية ، ودفاعاً عن حريته .. الا يكون دفاعه شرعياً دستورياً ضد سلطة انقلابية غير شرعية .

م . خ .

Digitized by Birzeit University Library

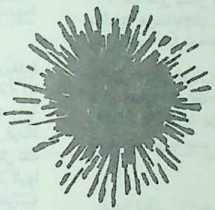

نيسان خطفهم منّا

اختطف الموت من بين صفوفنا كوكبة من الكتّاب والصحفيين والفنانين المناضلين ، الذين استرخصوا ارواحهم في سبيل وطنهم . ونيسان ، وحده، اختطف سبعة من فرساننا ، هم : باسل الكبيسي (٧٣/٤/٩) ، كمال ناصر ، كمال عدوان ، محمد يوسف النجّار (٧٣/٤/١٠) ، وهاني جوهرية (٧٦/٤/١١) ، ومطيع وعمر (نيسان ١٩٧٨) .

على ان ما يعزينا هو ان القافلة لا زالت تجدّ في السير نحو التحرير وفلسطين المستقلة الديمقراطية . ولا يزيدها سقوط الشهداء من بين صفوفها إلا تصميماً على بلوغ الهدف .

صحيح ان الثمن غال ، لكن لا شيء يعدل الوطن . والكتاب والصحفيون والفنانون الفلسطينيون عاهدوا شعبهم الفلسطيني وأمتهم العربية على أن يجعلوا من دمهم مداداً يكتبون به لفلسطين .

Digitized by Birzeit University Library

تحية

الاخوات اعضاء المؤتمر العام للاتحاد العام للمرآة الفلسطينية

تحية الثورة والعودة ،

بمناسبة انعقاد المؤتمر الوطني الثالث للمرأة الفلسطينية ، يسر الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، أن تعرب عن تهانيها الحارة لنجاح المرأة الفلسطينية في عقد مؤتمرها وسط ظروف فلسطينية وعربية بالغة التعقيد والخطورة . هذا النجاح الذي يأتي تاكيدا على حيوية المناضلة الفلسطينية ودورها البارز في مسيرة النضال الفلسطيني والعربي .

لقد استطاع **الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية** خلال المرحلة الماضية أن يحافظ على دور طليعي في العمل النقابي والشعبي الفلسطيني ، وكان مبادرا في الدفاع عن الثورة ومواقفها المبدئية .

اننا اذ نحيي **المؤتمر الوطني الثالث** نؤكد على أهمية الحفاظ على الروح الديمقراطية التي يجب أن نعمل على تعزيزها ؛ حفاظا على مسيرة ثورتنا وتقاليد شعبنا النضالية .

– عاش نضال المرأة الفلسطينية الصامدة داخل الوطن المحتل وخارجه ؛ وعاشت فلسطين حرة عربية .

بيروت في ١٩٨٠/٢/٢٩

الامانة العامة

لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

Digitized by Birzeit University Library

« الكاتب الفلسطيني » ترد على رسالتي العلوي .. والاشمر

رسالة الاستاذ **هادي العلوي** في العدد الماضي من الكاتب الفلسطيني توقفت عند جملة للاستاذ **اميل حبيبي** وردت في معرض رده على مقالة للاستاذ احمد فرحان ، ونصها هو التالي :

« ... كما أن حركة التحرر الوطني الجزائرية أدركت واجبها ومن أجل نفسها ، أيضا ، في أن تضع مخرجا ديمقراطيا وايجابيا أمام المستوطنين الفرنسيين ، **وكما أدركت الحركة الوطنية التقدمية** في العراق هذا الواجب بالنسبة لكردستان العراق ، فان منظمة التحرير الفلسطينية تتوصل الى المزيد من الوضوح في هذا الادراك » .

هنا تنتهي جملة الاستاذ **اميل حبيبي** ، والتي استفزت **هادي العلوي** وجعلته يوجه لنا ، في **الكاتب الفلسطيني** ، رسالته المعنونة بـ : « بين كردستان والجزائر واسرائيل » .

ناقش الاستاذ العلوي ، في صفحتين ونصف الصفحة ، قضايا الاكراد ، وفلسطين والجزائر ، وباكستان ، والتي يرى بأنها يجب أن تزول عن خارطة العالم .. لماذا ؟ وفي أي دولة يجب أن تندمج ؟ . ثم نحن أحوج ما نكون لحل مشاكلنا ، قبل أن نقدر حل مشاكل بلاد العالم . وتقرير مصائر الشعوب ، خاصة وأن الكثيرين يجهلون تاريخ وجغرافية وطننا .. فما بالك بالباكستان والهند .. وغيرهما .

ما يقوله الاستاذ هادي عن (الجماعات) التي تسللت الى فلسطين صحيح ، بل كلي الصحة ، فلا مجال (لليهود) الذين يعيشون في فلسطين ، الا بالتخلي عن الصهيونية ، وممارسة حقوقهم الدينية ، داخل دولة ديمقراطية عربية فلسطينية وكما يضيف ، متجردة من الهاجس الديني .. أي أنها . في الحقيقة ، لا تمارس الحكم (دينيا) ، وانما من منظور قومي تقدمي - بنظرنا - لان فلسطين جزء من الوطن العربي ، والحكم فيها وفي غيرها يجب أن يكون ديمقراطيا تقدميا .. والا لماذا نحمل السلاح ؟ ! .

يضيف الاستاذ هادي : « ان هاتين الحالتين تختلفان (حالة المعمرين الفرنسيين في الجزائر ، وحالة المستوطنين المحتلين الصهاينة .. التوضيح منا) عن حالة الشعب الكردي ، الذي يعيش في وطنه الاصلي ، وهو اقليم كردستان ، ومنذ الاف السنين » .

ثم يقفز ، في نهاية الجملة ، ويفاجئنا بجملة مدهشة ، وهي : « ... كردستان ليست جزءا من العراق » .

وهكذا فالاستاذ هادي مع انشاء دولة كردية مستقلة عن العراق ، دون أن يقدم في جملته أي توضيح ، أو في (برنامجه) السريع جدا ، والذي هو عدد قليل من الكلمات أي توضيح أو كشف لمستقبل اكراد ايران الذين هم أكثر بكثير من الاكراد في العراق .. فضلا عن الاكراد في تركيا ..

ويواصل **هادي العلوي** في رسالته : « وترتكب الحركة الوطنية العراقية انحرافا شوفينيا شنيعا ، اذا هي حاولت لفلفة حقوق الشعب الكردي الى مجرد حكم ذاتي صوري .. » .

لكن الاستاذ حبيبي قال في جملته : (**وكما ادركت الحركة الوطنية التقدمية في العراق هذا الواجب بالنسبة لكردستان العراق** .) وهو يقصد منح الاكراد حق الحكم الذاتي ضمن اطار الجمهورية العراقية ، ومن منظور قومي تقدمي ، وهذا كان في بداية عهد **الجبهة الوطنية** في العراق ، وبموافقة كل (الاطراف) .

Digitized by Birzeit University Library

اننا ، في (**الكاتب الفلسطيني**) ، عندما نشرنا رسالة الاخ **هادي العلوي** ، فانما عملا بحرية القول والتفكير ، لان حوار ، او صراع - الافكار ، هو الطريق الصحيح للوصول الى التفاهم بين الوطنيين والتقدميين العرب ، على أن لا يفكروا بالتفريط بمستقبل الوطن بمزاجية ، او نتيجة لخلافات عابرة ، او حادة ، لان الوطن يبقى ، وكل القوى السياسية ، مهما تباينت افكارها ، انما تناضل من اجل عزته ، وكرامة انسانه ، وليس تمزيقه ، ان عشرات القوميات تعيش في الاتحاد السوفياتي ، وضمن اطار الدولة الواحدة ، وان قوميات متعددة (تعيش) وتتعايش في يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا .. واننا ، من منظور اشتراكي و .. قومي تقدمي ، نرى بأن **الحكم الذاتي الذي حصل عليه اكراد العراق هو خطوة متقدمة ، لم يحصلوا عليها ، للان ، في ايران لا هم ، ولا العرب ، ولا التركمان ، رغم قيام الثورة الاسلامية ضد الشاه .. ولم يحصلوا على أية حقوق في تركيا ، وقضيتهم ليست موجودة في العراق .. الا اذا كانت هناك اغراض واهداف اخرى يا أستاذ هادي ؟ ! !**

بالنسبة لمصطلح (شعب اسرائيل) ، الذي يعترض عليه الاستاذ هادي ، فنحن معه تماما ، ونحن نرى خطأ المصطلح ، وخطأ الذين لا يدركون خطورة ورجعية الكيان الصهيوني ، الذي يتهدد مستقبل امتنا العربية .

ان جملة ، او فكرة : « ولا يبرر الاخذ بالاصطلاح كونه يستند الى واقع راسخ الجذور ، تسنده الاسلحة الامريكية ، ويتواطأ على دعمه الحكام العرب ، فالاستعمار الامريكي والانظمة العربية - ربما يقصد الاستاذ هادي الانظمة الرجعية ، الكيانية ، الاقليمية - حالات عابرة ، لا تصلح لتشكيل واقع تاريخي أو اقليمي » ، ولان الاستعمار الاميريكي ، والانظمة الاقليمية الرجعية حالات عابرة ، او واقع راهن مؤقت .. فاننا نرى بان الكيان الصهيوني غير راسخ الجذور ، وانما هو كيان (قشري) الجذور ، لان الجذور التي في عمق تراب فلسطين هي الجذور العربية .. والتي لا يمكن انتزاعها ، او زرع بديل لها ..

في القضية الفلسطينية ، أصاب الاستاذ هادي ، خاصة ، الجانب الصهيوني ، وان كان بحاجة الى تعميق دراسة الافكار اليسارية التي تطرح حول اليهود ، والمسألة اليهودية ، والكيان الصهيوني ..

ولكن في المسألة الكردية ترك (لعواطفه) ان تقوده ، وجانبه التوفيق ، ولم يستند الى منهج .. وكانت رؤية الاستاذ **اميل حبيبي** اكثر دقة وصوابا ..

يبقى اننا في (الكاتب الفلسطيني) لا نتحرج من طرح أية قضية للحوار والنقاش، وهذا ما دفعنا لنشر رسالة الاستاذ هادي ، التي لم تكن هادئة في بعض سطورها .. خاصة عند توجيه تهم الشوفينية وما شابه ذلك ..

لقد نشرنا آراء الاستاذ **احمد فرحان** .. ورد الاستاذ **اميل حبيبي** .. وننشر رسالة الاستاذ هادي العلوي ، وها نحن نرد ..

ونشرنا رسالة **محمد الاشمر** حول كتاب الاستاذ **سميح سماره** .. ونحن نرحب بأي رد ، رافضين توجيه التهم ، مقدرين لكل صاحب رأي رأيه ، واجتهاده ..

لقد أثار الاشمر ؟ ! ! ! "الشكوك حول كتاب الاستاذ **سميح سماره** .. وحاول أن يقلل من شأنه ، ويطعن في نزاهته ، وهذا أمر غير عادل .. فكتاب (العمل الشيوعي في فلسطين) هو حراثة في أرض (بور) ، ولذا تعب المؤلف في جمعه للوثائق ، ودراستها ، والوصول الى نتائج ..

ان رسالة الاستاذ العلوي اكثر خطورة من رسالة **محمد الاشمر** .. لان الاولى (تجتهد) و(تشكك) على مستوى قومي .. بينما رسالة الاشمر (هذا) .. تقلل من أهمية جهد الاستاذ سماره .. **وهو غير قليل** ..

Digitized by Birzeit University Library

جدير بالذكر ان الرسالتين نشرتا في العدد الحادي عشر .. وهذا له معناه ..

ونحن نرد عليهما معا .. من منطلق الحوار ، وحرية الرأي والتفكير ، وتقدير الجهود .. والاجتهاد .. فمن اجتهد واصاب فله أجران .. ومن اجتهد وأخطأ فله أجر ..

الكاتب الفلسطيني

حواشي

١ ـ كلمة الكاتب ، المثقفون الفلسطينيون والحركة السياسية ، **الكاتب الفلسطيني العدد العاشر** ، تشرين الاول ١٩٧٩ .
٢ ـ **فلسطين المحتلة** ،العدد ٢١٤ عام ١٩٧٩ .
٣ ـ نشرة (**الصورة**)،التي تصدر عن مؤسسة السينما الفلسطينية ـ العدد الرابع ، تشرين ١٩٧٩
٤ ـ **نفس المصدر** .
٥ ـ **نفس المصدر** .
٦ ـ **الكاتب الفلسطيني** ، عدد ١١ ، كانون الثاني ١٩٨٠ .

Digitized by Birzeit University Library

آفـــاق
مجلة اتحاد كتاب المغرب

تنشر الانتاج الفكري والأدبي الذي يشكل الطليعة الثقافية الفاعلة بالمغرب ٠

يساهم فيها أعضاء اتحاد كتاب المغرب

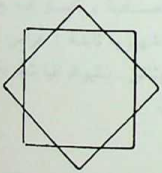

عنوان المجلة : زنقة سوسة 5
الرباط
المغرب

Digitized by Birzeit University Library

دار القدس

تقدم

اسم الكتاب	السعر ل.ل.
ـ الحكومة الاسلامية الامام الخميني	٨٠ ل.ل.
ـ رسائل بن غوريون (الى زوجته) ترجمة الملكة دينا عبد الحميد	١٥ ل.ل.
ـ الاستراتيجيات العربية وردود الفعل الاسرائيلي يهرشافا هراكابي	٨٠ ل.ل.
ـ استراتيجية بومدين ترجمة د. خليل احمد خليل . د. فؤاد شاهين	١٢ ل.ل.
ـ قضايا الجبهة الوطنية التقدمية في مصر عبد الصمد جاد المولى	٥ ل.ل.
ـ الخطار (قصص) محمود شاهين	٥ ل.ل.
ـ علي ونينو قربان سعيد	١٢ ل.ل.
ـ المادية التاريخية والوعي القومي عند العرب فرحان صالح	٥ ل.ل.
ـ حول الجبهة الوطنية والعمل الشعبي في لبنان د. خليل احمد خليل . فرحان صالح	٨٠ ل.ل.
ـ سقوط ال التعريف (شعر) سعيد المحروق	٥ ل.ل.
ـ القضية ز افاق جديدة) محمود عباس (ابو مازن)	٨٠ ل.ل.
ـ قضية القدس د. خيرية قاسمية	١٢ ل.ل.
ـ العيون في العلم	٤ ل.ل.
اطلس الصراع العربي الصهيوني اعداد . مازن البنك	٦٠ ل.ل.

دار القدس ص.ب. ٢٤٨٩ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

Digitized by Birzeit University Library

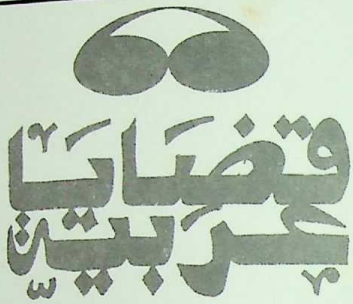

رئيس التحرير : د . عبدالوهاب الكيالي

شهرية فكرية مفتوحة لمختلف الاتجاهات التقدمية

سلسلة من الاعداد الخاصة
حول
الوحدة العربية وقضايا المجتمع العربي
حزيران (يونيو) ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩

يكتب فيها أبرز الكتاب والمفكرين العرب من كافة اقطار الوطن العربي ـ تعالج اهم المشكلات والقضايا المعاصرة للامة العربية بروح الالتزام والبحث العلمي وفي مختلف المواضيع : السياسية ، الاقتصادية ، التاريخية ، الادبية ، الثقافية والفنية ـ أبواب شهرية ثابتة : عرض أهم الكتب ـ فن تشكيلي ـ سينما ـ وثائق ـ بيليوغرافيا شهرية : القضايا العربية في الدوريات العربية .

رئيس التحرير الزائر : د . انيس صايغ

المراسلات : ماهر الكيالي ـ ص . ب . ٥٤٦٠
بيروت/ لبنان العنوان البرقي : موكيالي ـ ت : ٣١٢١٥٦ .

Digitized by Birzeit University Library

الاشتراكات السنوية

٣٠	ليرة لبنانية في لبنان وسوريا	١٠٠	ليرة لبنانية في اقطار العالم
٦٠	ليرة لبنانية في بقية الاقطار العربية	١٥٠	ليرة لبنانية للمؤسسات

Digitized by Birzeit University Library

بيروت لبنان ـ ص . ب : ٣٠٧٥ تلفون ٣١٦٠٢١

Digitized by Birzeit University Library